الأدب الإسلامي

٩٢

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٩٢) - ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

القصة في أدب الطفل الصهيوني

د. محمد محمود العطار

نفحات الحج في الشعر الأندلسي

د. حياة شتواني

الإنسان والقضية في رواية: مخيم يا وطن للدعدر شراش الناصر

د. سعد أبو الرضا

من الشعر الإسلامي عند علماء الهند في القرن العشرين

عبد الوهاب الدويري

حرية الأديب من المنظور الإسلامي

صديق بكر علي عيطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكل والمضمون جناحا الأدب الراقي

يتجه الأدب والنقد المتأثران بالنزعات الغربية الحديثة إلى الاهتمام المبالغ فيه بالشكل، وتُسقط في هذا الاتجاه الشكلاني الكاسح أهميةُ الأفكار والمضامين، ويُحَدِّر الأديب والناقد معاً من العناية بهما أو الاهتمام بشأنهما، بل إن حضورهما عند قوم ليصبح ضاراً بالعملية الإبداعية والعملية النقدية على حد سواء..

ولا شك أن الاهتمام المبالغ فيه بالشكل وإيلاء الظهر للفكر عملية ضارة خطيرة، إذ تفقد الأدب قيمته ومصداقيته، إن لم نقل مشروعيته، إذ يضحي الأدب - وقد أضحت كذلك نماذج لا حصر لها من الكتابات الحداثية - مجرد حلية لفظية، لا هم لها إلا الإبهار والإدهاش من غير فكر خلفها، إنها - كما يقول المثل العربي - «جعجعة من غير طحن».

غابت في هذا الاتجاه الشكلاني الطاغي هموم الناس ومشكلاتهم، وقضايا الأمة، وأحوال المجتمع، وأقصي الأدب عنها جميعها، حتى أصبح ينظر إليها على أنها تمثل «الخارج» أو «الإيديولوجيا» أو ما شاكل ذلك من عبارات الهزء والانتقاص. إن هذا الاتجاه الشكلاني «الزخرفي» هو اليوم سمة من سمات المجتمع الغربي، ولا سيما الغرب الليبرالي الرأسمالي المتخم المنتفخ من خيرات الشعوب الضعيفة التي انتهبها.

لقد أشار ذات مرة الناقد الشيوعي جورج لوكاتش في كتابه «دراسات في الواقعية» إلى التشويه الرأسمالي للأدب، إذ جعل من الكتاب ومن النقاد اختاصيين ضيقين، وانتزع منهم تلك الشمولية والعينية في الاهتمامات الإنسانية والاجتماعية والسياسية والفنية، اللتين ميّزتا أدب النهضة والتنوير، وأدب مراحل الإعداد للثورات الديمقراطية..ص٥٠٢». إن الاتجاهات النقدية الحداثية وما بعد الحداثية التي هي من إنتاج الغرب هي اتجاهات شكلانية: بدءاً من النقد الجديد حتى آخر حركة نقدية من تفكيك وقراءة وتأويل وما شاكل ذلك، وهي لا تقيم أي وزن لتوجيه الأدب إلى أغراض إنسانية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو غيرها.

لقد أصبح الإبهار والإدهاش والاهتمام بالزينة والزخرف، والبحث عن المتعة، والاهتمام بالمظاهر، والتركيز على الشكل الخارجي الوهاج هي سمة المجتمع الغربي الحديث، وهي تنسحب إلى عالم الأدب والنقد، فلا يبدو هذا الأدب - في ضوء ما يروج له - معنياً بغير هذه الشكليات التي لا يجوز البحث عما وراءها، أو عما تنطوي عليه من القيمة والفائدة للإنسان.

إن الاستهلاك اليوم هو سمة المجتمع الغربي الحداثي المُصَدَّر إلينا، وهو كذلك سمة الأدب والنقد المصدرين إلينا، حيث يتحول الأدب في هذا الاتجاه الاستهلاكي - كالمادة تماماً - إلى غاية في حد ذاته.

إن كل شيء يتحول إلى صورة باهرة، وتشكيلات زخرفية مثيرة، ولكنها لا تنطوي على شيء ذي بال وراءها. إنها صورة وتشكيلات تهز الحواس، وتثير الغرائز، وتحرك الشهوات، ولكنها لا تخاطب في الإنسان عقلاً ولا ضميراً، ولا تحرك فيه وازعاً، إنها تحمله على الاستمتاع والعبث، ولكنها لا تحمله على التفكير والتأمل.

إن الشكل في الأدب وسيلة وليس غاية، إنه وعاء الفكر، ومعرض للمعاني والقيم، ولا قيمة لشكل - مهما بهر وأدهش - إن لم ينطو على شيء ذي بال، الشكل والمضمون هما جناحا كل أدب راقٍ.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٣) العدد (٩٢)
محرم - ربيع الأول ١٤٣٨هـ
تشرين الأول (أكتوبر)- كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو مايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. عبدالله بن صالح العريني

د. حسن الأمراني

علاء الدين حسن

د. حلمي محمد القاعود

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

- الشكل والمضمون جناحا الأدب الراقي — مدير التحرير — ١
- حرية الأديب من المنظور الإسلامي — صديق بكر علي عيطة — ٤
- نفحات الحج في الشعر الأندلسي — د. حياة شتواني — ١٢
- القصة في أدب الطفل الصهيوني — د. محمد محمود العطار — ١٨
- من الشعر الإسلامي عند علماء الهند — عبدالوهاب الدويري — ٤٤
- الإنسان والقضية في رواية مخيم يا وطن لدعد رشراش الناصر — د. سعد أبو الرضا — ٤٨
- خولة القزويني في رائعتها هيفاء تعترف لكم — صلاح حسن رشيد — ٥١
- وقفات مع الجمال — علاء الدين حسن — ٥٦
- قراءة في العدد ٩٠ من الأدب الإسلامي — علي خضران القرني — ٧٣

❖ **الورقة الأخيرة:**

- محمد عاكف شاعر القضية الإسلامية المشتركة — د. عبدالباسط بدر — ١٠٦

الشعر

- لغتي تناجيني — د. محمد ظافر الشهري — ١١
- صمت الكبرياء — محمد مصطفى البلخي — ١٧
- لا يستظل الراحلون.. — أشرف محمد قاسم — ٢٩
- غرفتي — سالم رزيق بن عوض — ٣٧
- قلوصك الدمع — د. حسن الأمراني — ٤٠
- كلي ألبي — نبيلة الخطيب — ٤٢
- الفرح القادم — د. عبدالحكيم الزبيدي — ٥٤
- نكبة دمشق — د. عيسى ألبي أبو بكر — ٦٦
- أنت المهيمن — محمد عباس علي داود — ٧٨

القصة والنثيرة

- ومن يكتمها — د. وليد قصاب — ٢٦
- الحب والمسعى - نثيرة — عبدالله مسعود — ٣٨
- سنبلة - نثيرة — محمد يوسف كرزون — ٥٣
- أحبتي قتلتي — سعيدة بشار — ٦٢
- إهداء — خالد بريه — ٧٩
- هدية الغائب — ابتسام شاكوش — ٩٠
- القرار الصعب — عبدالرحيم شراك — ٩٨

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع الدكتور عبدالله العريني — حوار: التحرير — ٣٠

❖ **من التراث:**

- الرزق - شعر — عروة بن أذينة — ٤٧

❖ **ثمرات المطابع:**

- قصص المرأة الباكستانية وصراع الهوية — د. حلمي محمد القاعود — ٦٨

❖ **المسرحية:**

- وصية عمر بن عبدالعزيز - شعر — د. غازي مختار طليمات — ٧٤

❖ **رسالة جامعية:**

- القصة القصيرة لدى وليد قصاب — الباحثة: تركية العتيبي — ٨٤

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر تأليف: عدنان صالح الشهري — محمد عباس محمد عرابي — ٩٢

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

❖ **كشاف المجلد الثالث والعشرين** — التحرير — ١٠٧

حرية الأديب من المنظور الإسلامي

يرى المعارضون للأدب الإسلامي أن فيه خطورة على حرية الأديب، ويرون أن في المعيار الخلقي، الذي يضعه الأدب الإسلامي نصب عينيه، قيداً لا يليق بعالم الأدب، ويعللون لذلك أنه قد «سرت قديما أنفاس من هذا النقد الخلقي - كما يقول الدكتور فتحي محمد أبو عيسى - كانت وراء معاناة بعض الشعراء وبلائهم، ومنهم (أبو العتاهية)، الذي شنع عليه منصور بن عمار ورماه بالزندقة حين قال متغزلا:

صديق بكر علي عيطة - مصر

إن المليك رآك أحسن خلقه ورأى جمالك
فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك

وقال منصور بن عمار: أيصور الحور على مثال امرأة آدمية، والله لا يحتاج إلى مثال؟ وأوقع هذا على ألسنة العامة فلقي منهم بلاء»[1].

فالأستاذ الدكتور فتحي أبو عيسى، ومن يعارضون الأدب الإسلامي يدافعون عن مثل هذا الاتجاه الذي سلكه (أبو العتاهية) ومن على شاكلته، ويرون أن يترك لهم الحبل على الغارب، ليقولوا ما يشاؤون، ويعبثوا بالعقيدة والأخلاق كما يشاؤون بدعوى حرية الأديب. ولا أدري كيف يسمحون لأنفسهم أن يعلنوا عن ذلك، ويصرحوا به مع أنه اتجاه ظاهر الفساد، ومع

أنه يجعل من العقيدة أفكوهة يتفكه بها من لا خلاق لهم، ولا التزام في أدبهم، ويحيل الأخلاق والأعراض إلى لحوم عارية تنهشها الأقلام غير المسؤولة.

والعجيب الغريب، أن هذا الاتجاه الذي يدعو إلى حرية الأديب، التي لا تقف عند حد، ولا تلتفت إلى دين، ولا تأخذ في عين الاعتبار بمقتضيات العقيدة أو الأخلاق والفضيلة، وقد وجد من يدعو له صراحة بلا مواربة، وينافح عنه باللسان والسنان، ولذا رأينا شاعراً حداثياً مثل «حلمي سالم» يقول شارحاً وجهة نظره في حرية الأديب: «للشاعر حرية أن يبدع كما يقتضي إبداعه، لا كما يرى له السابقون أو المعاصرون. وهذه الحرية البديهية لا يعترف بها للشاعر الكثيرون من الأوصياء على العرش!».

ثم يندد بالنقاد الذين يعلون من قيمة الأخلاق والدين والآداب النفسية، وهم يقيمون دولة النقد الأدبي على أسس ثابتة راسخة من الدين والأخلاق والفضائل، مقدرين للكلمة قيمتها، وللأديب دوره في تنشئة النفوس؛ وتربيتها على دعامة من العفة وحسن الأدب، حينما يتخذ سلاحه من الكلمة المؤثرة والصورة الأدبية الرائعة، والفن الجميل الأصيل.. يقول الكاتب ساخراً منهم ومن قيمهم: «ثمة، كذلك، قمع القيم التقليدية الراسخة، التي لا يجوز خدشها وعلى رأس هذه القيم، الثالوث المقدس: السياسة، الجنس، الدين. تقول لنا سلطة القيم التقليدية الراسخة: إن هذه المحرمات الثلاثة حرز حريز لا يصح الاقتراب منها.

ففي الأولى يواجهك سيف السجن، وفي الثانية يواجهك سيف العيب، وفي الثالثة يواجهك سيف الحرام.

وفي ظني - ولا يزال الكلام لحلمي سالم - أن الشعر لم يخلق إلا لاجتراح هذه المحرمات الثلاثة خصوصاً، حيث لا عيب ولاحرام في الشعر، مثلما لا حرج في العلم. وقد أعلمنا الأقدمون أن شعر حسان بن ثابت كان قوياً مكيناً في الجاهلية، ولما دخل الإسلام لان وضعف، وأن الشعر بابه الشر.

والتراث الذي يرفع في وجوهنا - على رأس عريضة الاتهام - زاخر بالاجتراحات الكبيرة لهذه المحرمات الثلاثة.

هذا التراث -السلطة-، يطلب منك أن تقتفي أثر السابقين حتى تكتسب شرعية الوجود، فأنت تقيَّم دائماً بالقياس إلى ذلك التراث الشعري».

ثم يرثي حلمي سالم، لحال الشاعر الذي يجد نفسه أمام قيم دينه ومجتمعه وآداب النفس التي يجب أن يتحلى بها قائلاً: «هكذا يجد الشاعر الجديد نفسه في قاعة المحكمة - في آخر عقود القرن العشرين - متهماً، وشهود الإثبات ضده هم: امرؤ القيس، والمعري، والشريف الرضي، وأحمد شوقي!» ساخراً بهم، هازئاً بما كانوا عليه من قيم شعورية وفكرية وخلقية وفنية، حيث لم يعودوا - فيما يرى الكاتب

فتحي محمد أبو عيسى

- يصلحون «لآخر عقود القرن العشرين».

ثم يختم هذا المقطع من مقاله قائلا: «كأن هذا التراث هو الجمال التام، الذي اكتمل مرة إلى الأبد، وأي خروج عليه - عند رافعي سيف التراث القامع - تدمير للهوية القومية، وتفريط في التركة المقدسة»[٢].

فحلمي سالم ومن لف لفه من دعاة «اجتراح المحرمات»، يريدونه «أدباً» لا دين له، ولا خلق، ولا عرف، ولا قواعد.. كما يريدونه «أديباً» لا يرعى للدين حرمة، ولا يقيم للعقيدة معيارا، ولا يرى للأخلاق قيمة.. وهذا كله تحت ستار حرية الأديب.

ولا يعني هذا أن الدين يصادر من الأديب حرية الرأي، أو يكبل انطلاقته ويحد من حركته؛ وإنما ينظمها بحيث تنطلق هذه الحرية في مجراها الطبيعي الذي يحده شاطئان قويان يمنعانه من الانسياب والفوضى: هذان الشاطئان هما الدين والأخلاق في جانب، والفن القائم على الأصالة والمعاصرة من جانب آخر.

«وفي وسعنا أن نستشف تلك القيود من حديث السفينة، فقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا، فصار لكل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا: ما تصنع؟ قال: هو مكاني أصنع فيه ما أشاء، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا».

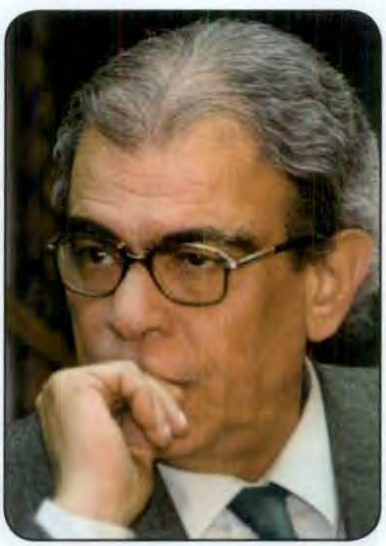

حلمي سالم

والحديث الشريف كما ترى يقر مبدأ حرية تصرف الأفراد فيما خولهم الله عز وجل، ويطلق لهم العنان في ذلك.. حتى إذا أساؤوا استعمال هذه الحرية على وجه يضر بأنفسهم أو بغيرهم تصدى لهم، وأخذ على أيديهم، وحال دونهم ودون العبث بهذه الحرية حرصاً على مصلحتهم الفردية أولاً، ومصلحة مجتمعهم ثانيا. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا.

ويبدو لنا أن من واجب المجتمع الإسلامي - ممثلاً بولي الأمر - أن يصادر حرية القول التي منحت للأدباء وغيرهم إذا رأى فيها خطراً يهدد سلامة المجتمع وأمنه العقدي أو الأخلاقي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي»[٣].

ولذا كان هذا الموقف الرائع للقضاء المصري العادل؛ حينما أعاد للأدب - في النصف الأول من القرن العشرين - وجهه الإسلامي المشرق، بهذه المحاكمة الرائعة، التي رجعت بالكاتب إلى جادة الصواب، معترفة بفضله من جانب، ومصححة له جنوحه من جانب آخر، بعد أن لعبت به رياح الشهرة والمجد، ونقصد بذلك، ما جاء في محاكمة كتاب «في الشعر الجاهلي» الذي كتبه الدكتور طه حسين - رحمه الله - في بداية حياته الأدبية، وقد جاء فيه - بدعوى حرية الرأي في مجال البحث العلمي - ما يمجه الذوق الإسلامي العام، وتأباه عقيدة

المسلمين؛ حتى قام بعض شباب الأزهر الشريف برفع دعوى ضد مؤلفه الدكتور طه حسين أمام القضاء المصري. وقد أسفرت المحاكمة عن شطب ما جاء في هذا الكتاب من أخطاء عقدية، وعبارات تلفظها أمة تحترم دينها وعقيدتها. ومن المفيد هنا أن نسجل بعض ما جاء في هذا الكتاب، مما كان موضع مؤاخذة وحساب كما ورد في الوثيقة التي نشرتها مجلة فصول:

«وحيث قد اتضح من أقوال المبلغين أنهم ينسبون للمؤلف أنه طعن على الدين الإسلامي في مواضع أربعة من كتابه:

الأول - أن المؤلف أهان الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في إخباره عن إبراهيم وإسماعيل، حيث ذكر في (ص٢٦) من كتابه: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي.

والثاني - ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدى المسلمين جميعاً، وأنه في كلامه عنها يزعم عدم إنزالها من عند الله، وأن هذه القراءات إنما قرأتها العرب حسب ما استطاعت لا كما أوحى الله بها إلى نبيه. مع أن معاشر المسلمين يعتقدون أن كل هذه القراءات مروية عن الله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.

والثالث - ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على النبي صلى

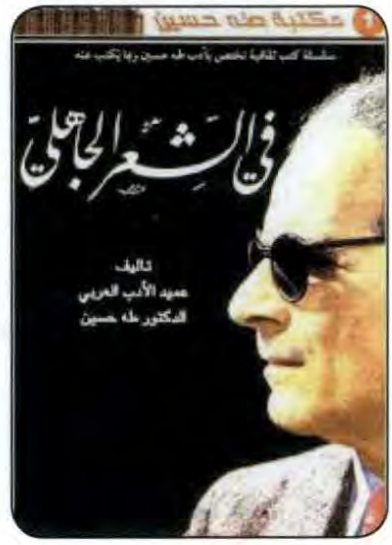

الله عليه وسلم طعناً فاحشاً من حيث نسبه.

والرابع - أن المؤلف أنكر أن للإسلام أولية في بلاد العرب، وأنه دين إبراهيم، إذ يقول في (ص٨٠): أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا أن للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي، وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل».

وقد قامت النيابة باستجواب الدكتور طه حسين حول ما ورد في كتابه «في الشعر الجاهلي» مما يتنافى وعقيدة المسلمين وكان موضع شكوى. وتبين أنه من خلال إجاباته سلامة عقيدته، وهذا شيء مهم في القضية، كما أن هذه الآراء التي تضمنها كتابه كانت قائمة على الافتراضات البحتة، التي تأثر فيها بالمستشرقين.

جاء في تقرير النيابة ما يلي: «والذي نراه نحن أن موقف المؤلف لا يختلف عن موقف الأستاذ هوار حين يتكلم عن شعر أمية بن أبي الصلت، وقد وصفه المؤلف بقوله:«مع أني من أشد الناس إعجاباً بالأستاذ هوار، وبطائفة من أصحابه المستشرقين، وبما ينتهون إليه في كثير من الأحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الأدب العربي، والمناهج التي يتخذونها للبحث، فإني لا أستطيع أن أقرأ مثل هذا الفصل دون أن أعجب كيف يتورط العلماء أحياناً في مواقف لا صلة بينها وبين العلم».

ثم يعلق التقرير على هذه

العبارة التي كتبها د. طه حسين في كتابه فيقول: «ونحن لا نفهم كيف أباح المؤلف (طه حسين) لنفسه أن يخلط بين الدين والعلم، وهو القائل: إن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض، والشك والإنكار.. وأننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس، ونعصمها من إنكار المنكرين، وطعن الطاعنين.. ولا ندري لم يفعل غير ما يقول في هذا الموضوع.

والذي يحفظه التاريخ ولا ينساه في هذه القضية، وما انتهت إليه، أن الآراء التي تصادم عقيدة المسلمين وموروثاتهم، والتي وردت في هذا الكتاب، قد عدلت أو حذفت، وكان ذلك هو السبيل الوحيد لإجازة نشره[٤].

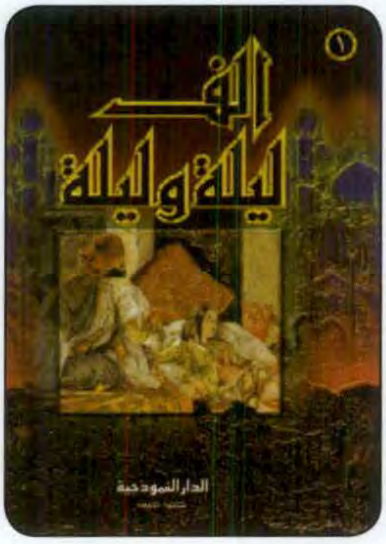

قضية أخرى من قضايا الأدب، وهي مما يذكر أيضاً بالفضل والخير للقضاء المصري العادل في محافظته على القيم الاجتماعية والأخلاقية، التي جاء بها الاسلام، دين العفة والطهارة؛ من خلال هذه الأحكام الصادرة من محكمة آداب القاهرة ضد كتاب «ألف ليلة وليلة» في القضية رقم (١١٤٢)، سنة ١٩٨٥م، آداب القاهرة؛ حيث كان هذا الكتاب يشمل على صور وتعليقات تتنافى وآداب الإسلام، وما يجب أن يتسم به الأدب من العفة والنظافة، وهو ما يتفق مع منطق «الأدب الإسلامي» حتى قبل أن ترتفع الأصوات عالية منادية به.

فلقد جاء في قرار النيابة: «وإذ باشرت النيابة العامة تحقيق الواقعة في ١٩٨٥/٣/٥م، أثبت المحقق بعد اطلاعه على نسخة من كتاب «ألف ليلة وليلة» المضبوط، وكذا كتاب «تسهيل المنافع» وتبين أن كلاً منهما يحوي العديد من الألفاظ والعبارات المنافية للآداب».

«وحيث إنه لما كان ما تقدم وكانت النسخ المضبوطة من مؤلف ألف ليلة وليلة قد طبعت وأعدت للبيع للجمهور - ولم تكن مجرد نسخ محفوظة في إحدى المكتبات العامة لتكون تحت يد الباحثين المتخصصين في شؤون التراث والمؤرخين للحركة الأدبية بما مرت به من مراحل تطور، فإن المحكمة والحال كذلك تقرر أن هدف المتهم من طبع ونشر هذا المؤلف بصورته - التي ضبطت نسخه - والذي يحوي العديد من روايات كيفية اجتماع الجنسين، والألفاظ الجنسية الصريحة والسوقية البذيئة، والأشعار المكشوفة الفاضحة، وليس هو نشر التراث، بل هدفه تحقيق أكبر عائد من الأرباح الشخصية مستغلاً في ذلك اسم التراث، وليس أدل على ذلك من قيامه بطبع طبعتين مختلفتين من نفس المؤلف».

وحيث إنه لما كان ذلك، وكانت محكمة النقض قد قضت بأن الكتب التي تحوي روايات لكيفية اجتماع الجنسين، وما يحدثه ذلك من اللذة كالأقاصيص الموضوعة لبيان ما تفعله العاهرات في التفريط بأعراضهن، وكيف يعرضن سلعتهن،

وكيف يتلذذن بالرجال، ويتلذذ الرجال بهن، هذه الكتب يعتبر نشرها انتهاكاً لحرمة الآداب، وحسن الأخلاق لما فيه من الإغراء بالعهر، وخروجاً على عاطفة الحياء، وهدماً لقواعد الآداب العامة المصطلح عليها، والتي تقضي بأن اجتماع الجنسين يجب أن يكون سرياً، وأن تكتم أخباره، ولا يفيد في هذا الصدد القول: إن الأخلاق تطورت في مصر، بحيث أصبح مثل تلك الكتب لا ينافي الآداب العامة استناداً إلى ما يجري في المراقص ودور السينما وشواطئ الاستحمام؛ لأنه مهما قلت عاطفة الحياء بين الناس فإنه لا يجوز للقضاء التراخي في تثبيت الفضيلة».

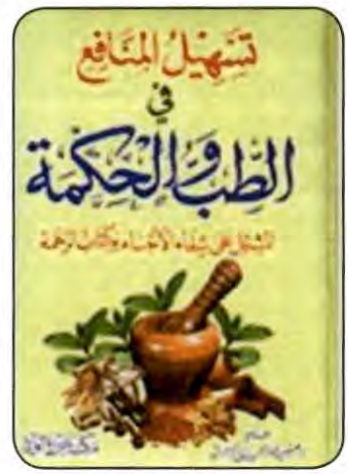

إلى أن جاء هذا الحكم:

«فلهذه الأسباب: «حكمت المحكمة حضورياً اعتبارياً، أولاً: بتغريم المتهم خمسمائة جنيه، ومصادرة النسخ والأكلاشيهات المضبوطة، والمصروفات الجنائية. ثانياً: عدم قبول الدعوى المدنية، وألزمت رافعها المصروفات ومبلغ خمسة جنيهات مقابل أتعاب المحاماة»[٥].

إن الالتزام بقواعد الدين والأخلاق والآداب النفسية، لا يشكل عنصر ضغط أو إكراه للأديب المسلم، وهو «لا يمكن أن يعوق حرية الإبداع في أي موضوع من الموضوعات، وخاصة أن الالتزام في أدبنا الإسلامي يأتي من قناعة ذاتية، وينبع من ضميرنا وليس مفروضا علينا، ومادام الأمر كذلك فمن أين تأتي القيود!؟.. إن الالتزام الذاتي غير الإلزام المفروض من خارج ذات الأديب، ولقد كتب الأديب المسلم عن المرأة؛ لأنه لا يمكن تجاهل مشاعرها وأفكارها، كتب عنها حبيبة وزوجة وأماً وابنة، وعالج الحب والجنس بدرجات متفاوتة لهدف معين، وليس للإثارة والإفساد، والحكم يأتي في النهاية من محصلة العمل الفني والتأثير الكلي للعمل الفني»[٦]

يقول الدكتور عبد الباسط بدر، رداً على من يدعي أن في الالتزام العقدي والأخلاقي قيدا على حرية الأديب، وتضييقاً لآفاق تجربته: «إذا كانت تجربة الأديب الملتزم التزاماً جدياً قوياً بعقيدته تتوجه - أو تتأثر على أقل تقدير - بحدود هذه العقيدة، فهل يكون نتيجة ذلك أن تضيق آفاق التجربة..؟ وهل يؤثر ذلك التوجيه على الجانب التلقائي والإلهام والحلم في التجربة؟ ألا يخشى من طغيان جانب الوعي عليه..؟

في ظني أن الجواب على هذه الأسئلة يختلف باختلاف المعتقد الذي يرتبط به الأديب، على افتراض أن ارتباطه عفوي وصادق، فإذا كان المعتقد محدود الآفاق لا يعالج من قضايا الإنسان إلا جانباً محدوداً، ولا يملك إلا رؤية ضيقة، ولا يقدم حلولاً تناسب الفطرة البشرية ومنازعها الأساسية. إذا كان المعتقد كذلك فإن الفرد الذي يعتنقه مقيد بمساحة ضيقة، ومضطر إلى أن يحشر قضاياه كلها في الزاوية الضيقة التي يحددها معتقده.

والعقيدة الإسلامية آفاقها بلا حدود، تفتح المجال واسعاً أمام تجربة الأديب المسلم، لأنها

ترتبط بعالم الواقع كما ترتبط بعالم الغيبيات، وتلبي حاجة الإنسان الفطرية إلى كل شيء: إلى البحث عن الحقيقة، وإلى الصراع مع عوامل الهدم، وإلى النضال الدائم للتغيير نحو الأفضل، وإلى معطيات الأمن والاستقرار، وإلى الركون إلى قوة قاهرة ترعى، وإلى عدالة مطلقة تعيد إلى النفوس المضطهدة ما اغتصب منها، وإلى فردوس يحقق الأمن والاستقرار للذات التي فقدت الأمن والاستقرار»[٧].

هذه هي العقيدة التي تعيش في وجدان الأديب المسلم، ويتنسم عبيرها الفواح، لترتسم في تصوره مثاليات رحبة تصل ما بين السماء والأرض من ناحية، وتربط بين الدنيا والآخرة من ناحية ثانية.

«ثم إن الأديب الإسلامي - يقول الدكتور بدر - يواجه في حياته أحد احتمالين: الأول أن يعيش في عالم لا يجد فيه تطابقاً بينه وبين المثال الذي يصبو إليه، فتكون تجربته الشعورية في توتر دائم تحيط بها الرغبات المكبوتة في اللاشعور، والسعي الحثيث إلى تحقيقها، وجميع دوافع الحلم الأخرى، فهو يعيش في مجتمع غارق بالجاهلية إلى قمة رأسه ثائراً عليها، منكراً كل وضع غير صحيح.. وهو أيضاً يعيش الإسلام في أعماقه.. وفي سلوكه - ما استطاع، وبقدر ما يسمح له المجتمع الجاهلي - وبأفكاره ومشاعره، وينظر إلى ما حوله من زوايا إسلامية محضة، وفي هذه الحالة سيكون تأثره عالياً وسيكون منتجاً أبدع إنتاج.

والحالة الثانية أن يعيش في مجتمع يجد فيه حداً أدنى من التطابق بين المثال والواقع، فيكون لديه جزء من دوافع التوتر الأولى لاستكمال بناء المثال في الواقع، كما يكون لديه فرصة أكبر ليعيش النوع الآخر من التوتر، توتر الانسجام والتفوق فيه»[٨].

وهكذا، نرى العقيدة الإسلامية الصحيحة، والالتزام الأخلاقي بالفضائل، والتمسك بالآداب النفسية والسلوك العف النظيف، لدى الشاعر.. كل ذلك لا يشكل عائقاً يحد من حرية الأديب، أو انطلاقة الشاعر، بل إذا بلغت به العقيدة مداها، وامتدت في ضميره أطرافها، وانساب بين جوانحه سلسالها، ثم فاضت على فكره وتصوراته ومشاعره انفسحت الحياة أمامه بلا حدود، وامتدت أطرافها طولاً وعرضاً وعمقاً، وعند ذلك تصبح العقيدة في وجدان الأديب المسلم خيراً وبركة عليه، وعلى نتاجه الأدبي. ■

الهوامش:

(١) اقرأ مجلة «اللغة العربية» العدد الثاني عشر، مقال الدكتور فتحي محمد أبو عيسى.

(٢) فصول، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث، ص٩٩-١٠٠، مقال: «حول الشعر والحرية - الجماعات النقدية المتطرفة».

(٣) د. عبدالرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في النقد والأدب، ص١٥٠.

(٤) اقرأ قرار النيابة في كتاب «الشعر الجاهلي»، مجلة فصول، قسم «وثائق»، المجلد التاسع، أكتوبر ١٩٩٠م.

(٥) اقرأ محاكمة «ألف ليلة وليلة»، وثائق، أربعة أحكام صادرة بخصوص هذا الكتاب، والفقرات المنقولة أخذت من الحكم الأول، مجلة فصول، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع.

(٦) د. نجيب الكيلاني بتصرف يسير اقتضاه المقام، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢٤٧، رجب ١٤١٥هـ، ديسمبر ١٩٩٤م.

(٧) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص٣٧-٣٩.

(٨) السابق، ص٤٠ - ٤١.

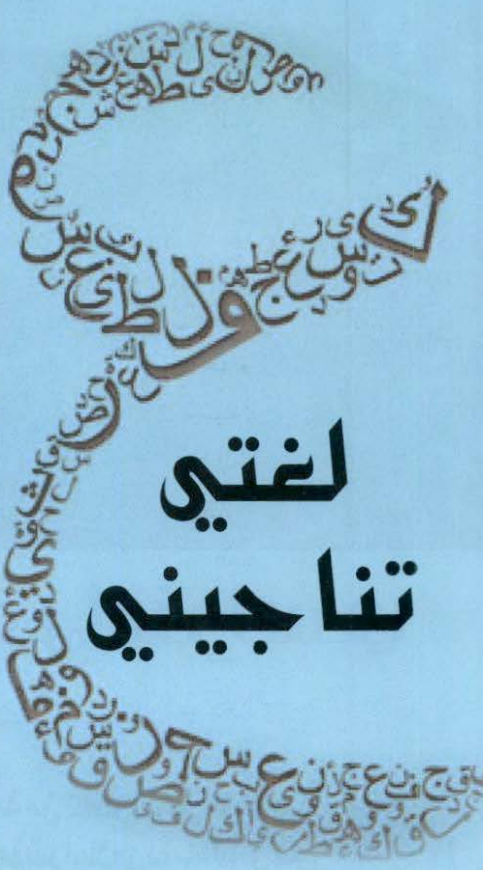

لغتي تناجيني

د. محمد ظافر الشهري
السعودية

يا ولوعاً بدل جزل الكلام ... هاك درأ مرصعاً في نظام
عربياً مسلماً ومبيناً ... صفحة الأفق في صميم الظلام
ذي سماء البيان تشهد أني ... قمر القول في ليالي التمام
لغة الضاد، ما لحرفي ند ... يملأ السمع في اللغات العظام
ليت قومي لم يقبلوا في نحولي ... زور غمر مستسمن الأورام
ظن أن الرقي في الغض مني ... واتضاع العقول في إكرامي
ما سمت أمة بحرف عداها ... ما عدا في خواطر الأوهام
فاق غزو السنان غزو لسان ... أجنبي مقنعٍ بالسلام
أدوم الوصل حظ قومي مني ... وجزائي قطيعة الأرحام
ناصبتني العداء-من غير ذنب - ... بين قومي وسائل الإعلام
صدرت هجنة الحديث وضاقت ... عن أفانيني الحسان الفخام
وادعى الأقربون عقمي وعدوا ... لغة الأبعدين غير عقام
أرضعوها الصغار في المهد حتى ... نازعتنيهم قبيل الفطام
وانثنى العرب يطربون نشاوى ... من رُطَيني غلامة وغلام
والألى جنبوا الرطانة أضحوا ... كاليتامى على خوان اللئام
ما شكوت الهوان بل حور قوم ... - كنت عملقتهم-إلى الأقزام
عهد قلب إلى شغافه أوفى ... من عهود الرقاع والأقلام
ليس يا عاشق البلاغة إلا ... فيَّ ترياق لبك المستهام
فَأْسَ بي منك ما أعل بغيري ... وازرع الضاد في نخاع العظام
وامض في دربي الظليل بدوحي ... مطمئناً إلى بلوغ المرام
لو أذيق الفصاح كل كلام؛ ... لم يذق فيه ما يقوم مقامي
إن يُقلوا مقال غيري يُخلوا ... أو يطيلوا يطل رأس السام
وأنا السحر إن يزيدوا فشهد ... أو يقلوا فقدر ملح الطعام
كاثرتني اللغات كِلْماً فلما ... فاض حشدي تمزعت في الزحام
كل عصر معطر بعبيري ... قبل عاد وبعد يوم القيام
خاطب الله رسله فحباني ... شرف البدء بي وخلد الختام
كل قوم قد كلموا بلسان ... ولساني كليم كل الأنام
سر مجدي وعزتي وخلودي ... في الكتاب العزيز والإسلام

نفحات الحج في الشعر الأندلسي

د. حياة شتواني(*) - المغرب

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وشعيرة عظيمة من شعائر الدين الإسلامي، فرضها الله تعالى على المسلم المستطيع. وهو موسم ديني، ومؤتمر إسلامي يؤمه الناس على اختلاف أجناسهم ولغاتهم كل عام من كل فج عميق، بغية التقرب إلى الله تعالى، وتحصيل الثواب والأجر منه عز وجل، وتطهير أنفسهم مما علق بها من أدران الآثام وحمأة الخطايا.

والأندلسيون كغيرهم من المسلمين تعلقوا بهذه الفريضة، حيث شكلت مطمح أنفسهم، ومهوى أفئدتهم. لذلك فاضت قرائح شعرائهم بفيض من القصائد والمقطوعات الشعرية التي تصور مبلغ إجلالهم لها، وتنضح بحرارة الشوق إلى البقاع المقدسة، وتنبض بشدة الحنين إليها؛ فهذا ابن عبد البر القرطبي يقدس الحج إلى درجة أنه يستنكر بكاء الشعراء على الأطلال، ويرى الأجدى من ذلك الوقوف في أداء المناسك والطواف بالبيت:

عفت المنازل غير أرسم دمنة
حييتها من دمنة ورسوم
كم ذا الوقوف ولم تقف في منسك
كم ذا الطواف ولم تطف بحريم
فكِلِ الديار إلى الجنائب والصبا
ودع القفار إلى الصدى والبوم[1]

وذكر ابن خير الإشبيلي في فهرسته أن للشيخ الواعظ أبي عمران بن بهيج الأندلسي مخمسة في صفة الحج وأعماله كلها[2].

(*) أستاذة باحثة في الأدب العربي وعلوم التربية.

وشغل الحج لب ابن دراج القسطلي حتى إن قصيدته التي أنشأها في مدح يحيى بن منذر في عيد أضحى، تنضح بالألفاظ التي تقترن عادة بالحج:

واسعد بعيد طالما أعديته
عوداً بإحسان فعاد فأحسنا
أهدي إليك سلام مكة فالصفا
فمعالم الحرم الأقاصي فالدنا
فمواقف الحجاج من عرفاتها
فالمنحر المشهود من شعبي منى
ومناسك شاقت مساعيك التي
أحذيتها منها المثال الأبينا
فغدا نداك يهل في شرف العلا
لهجاً يلبي ليتنا ولعلنا
وخلفت سعي المروتين معاقباً
بين الندى والبأس سعياً ما ونى
ورميت بالجمرات من بدر اللهى
ونحرت بدن العرف كوماً بدنا[٣]

إن توسل الشاعر بألفاظ من مثل: (مكة، الصفا، الحرم، الحجاج، عرفاتها، منى، مناسك، سعي، المروتين، الجمرات) يعكس ثقافته الدينية ومعرفته بمناسك الحج.

وأشار الحصري القيرواني إلى الحج في قوله يرثي ابنه عبد الغني:

طاب فلو عاش حاز علمي
وحاول الحج والرباطا[٤]

فلو طال عمر ابنه لتبحر في العلم، ولما تخلف عن أداء فريضة الحج.

ويصور ابن خفاجة حنين الممدوح إلى مكة، وتطلعه الصادق إلى تأدية فريضة الحج في قوله:

جلي ومن بطحاء مكة جنة
إليه وللبيت الحرام تطلع[٥]

وقد ظلت المدينة قبلة الآمال أيضاً، وموضعاً يتطلع مسلمو الأندلس للوصول إليه للصلاة في المسجد النبوي، والسلام على النبي الكريم. وكانوا يشعرون بالحزن والأسى إذا ما ودعوه صلى الله عليه وسلم، وودعوا مسجده الشريف، لهذا لم يستطع الزاهد الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الأنصاري الخزرجي أن يحبس دموعه لما آنت لحظة وداع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يتجلى في قوله من جملة أبيات استهلها بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم:

حسب المحب من الحبيب سلام
يقضي به يوم الوداع ذمام
رهناً وروع البين يخرس نطقنا
ومن الدموع إشارة وكلام
قبر تضمن أعظماً تعظيمها
عنه يصح الدين والإسلام
وردت بها نفس المشوق مناهلاً
كل المناهل بعدهن مرام[٦]

إنها أبيات تندى بعطر الحب للرسول صلى الله عليه وسلم وتقطر حزناً لوداع قبره.

أما أبو الحسين بن أحمد بن جبير صاحب الرحلة المشهورة (٥٤٠-٦١٤هـ) فقد بلغ من تقديسه لفريضة الحج أن رحل ثلاث مرات من الأندلس إلى المشرق، وحج في كل واحدة منها حسبما ذكر ابن الخطيب[٧]. كما وقفنا له على أكثر من مقطوعة تتصل بالحج، كقوله عند تحركه للرحلة الحجازية:

أقول وقد دعا للخير داع
حننت له حنين المستهام
حرام أن يلذ لي اغتماض
ولم أرحل إلى البيت الحرام

ولا طافت بي الآمال إن لم
أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياة لي إذا لم
أزر في طيبة خير الأنام[٨]

يعرب الشاعر في هذه المقطوعة عن تلهفه لزيارة قبر المصطفى والديار المقدسة؛ فلن يلذ له الكرى، ولن تطيب له الحياة إلا إذا منّ الله عليه بأداء هذه الفريضة. ويختم المقطوعة بتقديم التحية والسلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وله عندما وصل إلى مكة سنة ٥٧٩هـ:

بلغت المنى وحللت الحرم
فعاد شبابك بعد الهرم
فأهلا بمكة أهلا بها
وشكرا لمن شكره يلتزم[٩]

فقد اهتزت أعطاف الشاعر بشراً وسروراً بزيارة الحرم المكي والمسجد النبوي، فأحس وكأنه استعاد شبابه وحيويته.

ويتبين لنا من خلال ما سبق من نماذج شعرية أن الحج شكل أمنية عزيزة لدى مسلمي الأندلس، إذا ما من الله عليهم بتحقيقها شعروا بفرح عظيم يملأ جوانحهم، وبسعادة قصوى تغمر قلوبهم. وهذا الشعور نابع من قدسية الحج في الإسلام وفرضيته على المسلمين.

وهكذا فقد ملك الحج ألباب مسلمي الأندلس، واستولى على نفوسهم حتى إن شعراءهم اقتبسوا منه صورا كثيرة، على نحو ابن زيدون في قوله يمدح المعتمد:

نجل الذي نصحه وطاعته
كالحج تتلوه برة العمر[١٠]

فقد اعتبر الشاعر النصح والطاعة للملك الذي أنجب هذا الأمير واجبين مقدسين مثل الحج والعمرة. ومدح المعتمد أباه قائلا:

سميدع يهب الآلاف مبتدئاً
ويستقبل عطاياه ويعتذر
له يد كل جبار يقبلها
لولا نداها لقلنا: إنها الحجر[١١]

فالشاعر يفضل يد ممدوحه على الحجر الأسود بما خصت به من الندى وكثرة الجدا.

وقد أنكر ابن دحية هذا التفضيل، واعتبر ذلك من باب غلو الشعراء وإيغالهم فيما ينمقون من زخارف أقوالهم، وقال: «فشتان بين يديه وبين الحجر الأسود في الممات والمحيا لأنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه في الدنيا، وينال بذلك عند الله جل جلاله المنزلة العليا[١٢]».

ويجعل ابن الحداد ذرا المعتصم محجة يتجمع فيها العفاة والخائفون كما يتجمع الحجاج في مناسك الحج:

يحج ذراه الدهر عاف وخائف
جموعا كما وافى الحجيجُ المشاعرا[١٣]

ويعتبر أن زيارة دار المعتصم تخفف متاعب الفقر ومشاكله عن زائره، وتكاد تقضي عليه كما أن زيارة مكة المكرمة تخفف المآثم أو تكاد تمحوها:

فزر مكة مهما اقترفت مآثما
وزر أفقه مهما شكوت مفاقرا[١٤]

وإذا كان شعراء الأندلس قد عنوا بالحديث عن الحج، وباستقاء صور كثيرة منه، فإنهم لم يغفلوا ذكر الحُجاج. فهذا ابن دراج القسطلي أنشأ قصيدة في رثاء فقيه كان قد توفي بمصر في طريقه إلى الحج، ومما جاء فيها:

فأي قدر رفيع حان محمله
في النعش يوماً على أكتافهم رفعوا
وأي مختشع لله متضع
حر الشمائل في حر الثرى وضعوا
بشرى لمن زود التقوى لمنقلب
حياه مدخر فيه ومطلع
بميتة في سبيل الله أسلمه
فيها إلى ربه الأنباء والشيع
في حجة برها في الله متصل
بالمجرمين عن الأوطان منقطع[١٥]

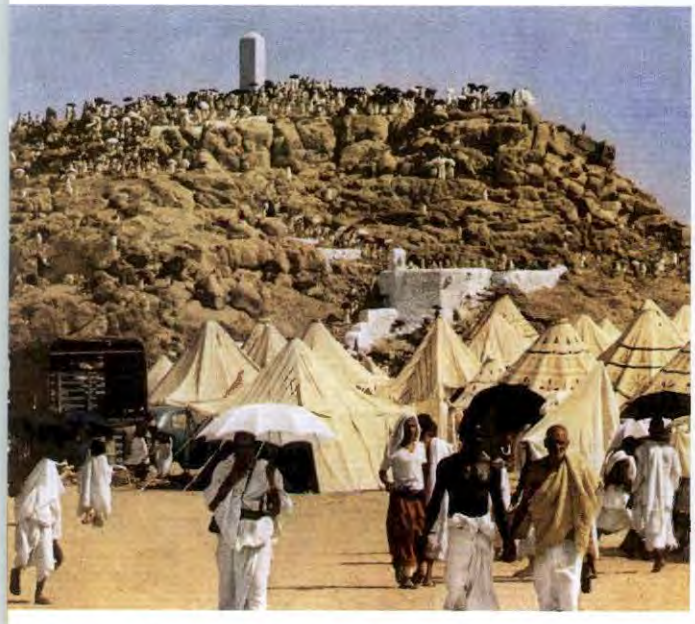

فقد أسبغ الشاعر على المرثي معاني لطالما ترددت في قصائد الرثاء المتصلة بالفقهاء؛ كالخشوع والتقوى وحلاوة الشمائل ورفعة القدر.

ولابن لبال من قصيدة حجازية كتب بها إلى الحجاج صحبة الفقيه أبي بكر بن عبد الله بن حباسة الشريشي:

متى أقول وقد كلت ركائبنا
من السرى وارتكاب البيد في البكر
يا نائمين على الأكوار ويحكم
شدوا المطي بذكر الله في السحر
أما سمعتم بحادينا وقد سجعت
ورق الحمائم فوق الأيك والسمر
هذي البشارة يا حُجاج قد وجبت
غداً تحطون بين الركن والحجر[١٦]

في هذه الأبيات يحث الشاعر الحجاج على ترك الكرى ومواصلة السرى. وفيها إشارة إلى ما يكتنف رحلة الحج من مشاق ونصب تجعل من تأدية هذه الفريضة أمراً صعباً.

ومهما يكن من أمر، فإن اهتمام الأندلسيين بذكر الحج والحجيج في أشعارهم يعد شاهدا قويا على التدين العميق الكامن في نفوسهم، ويكشف عن مدى تمكن هذه الفريضة منهم وسلطانها من نفوسهم، حتى إنها شكلت رافداً ثراً من الروافد الدينية التي نهل منها الشعراء صورهم وتشبيهاتهم.

وما يزال الحج إلى الآن يثير الشعراء المسلمين في كل بقاع العالم، ويحرك شاعريتهم، فيمدهم بأسخى إيحاء، وأوفر عطاء■

الهوامش:

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني١/٥٠٥. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

(٢) فهرسة ابن خير الإشبيلي:٤١٣. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م.

(٣) ديوان ابن دراج القسطلي: ٢١٩. حققه وعلق عليه وقدم له: محمود علي مكي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٩٦٩م.

(٤) أبو الحسن الحصري القيرواني (مجموع شعره):٤٦٩. تأليف: محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، مكتبة المنار، تونس ١٩٦٣م.

(٥) ديوان ابن خفاجة: ٨٩. تحقيق: سيد غازي الإسكندرية، ط ٢، ١٦٩٠م.

(٦) الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٢/٢٣١. تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة.

(٧) الذيل والتكملة س ١ ق ١: ٢٣٠-٢٣١.

(٨) شعر ابن جبير:٩٣. جمع وتحقيق وتقديم: فوزي الخطبا، دار الينابيع، عمان، ط١، ١٩٩١م.

(٩) نفسه: ٨٦.

(١٠) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٢٠٨. تحقيق:علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ١٩٥٧م.

(١١) ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية: ٣٨. جمع وتحقيق: حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

(١٢) المطرب من أشعار أهل الأندلس والمغرب لابن دحية: ١٦. تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، راجعه: طه حسين، القاهرة ١٩٩٣م.

(١٣) ديوان ابن الحداد الأندلسي: ٢١٧. تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٠ م.

(١٤) السابق نفسه: ٢١٧.

(١٥) ديوان ابن دراج: ٢٦٧-٢٦٨.

(١٦) ابن لبال الشريشي (مجموع شعره):٨٤. تأليف: محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ط ١، ١٩٩٦م.

صمت الكبرياء

محمد مصطفى البلخي- سورية

شتّى جراحاتُ الهوى وندوبُها ... ولكلِّ صبٍّ في هواهُ مَذاقُ

كلٌّ يصوّرُ ما يُحِسُّ وإنما ... تتشابَهُ الأقلامُ والأوراقُ

فأخو السفاهةِ إن شكا فلشهوةٍ ... فاتتْ ولحظةُ قُبْلةٍ وعِناقُ

وأخو المعالي لا يبالي إن هَوى ... ودماؤُهُ فوقَ الظُّباةِ تُراقُ

يا نخلَ دجلةَ والهمومُ كثيرةٌ ... إني على رغمِ الأسى مُشْتاقُ

أنالا أخافُ على العراقِ من العِدى ... فعُداتُه - مهما طغَوا - سُرّاقُ

طودُ الشموخِ عراقُنا لن يُستبى ... وله بكلّ حضارةٍ إشراقُ

كم مرّ قطعانُ الذئابِ بسفحِه ... تَعْوي وتنهش والعراق عراقُ

يا نخلَ دجلةَ في فؤادي لوعةٌ ... لم يحتملْها في الهَوَى عُشّاقُ

كم نخلةٍ عربيةٍ قد أطرقَتْ ... خَجَلاً وصَمْتُ الكِبْرياءِ نُعاقُ

إنّي لأخشى - يا بَنيّ - عليكُمُ ... دَهْياءَ حُبلى ما لها مِيثاقُ

عَوْراءَ تنظرُ للوراءِ وليلُها ... داجٍ وكلُّ دروبِها أنْفاقُ

كم نافخٍ في كيرِها لا يَرْعَوي ... ودُخانُها ضاقتْ به الآفاقُ

قولوا لكلّ مُبشّرٍ بلقاحِها: ... ذي الطائفيةُ فِتْنَةٌ فمحاقُ

قولوا لكلِّ ملوّحٍ بلوائِها ... هذا العراقُ سياجُهُ الأعْناقُ

كم ضَمَّنا في ظِلِّ نخلٍ إخوةً ... والحُبُّ كم دَرّتْ به الأعْذاقُ

ما الدينُ يا أهلَ البصائرِ والنُهى ... إن لم تُرَصِّعْ تاجَه الأخْلاقُ

لا شَكّ عندي أن كلَّ موحّدٍ ... يُذْكي الضَّغينةَ كاذبٌ بوّاقُ

القصة في أدب الطفل الصهيوني

يعيش العالم العربي اليوم صراعاً حضارياً حاداً وقوياً تختلف طبيعته وأساليبه ومظاهره عن صراعات الأمس. فقد تحول الصراع من الميدان العسكري إلى الميدان الثقافي والفكري. وهذا الصراع الثقافي الذي تخوض غماره الأمة العربية اليوم مع القوى الصهيونية، هو معركة بسلاح فتاك خفي، يهدف العدو الصهيوني من ورائها إلى نسف الذاتية العربية بتعريتها من كل مقوماتها عن طريق سلخها ثقافياً والزج بها في متاهات التقليد والتبعية.

د. محمد محمود العطار - السعودية

والأدب نشاط فكرى ووسيلة إنسانية من وسائل التعبير عن الذات، نشأت مع الإنسان وتطورت معه، والأدب فنونه كثيرة منها: الشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، وغيرها من الأنواع التي يعبر الإنسان من خلالها عن ذاته ويجد فيها متعته.

ويعتبر أدب الأطفال وسيطاً تربوياً يتيح الفرصة للأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم ومحاولات الاستكشاف، واستخدام الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة التي يرفضها أدب الأطفال. إنه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق التنمية المتكاملة لشخصية الأطفال وعقلهم وتفكيرهم.

وهكذا، فإن أدب الأطفال يعتبر نوعاً أدبياً وثقافياً مركباً حيث يقصد به الأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة التي تشتمل على أفكار وأخيلة، وتعبر عن أحاسيس ومشاعر تتفق مع مستويات نموهم المختلفة. ويؤثر أدب الأطفال في الحضارة العالمية المعاصرة ويتأثر بها، على عكس التصورات السائدة بين بعض كتاب الطفل من تغليبهم للكتابة المعرفية والثقافية والتاريخية على الجوانب الإبداعية.

فالأطفال بحاجة إلى الأدب الموجه لهم، كالعلم تماماً، سواء أكان في مناهجهم الدراسية أم في حياتهم، لكي يرقى بوجدانهم، ويتمكن من إشباع حاجاتهم المتعددة والمتكاملة [١].

فالأدب رسالة قوية مؤثرة لها وزنها الكبير في الأبعاد الثقافية والتربوية والنفسية والاجتماعية، وتمثل القصة بأنواعها المتعددة دينية كانت أو تاريخية أو اجتماعية أو كانت عن البيئة أو على ألسنة الحيوان، سبيلاً لتحقيق تلك الأبعاد كأحد الأجناس الأدبية التي يضمها الأدب بين دفتيه؛ فهي بتنوع مضامينها تمنح المتلقي فنيات التعامل مع الحياة بما يكتسبه من تنوع ثقافي وغنى في القاموس اللغوي الشخصي [٢].

وأطفال اليهود في فلسطين يخضعون، منذ صغرهم، لعمليات كبيرة من الأساتذة والأدباء الذين يكتبون لهم لإفهامهم أن هذه الأرض هي لهم منذ أقدم العصور، وأنهم يجب أن يدافعوا عنها، وأن على كل اليهود في العالم أن يهاجروا إلى هذه الأرض المقدسة، وأن هذه الهجرة جزء من الدين الذي يؤمنون به، فالأدب الموجه للأطفال - كما يقول «مناحيم ريجيت» - موجه لخدمة أهداف الأيديولوجية الصهيونية ومبادئها، وإن هذا الأدب يؤكد على أهمية أرض فلسطين لليهود، كما أنه في الوقت نفسه يعمل على تنمية روح الولاء لإسرائيل، وحب الدفاع عنها، والتعاون مع الآخرين للدفاع عنها.

وهناك قصص كثيرة ألفت للأطفال اليهود، وكلها تحاول غرس هذه القيم في نفوسهم من منطلقات دينية بحتة، فمثلاً قصة «التائهون في الصحراء» للكاتبة «رانا هبون» تحاول التأكيد على حق اليهود المطلق في فلسطين، لأنهم كانوا موجودين فيها منذ إسحاق وإبراهيم عليهما السلام، ومثلها قصة «سكران في صحة الجميع» للكاتب «يفرح حبيب»، وهذه القصة تحاول ربط الأطفال برموزهم التاريخية القديمة الذين كانوا موجودين في فلسطين، ليؤكدوا للأطفال أن أجدادهم كانوا يعيشون في هذه الأرض منذ القدم، وأن عليهم ألا يفرطوا فيها [٣].

فالكيان الصهيوني الذي لا يتجاوز عدد سكانه أربعة ملايين، يترجم إلى العبرية كل عام ما لا يقل عن (٥٠٠) عنوان من الكتب والمراجع العلمية والثقافية العالمية، بينما لا تبلغ هذه النسبة أكثر من (٤٠٠) عنوان مترجم إلى اللغة العربية التي ترمز إلى أمة يبلغ عدد سكانها (٣٠٠) مليون تقريباً، وهذا دون أن نأخذ في الحسبان عشرات الملايين من المسلمين الذين يتكلمون العربية، ويستفيدون من عطاءاتها. لقد قامت إسرائيل على سبيل المثال بترجمة العهد القديم إلى (١١٣٠) لغة، ووصل عدد النسخ إلى مليار نسخة في الوقت الذي ترجم فيه القرآن الكريم إلى (٤٠) لغة فقط، وبنسب مخجلة بالقياس إلى العهد القديم. وفي هذا الأمر مؤشر كبير على مدى التأخر الثقافي في البلدان العربية مجتمعة، وذلك قياسا بالكيان الصهيوني [٤].

إن أدب الأطفال يدخل ضمن الحرب النفسية التي يقوم بها الصهاينة لتقوية نفوس أطفالهم، وتعزيز موقفهم وغرس روح العداء والاستعلاء في نفوس الأطفال [٥].

إن الصهيونية في الأراضي المحتلة وخارجها تعمل من خلال مرتكزات عملية مدروسة لاستغلال وتسخير كل القنوات الموصلة للفكر والأدب والثقافة والتعليم الموجه للأطفال استغلالاً وتسخيراً بشعاً بغية خدمة الصهيونية وسلطاتها وأدواتها لتنمية الوعي الصهيوني لدى

الأطفال، وغرس المبادئ، وتشكيل الولاءات الدائمة لهذا الكيان. ويرافق ذلك زرع الحقد والغل والكراهية وغيرها من الصور البشعة، والنظرة الفوقية ضد العرب، وتعميق مفاهيم القوة والعداوة، واستمرار تحقيق الانتصارات الدائمة على العرب.

أهمية القصة في أدب الطفل:

انصبت عناية أدباء الأطفال على القصة باعتبارها الفن الأدبي الشائع والذائع لدى الأطفال في سرعة تجاوبهم معه، وتلذذهم بسماعه وقراءته، فيقبلون عليه قبل غيره، ويعتمد عليه الأدباء والتربويون في إيصال رسائلهم التعليمية والتربوية، متخذين من القصة طريقاً للوصول إلى قلوب الناشئة، ومفتاحاً إلى أحاسيسهم، وبثهم الأفكار والقيم والمبادئ من خلال طرح راقٍ للقصة، وأسلوب شائقٍ يلامس شغاف أفئدة الأطفال، ويغرس في نفوسهم حب الخير، وبغض الشر، ويزيد ذواتهم تهذيباً، وعقولهم صقلاً وتنويراً؛ مراعين ميول الطفل واتجاهاته فيما يطرحون من الأدب الهادف الناقد الناصح من غير إهمال للتسلية والإمتاع، ومن غير إغفال لنفسية الطفل التي تمل الوعظ المباشر والتطويل الممل؛ إذ الطفل بطبيعته يحب القصة القصيرة التي تشبع فضوله، وتدغدغ مشاعره، وتنفذ إلى وجدانه بعفوية وبدون تكلف، والتي لا تكلفه من الوقت الكثير، فبعض مراحل الطفولة - وخصوصاً مرحلة الطفولة المبكرة - تكون المدة التي يبقى الطفل فيها مستحضراً تركيزه لا تتجاوز بضع دقائق، وميله الشديد في المرحلة التي تليها إلى الحركة الكثيرة، وتسمى مرحلة التبذير الحركي كما يقرر المختصون. فاقتضى ذلك مراعاة المراحل العمرية التي توجه إليها القصة، وتوظيف أهدافها بما يناسب قدراتهم لتحصل الفائدة المرجوة منها نفسياً واجتماعياً [٦].

وتمثل القصة الفن الأدبي الأكثر أهمية وتأثيراً في الطفل؛ فهي تغذي ميله الفطري إلى المتعة الفنية حين تفتح أمام خياله مجالاً للانطلاق في عالم القصة الفسيح، ومن الأهداف التي تتحقق من رواية القصة، ما يلي:

- تقديم التراث الأدبي للأطفال بطريقة جذابة.
- توفير خبرات جمالية وتذوقية للأطفال.
- تطوير مهارات الاستماع، وزيادة المفردات اللغوية لدى الأطفال.
- توفير الفرص لتدريب الأطفال على الخيال [٧].

مقومات قصة الطفل:

حينما ننظر إلى القصة في عالم الطفولة فهو يعتمد أساساً على المقومات الآتية [٨]:

١- حسن اختيار الفكرة وراء القصة:

بحيث تتلاءم نفسياً ووجدانياً وتربوياً مع المرحلة التي نوجه إليها القصة.

والفكرة الجيدة هي التي تتناول موضوعاً يثير انتباه الطفل، ولا تشكل الفكرة في القصة لمحة عابرة أو سريعة، لكنها تظل في تطور مستمر، وتصاعد دائم في إثارة وطرافة وتشويق، دون الدخول في فرعيات تصرف الصغير عن متابعة الفكرة، وعن القبض على الحكمة أو المغزى منها.

٢- النسيج والبناء:

ويتعلق بمدى التوفيق في إحكام بناء القصة بمنطق مقنع يسير، فإذا كان الكاتب واعياً لهذا الإحكام في الحوادث، فإن الحوادث سوف تتوالى بشكل مترابط محكم كذلك دون صعوبة، وسوف تصور الشخصيات تصويراً جيداً.

٣- الأسلوب:

ونعني به التعبير بصورة واضحة وقوية ومؤثرة وممتعة عن

الفكرة، والأطفال لا يميلون إلى السرد أو الجمل الطويلة المعقدة، أو اللغة الصعبة أو التحليل المطول. فكل هذا يقف حجرة عثرة أمام متابعة الصغير للقصة. والأسلوب القريب إلى الطفل هو الذي يعتمد على البساطة والخيال والإثارة والصدق والجمال جميعاً، وعلى الحوار المباشر الصريح.

نماذج من الأدب الصهيوني في مجال القصة:

على الرغم من أن الأدب، في التجربة الإنسانية على مدى التاريخ الإنساني الطويل، كان وما يزال وسيلة الإنسان للدفاع عن الخير والقيم الإنسانية النبيلة، ونافذته للتمتع بالتجربة الإنسانية، والتعرف على أسرارها وأفراحها وآلامها. فإن تجربة الأدب الصهيوني هي التجربة التي انحرفت عن مسار الأدب الإنساني عبر تجاربه الطويلة، وقد تكون الأولى من نوعها التي توظف الأدب للقيام بعمليات تضليل كبرى تربى عليها أجيال متعاقبة من اليهود معبأة بالكراهية والحقد واحتقار الآخر.

ومن نماذج الأدب الصهيوني في مجال القصة ما يلي:

١ - قصة «الأمير والقمر» للكاتب «يوري إيفانز»، وهذا نصها:

«قالت الصغيرة لي: من الذي سرق القمر؟ قلت: العرب. قالت: ماذا يفعلون به؟ قلت: يعلقونه للزينة على حوائط بيوتهم! قالت: ونحن؟ قلت: نحوله إلى مصابيح صغيرة تضيء أرض إسرائيل كلها.

ومنذ ذلك الوقت، والصغيرة تحلم بالقمر، وتكره العرب، لأنهم سرقوا حلمها وحلم أبنائها.

هذا الصباح جاء أمير صغير إلى بيتنا وقال: هل تقبلونني ضيفاً؟

رضينا به، لكن الصغيرة قالت: على أن تقول لنا من أنت؟

قال: أنا فارس من فرسان الأرض، محارب قديم في أرض إسرائيل. مت صغيراً، لكنني أخرج مرة في كل عام، أطوف في هذه الأرض، وأسأل إن كان شعبي يسكنها أم لا؟

قالت الصغيرة: نحن شعبك، وأنا حبيبتك أيها الأمير.

قال الأمير: ما أروعك!.. أطلب منك الملجأ ليلة واحدة، فتفتحين لي قلبك، أنت يهودية حقاً.

قالت: نعم، كلنا هنا شعب إسرائيل.

ضرب الأمير برمحه وقال: إذاً تحقق الحلم. الآن أستطيع أن أعود إلى قبري مرتاح البال.

تشبثت به الصغيرة، وقالت: لا.. لم يتحقق الحلم بعد.

قال الأمير: كيف؟!

قالت الصغيرة: لقد سرقوا القمر.

قال الأمير (وهو يضرب برمحه مرة ثانية): من؟

قالت الصغيرة: العرب.

بصق الأمير على الأرض وقال: الجبناء! كلهم لصوص وقتلة، ولكن لا بأس.

سألت الصغيرة: وماذا ستفعل؟

قال الأمير: انتظري الليلة، سأعود لكِ بالحلم الجميل.

انتظرت الصغيرة، ألقت رأسها على إطار النافذة وظلت تنظر إلى السماء، ومرت الساعات، ونام الأطفال والنساء والرجال والشيوخ، ولكن الصغيرة ظلت تنتظر، لم تيأس ولم تستسلم للنوم، لأنها تعرف أن أطفال شعب إسرائيل لا يكذبون.

بعد منتصف الليل بقليل، انشقت الغيوم فجأة، ورأت الصغيرة القمر أول مرة، رأته جميلاً ورائقاً، حدقت فيه طويلاً، ثم ركضت إلي وقالت: استيقظ، وقادتني إلى النافذة، وقالت: انظر يا أبي، هل هذا وجه الأمير الصغير؟

قلت: يا بنتي، الذي سرق القمر هو الذي قتل الأمير الصغير.

لم تبك الصغيرة، فقد تحقق حلمها وأشرق القمر على أرض إسرائيل.»[٩].

في هذه القصة محور فكرة الاستيطان، وأنها واجبة عليهم، وحق يجب غرسه في الأجيال الجديدة، وكذلك تكريس فكرة كره العرب وتعبئة الجيل الجديد بالأفكار الصهيونية، وأن القتل هو الحل، وأنه يجب على اليهودي ممارسته.

٢ - قصة «حسمبه ولصوص الخيل» للكاتب الإسرائيلي «إيجال موسينزون»:

يروى أنه عندما كان «مصطفى» يتسلل إلى داخل إحدى المغارات للسرقة، انقض عليه «منشه» أحد أبطال القصة، وفي أثناء التحقيق قال مصطفى بعبرية ركيكة: أنا لا يوجد خيل، أنا لا يوجد أعرف شيء. لقد جاءت الخيل من تلقاء نفسها، إنني أبحث عن سحالي، إن جدتي مريضة للغاية، وعندما تضع عشرين سحلية على ظهرها فإنها تنهض من سريرها.»

ومن الواضح أن هذه القصة تترك في نفس الطفل الإسرائيلي شعوراً بأن العدو الذي تحاربه إسرائيل يتبنى قيماً وعادات متخلفة، ويشعر بأن بلده لا يحتل أرض الآخرين، ولا يضطهد سكانها، وإنما يعمل على تخليص سكان هذه الأراضي من حالة التخلف الاقتصادي والحضاري التي يعيشون فيها[١٠].

٣ - وأما قصة «تحيا الشجاعة» للكاتب الإسرائيلي «مناحيم تلمي»:

فتصور وحشية الجنود العرب من خلال الحوار الذي دار بين القناصة العرب الذين كانوا يوجهون نيرانهم صوب مستوطنة «يعاربا»، وتباهي أحد القناصة قائلاً: طلقة واحدة وانتهى! وقال آخر: إنهم لا يجرؤون على مغادرة بيوتهم. وعندما شاهد أحد القناصة امرأة في المستوطنة قال للآخرين: إنها غنيمة لنا، وسوف آخذ بعض أبقارهم الحلوب، وسأستولي على إحدى فتياتهم.

وفي هذه القصة تشويه لحقيقة الصراع وأهدافه، وهي تزرع في نفس الطفل الصهيوني الشعور بأن هزيمة إسرائيل في المعركة لن تؤدي إلى فقدان سيطرتها على الأراضي العربية فحسب، وإنما إلى العيش في حالة من الذل والاضطهاد.. هذا بالإضافة إلى الوقوع في أسر العرب الذين يعيشون كما تصفهم القصة في حالة مطلقة من التخلف[١١].

وأما الأدب الموجه للأطفال خارج الكيان الصهيوني فتتولى المؤسسة الصهيونية نشره، ففي

أحد معارض الأطفال في إحدى دول أوربا عرضت إسرائيل قصة: كتكوت صغير يقف وحيداً وسط عدد من الديكة المتوحشة التي تلتف حوله تريد الفتك به؟! وينادي الكتكوت إنه لا يريد شيئاً، إنه يريد الحياة في سلام وسط الديكة المتوحشة المعتدية.

وقد طبعت هذه القصة طباعة فاخرة مزدانة برسوم جميلة وكلمات بسيطة.. وستكون ثمرة قراءة هذه القصة أن الأطفال سيقفون إلى جانب الكتكوت «إسرائيل» ضد الديكة المتوحشة «العرب» لينقلب ذلك في المستقبل إلى عداء شديد لمن يمثلون التوحش، وإلى تعاطف كبير مع من يمثل البراءة.

وقد أثمر هذا الأدب، وأعطى نتائجه بحسب ما يريد المخطط الصهيوني، «فالجرائم والمذابح الجماعية للأطفال والشيوخ والنساء هي نتيجة طبيعية لما تبذله الصهيونية من جهود، وما توظفه من إمكانات في تربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم على الحقد والكراهية، وتقبل الأوامر دون مناقشة، وتنفيذ أبشع الممارسات ببرود الأعصاب.

تحليل قصص الأطفال للطلبة اليهود:

عمدت السلطات الإسرائيلية إلى إصدار سلاسل من القصص لتحقيق غايتها، نتناول منها، سلسلة قصص «داني دين»، وهو شخصية أسطورية، خارقة، متفوقة قادرة على هزيمة العرب مهما كانت قدرتهم العسكرية، ومن عناوين هذه السلسلة «داني دين في جهاز التجسس»، «داني دين بطل إسرائيل»، «داني دين في الأسر»، «داني دين في حرب الأيام الستة»، «داني دين في جهاز الاستخبارات»، «داني دين في الطائرة المخطوفة»، «مغامرات داني دين»، «داني دين بين الوحوش الضارية».

وتعتمد هذه القصص على الخيال المفرط في الأحلام، ومحورها «داني دين» الشخص الذي يَرى ولا يُرى، ولذلك يستطيع أن يقوم بالأعمال الخارقة دون أن يراه أو يشعر به أحد. وهذه تنصب كلها حول صورة الإنسان والجندي العربيين والتقليل من شأنهما ونعتهما بالغباء المختلط بالجبن. وقد هدفت القصص إلى غرس العديد من الأهداف التي منها:

- ثقة الأطفال اليهود بجهاز الأمن الإسرائيلي، وترغيبهم في العمل في هذا الجهاز لمصلحة الوطن.
- بذر روح الشك في نفوس الأطفال بالحذر دائماً من جميع الأفراد، إذ إن الجواسيس العرب ينتحلون أسماء عبرية ويتحدثون باللغة العبرية.
- إبراز التقدم في مضمار اختراع وسائل الحرب الجديدة لدى إسرائيل، بحيث تضفي روح الاطمئنان بتفوقهم وسيطرتهم على آلات الحرب والدمار.
- إظهار «داني دين» واليهود عموماً بالعبقرية في تدمير الخطط، وكشف شبكات التجسس دون عناء، وأن «داني دين» مستعد دائماً أن يفعل كل شيء حتى لو كان العمل خطراً جداً.

- إدخال الذعر والرعب في نفوس الأطفال، بأن أي شبكة تجسس لصالح العدو، لابد أن تحتمل وجود جاسوس يعمل لصالح الدولة، ولذلك فلا تعاون بين الجواسيس، فكل منهم يخاف الجاسوس الآخر[١٢].

ويقول اثنان ممن اشتغلوا في الدراسات التحليلية للقصص وكتب أدبيات الطفولة، وهما البروفيسور «أدير كوهين» في كتابه «وجوه قبيحة في المرآة» الصادر عام ١٩٨٥م في تل أبيب، و«نيلي مندلر» الصحفية المتخصصة في شؤون التعليم والتربية في صحيفة هآرتس: إن هناك أكثر من (١٥٠٠) كتاب من أصناف عديدة بين أيدي الناشئة اليهود تمثل ذروة الاستعلاء والفوقية اليهودية التي تلازمها دونية مغرقة في التحقير لكل من هو عربي ومسلم، وأن هذه الكتب يمكن العثور عليها بسهولة في أي زاوية من زوايا الشوارع، أو أي مكتبة شعبية مهما يكن حجمها، أو في مكتبات المطالعة العامة المنتشرة في كل مدينة أو مستوطنة صهيونية[١٣].

وهناك وصفان للأدب والتوجيه التربوي الصهيوني أطلقهما المرحوم الشاعر «معين بسيسو»، و«أنطون شحلت»، الأول وصفه

بأنه (أدب الحلوى المسممة)، والثاني أطلق عليه وصف (أدب التبهم)، ذلك أن هذا الأدب يعبر عن وجهة نظر أحادية الجانب «هي وجهة نظر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية» التي تخلو من كل نظرة إنسانية للإنسان العربي الفلسطيني والعربي والمسلم حيثما وجدوا.

وفي مرحلة تالية أخذ التشويه في أدب الأطفال بعداً آخر، حيث صار يتهم الإنسان العربي بأنه يمارس تجارة التهريب والجاسوسية وخطف الطائرات والعمالة للدول الأجنبية، حيث برز ذلك جلياً لدى «يهوشوع بيبر» في حكايته الخيالية «ورقة فوق الوادي»، وقصة «الفارس من الصحراء» و«الخان على الهضبة» للقصصي «يفال بن نتان».

وفي محاولة من نوع آخر حاول أن يسبغ عليه كاتب هذه القصة الخيالية (فتى في حارة الحدود) حالة من التعايش العربي اليهودي إلا أن مؤلفها «ل. شاؤول» أوحى لقرائه أن الصهيونية في حقيقتها ليست منظمة عنصرية استعمارية، بل هي حرب على الفقر، والحياة البدائية جاءت لتحل مشكلات المهاجرين اليهود الجدد ومعضلات المستوطنين، وجمع الشتات اليهودي الذي يتحمل مسؤوليته العالم بأسره، والعرب بشكل خاص، حيث عليهم أن يسهموا في جمع هذا الشتات، لأن جمع شتات اليهود

سيعود بالفائدة على الإنسان العربي، وأن إسرائيل التي تجمع كل اليهود ليست نقمة بل نعمة، فبناء المجتمع الإسرائيلي الواحد يبعث الراحة والطمأنينة للأجيال. أما أعياد إسرائيل فتبعث الفرح والمتعة والتسلية لدى الإسرائيلي، فيما تبعث على الإحباط لدى العربي[١٤].

وهكذا يوظف الأدب عند اليهود لخدمة أغراضهم السياسية وأهدافهم التوسعية ومخططاتهم الصهيونية، وعلى الرغم من أن الأدب في التجربة الإنسانية على مدى التاريخ الإنساني الطويل، كان ومايزال وسيلة الإنسان للدفاع عن الجمال والخير والقيم الإنسانية النبيلة، ونافذته للتمتع بالتجربة الإنسانية، وسبر أغوارها، والتعرف على أسرارها وآلامها وأفراحها؛ فإن تجربة الأدب الصهيوني هي التجربة التي شذت عن مسار الأدب الإنساني عبر تجاربه الطويلة، وقد تكون الأولى من نوعها التي توظف الأدب للقيام بعمليات تضليل كبرى تربى عليها أجيال متعاقبة من اليهود معبأة بالكراهية والحقد واحتقار الآخر، مزودة بالأكاذيب والتاريخ المزور والأضاليل.

إن أدب الطفل الإسرائيلي يتم كتابته بناء على إستراتيجية محددة حيث يرتبط بالمتغيرات السياسية على الأرض. وفي الواقع، إنه أدب يقوم على تغذية الطفل بالأفكار والخيالات والأحداث التي تدعو إلى نبذ العرب وكراهيتهم، وغرس العنف والتعصب والعدوان داخل الطفل■

الهوامش:

(١) عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح (٢٠٠٢م): «القراءة للأطفال الصغار بواسطة الكبار»، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ٢، العدد ٥، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، ص١٨٧.

(٢) الغامدي، نورة أحمد (٢٠١٣م): قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ص٢٣.

(٣) الهرفي، محمد علي (١٤٢٦هـ): «تربية الأطفال بين العرب وإسرائيل»، مجلة الحرس الوطني، السنة (٢٧)، العدد (٢٨٤)، رئاسة الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ص١٣٠.

(٤) وطفة، علي أسعد (٢٠٠٦م): «ثقافة الطفل العربي في زمن التحديات»، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣١، العدد ٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص١٩٦.

(٥) العطار، محمد محمود (٢٠٠٥م): «فلسفة التربية في الفكر الصهيوني»، مجلة المنار الجديد، السنة ٨، العددان ٣٢/٣١، دار المنار الجديد للنشر والتوزيع، ص٧٣.

(٦) الغامدي، نورة أحمد (٢٠١٣م): مرجع سابق، ص٢٣.

(٧) شحاتة، حسن (٢٠٠٢م). النشاط المدرسي مفهومه ووظائفه ومجالات تطبيقه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص٥٩.

(٨) إبراهيم، محمد عبدالرازق، ويونس، هاني محمد، وحافظ، وحيد السيد (٢٠١١م)، ثقافة الطفل، دار الفكر، عمان، ص٢٢١.

(٩) نجم، السيد (١٤٢٦هـ): «حول أدب الطفل العبري»، مجلة الحرس الوطني، السنة (٢٧)، العدد (٢٨٤)، رئاسة الحرس الوطني، المملكة العربية السعودية، ص١٠٤-١٠٥.

(١٠) يحيى، يحيى بشير حاج (١٤٢٦هـ): «أدب الأطفال الصهيوني عدواني لا إنساني»، مجلة منار الإسلام، السنة (٣١)، العدد (٣٦٢)، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة، ص٤٥.

(١١) المرجع السابق، ص ٤٥.

(١٢) رشيد، هارون هاشم (١٤١٨هـ): «الصهيونية في الكتب المدرسية الإسرائيلية» في: التعليم في إسرائيل ديني أم علماني- كتاب المعرفة ٢، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ص١١٣-١١٤.

(١٣) سمير سمعان، عمار الحافي، إبراهيم أبو جابر، سعيد أبو فرج (٢٠٠٤م): العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية، ط١، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ص٩٠.

(١٤) المرجع السابق، ص١١٢-١١٣.

ومنْ يكتُمْها..

د. وليد قصّاب

إنه يعرف الحقيقة كلّها.. لا يخفى عليه خيط من خيوطها.. واضحة أمامه مثل الشّمس في رابعة النّهار.. يعرف «عمر» مثلما يعرف نفسه، وقد يرتاب في نفسه ولا يرتاب فيه.. عمر أنقى من ضوء الفجر، وأصفى من الماء الزُّلال. صديقه في الدراسة والعمل منذ أكثر من عشر سنوات. خَبَره في مواقفَ لا حصر لها. ما عرفه إلا نظيف اليد واللّسان، عفّ الجوارح والفؤاد.

بريء براءة الذّئب من دم ابن يعقوب. لفّقوا له هذه التّهمة الحقيرة؛ لأنه رجل ضعيف، لا حول له ولا طَوْل. صاروا جميعًا إلْبًا عليه؛ لأنه لا سند له، ولا دعم، ولا وساطة، فصار لهم طُعمًا سهلاً، لا بواكيَ له. وكذا – كما يقول زميلهم عادل- شأن الضّعفاء في كلّ زمان ومكان، يصيرون دائمًا دريئة من يريد أن يتعلّم الرّماية.

حسين – مدير الدّائرة- هو المجرم الحقيقيّ، هو الذي يرتشي ويقبض باستمرار، كأنّ المؤسسة مزرعة أبيه، يتصرّف فيها كما يشاء، يسرق من أموالها في كلّ يوم، جميع موظفي المؤسسة يعلمون ذلك علم اليقين، ولكنْ من ذا الذي يجرؤ منهم أن يتكلم؟ يعرفون جميعاً نفوذ الرجل، وأقاربه وأصدقاءه الذين في السلطة، يخشون بأسه، وإن بأسه لشديد.

ولابد أن تلبس التهمة أحدًا من الضعفاء، وعمر هو الحائط الواطئ الذي يستطيع أن يركبه كلّ أحد. في همس غير مسموع دار بينه وبين عادل، أحد زملائه الطيبين في المؤسسة؛ قال له عادل، وهو

يتلفت يمنة ويسرة، ويخافت بصوته خشية أن تفتح الجدران آذانها فتسمع شيئاً:

- حسين مدعوم.. واصل.. له ظهر قوي.. وراءه الـ...، وغمز بعينه، فبادله عثمان الهمس قائلاً:

- ولكن عمر بريء.. أنت تعرف ذلك يقيناً لماذا يؤخذ بها..؟

قال عادل:

- لأنه لابد أن يحملها أحد..

قال هامساً يتلفت هو الآخر يميناً وشمالاً:

- لماذا لا يسجلونها ضد مجهول كما يحصل أحياناً؟

وبالهمس نفسه أجاب عادل:

- لأن حسين - مدير الدائرة - يريد إيهام المسؤولين بمهارة من مهاراته...

ولم يكمل، فقال عثمان مستفهمًا:

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن مدير الدائرة المحترم يريد أن يسجّل قدرته على اكتشاف الاختلاس في دائرته، وأن عينه ساهرة تستطيع اكتشاف المتلاعبين وتقديمهم إلى العدالة.

* * *

كان ضميره يخزه وخز الإبر وهو يرى بأمّ عينه الخنّاقَ يضيق حول صديقه البريء عمر.

تُخفى أوراق، وتُختلق مستندات، وتُزوّر وثائق، وتُغيّر توقيعات، والجميع يشارك أو يسكت، كلّ يتملق المجرم الحقيقي خائفاً من نفوذه، أو طامعاً في نواله.

خرست كلمة الحق على ألسنة الجميع، كلٌّ عارف، ولكنّ الطيبين صامتون، والأشرارَ مشاركون في الزور.

عثمان يعرف الحقيقة، وتحت يديه أدلة ومستندات؛ فقد كان - بحكم موقعه في المؤسسة - مطلعًا على كل شيء. هل يجوز أن يظل ساكتاً عن الحقّ؟ أيكتم الشهادة؟ وإذا فعل ونجا من عذاب ضميره الذي أصبح سوطاً يجلده ليل نهار أينجو من عذاب الله؟

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ * وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة-٢٨٣)، كان داخله يشتعل كالبركان، ولا بد ممّا يخمد له هذا البركان وإلا احترق به.

كان عادل - أقربُ المقرّبين إليه - يحسّ بما يعتمل في داخله، وكان خائفاً عليه أن يتورط فيفكر في مواجهة الإعصار. همس له ذات يوم، وقد أتيحت لهما خلوة لا تراهما فيها عين من العيون المبثوثة في كلّ مكان، محذّرًا:

-إياك أن تلعب بالنار يا عثمان.. أنت رجل ضعيف مثل عمر، قوتك وقوت عيالك في أيديهم، بل حياتك كلها في أيديهم، هؤلاء قوم ظلمة يسحقون كلّ من يقف في وجههم.

قال من قلب محروق:

- وعمر يا عادل؟ هل ندعه حتى يلتف حبل المشنقة حول عنقه، أو يُلقى في غياهب السجن؟

قال عادل محذّراً:

- إياك أن ترتكب هذه الحماقة..

قال عثمان محتداً:

- حماقة؟

- حماقة.. لأنه لن يستمع إليك أحد.. صوت القوي فقط هو المسموع.. ستلقى مثل مصير عمر من غير أن تنقذه..

- وهل أكتم الشهادة؟

قال عادل محاولاً امتصاص انفعال عثمان:

شهادتك ستجر عليك الهلاك.. ستدخلك السجن مع عمر ولن تنفعه في شيء.. فأبقِ على نفسك.. الحي أولى من الميت.. تذكر أهلك عيالك، ثمّ أضاف:

- وقد تنفعه وأنت خارج السّجن أكثر ممّا تنفعه وأنت معه في داخله.

* * *

لم يستطع عثمان أن ينام في تلك الليلة. غداً موعد الجلسة التي يُستمع فيها إلى الشهود، ثم يُنطق بالحكم.. كلهم ضد عمر، كلهم بخيل بالحق لا يريد أن يُصحِر به.

كلهم يهادن القوي، ويتملقه، ويخشاه، كلهم نفى أيّ شبهة عن حسين، جعله - وهو المجرم - كحمامة بيضاء. أي ظلم هذا؟ لا تزال أسماك القرش تأكل الأسماك الصغيرة.

لماذا يسرق حسين، وينهب أموال الدولة ليل نهار ولا يحرك أحدٌ ساكناً؟

أما يكفيه ما عنده من عمارات وعقارات... و... و...؟ ألا يشبع هؤلاء الكلاب؟ إن خزائنهم مثل جهنم كلما امتلأت قالت: هل من مزيد؟ ولماذا قَمُؤَ الناس، وجبُنوا، وعمُوا، حتى صاروا يرون الباطل حقاً والحق باطلاً!؟

يقول له عادل الساكتُ الأخرسُ مثلهم في إحدى محاوراتهما:

- لأن حاميها حراميها.

* * *

لا تفارقه صورة عمر وهو يُساق ذليلاً خائفاً، وقد وضعوا القيود في يديه، وسحبوه من وراء مكتبه كما يُسحب الكلب الأجرب. كان يلتفت إليهم مستنجداً، وهو يقول:

- كلكم تعرفون اللصّ الحقيقيّ، ولكنكم تخافون من قول كلمة الحقّ. لماذا صرتم أجبن من الصراصير؟ أيها الساكتون على الباطل ألا تخافون بطش المنتقم الجبّار؟

أخذته سِنة خفيفةٌ من نوم، ثم صحا فزعاً. كان صوت عمر يدوي في أذنيه كصافرة إنذار:

- أيها الساكتون على الباطل! ألا تخافون بطش المنتقم الجبّار؟

ثم صدح في أذنيه صوت الإمام وهو يقرأ في صلاة الفجر: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ * وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة-٢٨٣). هبّ من فراشه واقفاً، وعجِل يتوضأ ليدرك صلاة الصبح مع الإمام. عاد من الصلاة، فدخل غرفة أولاده يقبلهم ويدعو لهم واحداً واحداً. همس بينه وبين نفسه وهو يغادر غرفتهم:

لكم الله.. وليَ الله..

ثم دخل غرفته، فلبس ثيابه في صمت، وغادر المنزل متوجهاً إلى المحكمة■

لا يستظلُّ الراحلون سوى بقيظ قلوبهم

عادت.. تسجل في سجل الزائرين زيارتي
وأنا أسجل في سجل الضائعين ضياعي!
هل أعجبتك اللعبةُ
استلبتك عند وداعنا
حتى استويت على يدي
جرحاً بعمق وداعي!
كلُّ الدروب تسير بي لنهايتي
وأنا أسير مع الدروب مُسَرْبلاً بفجيعتي
ومحاصَراً بجياعي
لن تقرئي بوجوهنا غير الأسى
واليُتْم والليل الطويل
وهمْهَمات السائرين التائهين بلا شعاع
سطَّرْتُ حزنَ البائسين بواجهات قصائدي

أشرف محمد قاسم - مصر

وكتبتُ عن زمنِ اللصوصِ وعن لُهاثِ الراكضين
الآن خلف رغيفهم
وكأنهم سقْطُ المتاع!
وكتبتُ عن ألم يسافر في دماء الراحلين
بلا هدى غُرباءُ في كل الموانئ والشطوط
ومركبُ الغرباء في وطني بغير شراع!
لا يستظلّ الراحلون سوى بقيظ قلوبهم
لا تستقر لهم حياةٌ فوق أرض
إنهم مثل القطيع إذا اجتواهُ الراعي
هل تسمعين الآن رجْعَ أنينهم؟
تستخرجين لهم صكوكَ فكاكهم من أسْرهم
تسقيهمُ الفرَحَ المُعَتَّقَ في بعيد القاعِ؟!
أشجارنا يبُسَت وجفَّت أرضُنا
ما أثمرتْ إلّا تلالَ الملحِ والأوجاعِ!
هل تفتحين لنا بساتينَ المُنى؟
كي نستظلَّ هناك
تحت كروم أيام الغرامِ يلفُّنا ريُّ الهوى
وروائحُ النَّعْناعِ؟
ما بيننا «إفكٌ ومحضُ خديعة»
قال الذين بلا دليل سائرون
يُطَأْطئون الهامةَ الشمَّاءَ في ظلِّ انتكاستهم
بلا بلح الشآم ولا كروم حضرموتي
أمامهمُ السرابُ وخلفهم «جيشُ الدفاع»!
نبكي على وطنٍ بلا وجه صريح نصطفيه
وليس يشعر بالصبابة غير مَنْ عانى الصبابةَ
يرتدي في كل أمسية قناعاً زائفاً
لن «يسلمَ» الوطنُ البهيُّ من الأذى»
حتى يحق على الذين تناهبوا أرزاقنا قطْعُ
الذراعِ!.

في أروقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقاعاتها عايش أساتذة الأدب الإسلامي وروادها، وتتلمذ عليهم من أمثال الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح، وأخذ منهم تحمل همّ الأدب الإسلامي تنظيرا وإبداعاً، بالكلمة المسموعة والمقروءة، والمهنة والهواية، وصار من الشخصيات البارزة الذين يشار إليهم بالبنان ذلكم هو الأستاذ الدكتور الأديب عبدالله صالح العريني، أجرت معه مجلة الأدب الإسلامي هذا الحوار:

الدكتور عبدالله العريني لـ(الأدب الإسلامي)

أنا متفائل جداً بالمستوى الذي تظهر عليه مجلة الأدب الإسلامي

حوار: التحرير

■■ في كتابكم (منهج الأدب الإسلامي) ثمة بعض التغيير في تعريف الأدب الإسلامي عن التعريف الذي ارتضته رابطة الأدب الإسلامي. ما الداعي لهذا التغيير؟ وهل يضيف جديدا؟

■ اختارت الرابطة أن يكون تعريف الأدب الإسلامي هو (التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي).

وهو بمجمله يفي بالمطلوب، ولكنه يحتاج إلى صياغة أدق. مثلا التعريف يبدأ بعبارة (التعبير الفني) وهذا فيه عموم لأن التعبير الفني بهذا الإجمال يخرجنا من حيز الأدب الإسلامي إلى حيز الفنون الجميلة الأخرى التي تمثل كل واحد منها تعبيرا فنيا تارة باللون والفرشاة، وتارة بالصوت والنغم، وتارة بالحركة.

ولكي نكون دقيقين يجب أن نقول: (التعبير بالكلمة الفنية) لأن الأدب في أدق التعريفات العالمية هو فن الكلمة.

شيء في التعريف لا أدري ما مدى الحاجة إليه وهو قولنا: (الهادف عن الإنسان والحياة والكون).

لأن هذا من باب توضيح الواضح، فكل أدب من الآداب هو تعبير عن تلك الأمور من وجهة نظر كاتبه.

التعريف الناضج هو التعريف المختصر الدقيق الذي ينفي عنَّا فضول القول، ويبقي على ما هو مهم فقط، لذا أرى أن يكون تعريف الأدب الإسلامي (التعبير بالكلمة الفنية وفق التصور الإسلامي)، برأيي هذا التعريف مختصر لطيف يفي بشروط الأدب الإسلامي كلها.

حدود لا قيود

■■ **لنكن صرحاء، ونجيب عن سؤال طالما طرحه الآخرون هو: كيف للأديب الإسلامي أن يكتب أدبا جميلا في ظل القيود الملازمة للقيم؟**

■ الموجود في الأدب الإسلامي حدود لا قيود، هنالك إلى حد كبير حدود في كل نوع أدبي، وفي كل مدرسة أدبية، لكنها مع ذلك لا تمنع الإبداع، ولا تقلل فرص النجاح.

هي مثل الإطار الذي يحيط باللوحة الفنية، ومثل المضمار الذي يضبط سير الخيول باتجاه الهدف فقط.

في مجال القيم الإسلامية بالذات الأمر إيجابي أكثر مما نتصور، فالقيم الإسلامية تطلق قدرات الأديب وتحمله على أجنحة الخيال في سماوات الإبداع المختلفة.

القيم الإسلامية تؤكد على الإتقان: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

وأعلى من درجة الإتقان درجة الإحسان: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء). والأدب من تلك الأشياء، إنها معانٍ تحفز الأديب على أن يكون في المقدمة دائماً، وأن يحصد الجوائز المختلفة تقديراً لإتقانه وإحسانه.. هذا المعنى بهذه القوة وبهذا الوضوح ميزة - ولا شك - للأدب الإسلامي.

مجلة الأدب الإسلامي

■■ **ما رأيك بمجلة الأدب الإسلامي وأنت أحد مستشاريها، ألا يمكن أن يكون لها دور أكبر من دورها الحالي؟**

■ أنا متفائل جداً بالمستوى الذي تظهر عليه المجلة، حينما نوازنها بمجلات أدبية أخرى في عموم العالم العربي سنجد أنها بخير، هناك مجلات تصدر من هيئات ومؤسسات كبيرة ولكنها تنام نومة أهل الكهف إلى الحد الذي حمل على إيقاف إصدارها أو التقليل من المطبوع من أعدادها.

هذا لا يعود إلى ضعف تلك المجلات، بقدر ما يعود إلى المنافسة الحادة من عالم

الاتصالات الرهيب، واعتماد ثقافة الصورة إلى حد كبير، وإلى وتيرة السرعة العالية في الحياة، التي تجعل القراء في العالم العربي تحديدا تمثل اهتماماً هامشياً.

بكل أسف صانعو التقنية ووسائل التواصل الاجتماعي في الشرق والغرب ما زالوا يقدرون القراءة ويهتمون بها. إحدى دور النشر في أمريكا إيرادها السنوي من بيع الكتب أكثر من مليار دولار؟! إنه مؤشر إلى أن القراءة هي الأصل.

الأدب والتفاؤل

■■ أعمالك الروائية وقصصك القصيرة تسودها كلها تقريباً روح التفاؤل، ما سبب ذلك؟

■ أنا متفائل بطبيعتي... ومع مرور الوقت وجدت صدق أبيات الشعر العالمي التي تقول:

إن أجمل الكلمات هي التي لم نقلها بعد، وأجمل الأصدقاء هم الذين لم نقابلهم بعد، وأجمل البلاد هي التي لم نزرها بعد، وأجمل الأيام هي التي لم نعشها بعد.

من الخطأ القاتل التمسك ببعض الأشياء وكأنها قصة حياة أو موت. المبادئ وحدها هي التي لها الأولوية المطلقة، ويجب أن نضع بالاعتبار احتمالات أخرى ربما كان الخير كل الخير فيها..

تذكرني الشخصية المتشائمة بشخصية الشحاذ المتسول الذي لا يفرح ولا يبتسم ولا يبتهج أبداً، إنه يدعي المرض وهو صحيح معافى، والفقر وهو غني. المتشائم تضيق عليه الأرض بما رحبت، أعمى عن رؤية الفرص الذهبية السانحة، وعكس ذلك المتفائل الذي يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة.

نجيب الكيلاني

أغبط إيليا أبي ماضي على شعره المتفائل، وأنفر من أبي العلاء المعري في سوداويته وتشاؤمه.

الأدب الحق هو الذي يدعوك إلى التفاؤل، وأن تردد مع الشاعر العربي قوله:

واقبل من الدهر ما أتاك به
من قرَّ عيناً بعيشه نفعه

في مؤلفاتي أريد أن أضخ في عروق قرائي كميات كبيرة من الخلطة السحرية، إذا نجحت مؤلفاتي في ذلك فهو مؤشر نجاح أعتز به.

الموضوع الروائي

■■ يرى نجيب محفوظ أن الموضوع ليس من الفن، وأن الفن بعد اختيار الموضوع، في كتابك عن نجيب الكيلاني وصلت الى أن الاختيار للموضوع جزء من الفن، لأن الأديب لا يكتب في أي موضوع، وإنما يظل يفاضل بين الموضوعات إلى أن يستقر رأيه على واحد منها، كيف يمكن أن يصدق ذلك في أعمالك الروائية؟

■ وجهة نظري أن اختيار الموضوع من الفن، هنالك دافع يدفعك إلى موضوع ما، تراه مهماً، نجيب محفوظ حينما قرأ

عن سفاح الإسكندرية وجد نفسه أمام موضوع روائي فكتب من وحي ذلك روايته الشهيرة (اللص والكلاب).

في أعمالي الروائية كنت أختار الموضوع بناء على شعور خاص بأهميته، وضرورة تمثله في شكل رواية من الروايات، فمثلا وجدت صورة العربي المبتعث إلى الغرب صورة مأزومة مهزومة ليس فيها من الإيجابية شيء، غارقة في الجنس واللهو، بعيدة عن الجدية، أنظر تلك الشخصية في (موسم الهجرة إلى الشمال)، و(الحي اللاتيني)، و(عصفور من الشرق)، شعرت بأهمية أن أكتب عن الوجه المشرق لها وهو موجود..... لكنه لم يسلط الضوء عليه.

في روايتي (دفء الليالي الشاتية)، عد بعض النقاد شخصية (عبدالمحسن) و(أمل) شخصيات مثالية بينما استقيتهما من الواقع. هنالك ألف (عبدالمحسن)، وألف (أمل)، ولكنها لا تحظى بإبرازها والاهتمام بها.

في رواية (مهما غلا الثمن) وفي مجال الشخصيات الإندونيسية تحديداً كنت أصور الحياة في ظل المبادئ، مبدأ

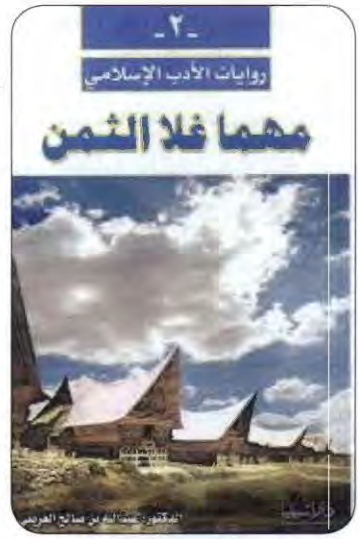

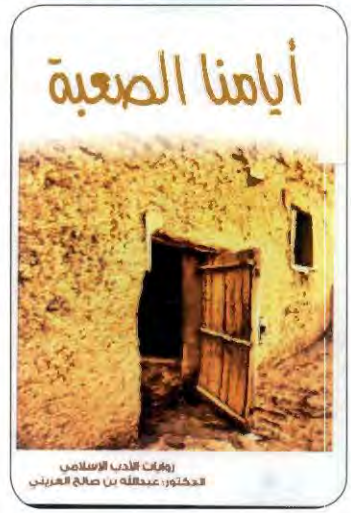

الصبر في صورته الإيجابية، وليس في صورته السائدة التي يظهر فيها بمظهر الرضى بالقليل، وقبول الإهانة، وعدم التغير إلى الأفضل، الصبر الإيجابي عكس ذلك تماماً.

رواية (مثل كل الأشياء الرائعة) تنضو الحجب عن بلد عربي مسلم، لا نعرف عنه إلا القليل، ويعيش على مفترق الطرق بين التعريب والتغريب.

شخصية (مهدي موهيلي) أكثر من كونه مواطناً قمرياً هو صورة من صور الوعي الذي يحتاجه المشهد المعاصر.

في رواية (أيامنا الصعبة) لوحات متعددة للماضي القريب.. ماضي أجدادنا الذين كانوا فقراء جداً في الجانب المعيشي، وأغنياء بامتياز في الجانب القيمي، (أيامنا الصعبة) تنعش الذاكرة بصور من الجوع الكافر الذي حط رحاله في بلادنا وطال به المقام، ثم أعقبه ما نرى من ترف مسرف لدى بعض أبنائنا، من المهم استحضار موضوع الرواية لأنه أساس في هويتنا وشخصيتنا.

◁◁ القصة القصيرة أسهل

■■ أيهما أحب إليك وأسهل: الرواية أو القصة القصيرة؟

■ من حيث السهولة القصة القصيرة أسهل بكثير، الفرق بينها وبين الرواية – كما يقول نجيب محفوظ – هو الفرق في بناء حجرة واحدة وبناء عمارة متعددة الأدوار.

بالنسبة لتفضيل بعضها على بعض الأمر يتوقف على الميول الخاصة، الرواية بعامة تخلد الأديب، وتمنحه فرصاً أوسع مما

تمنحه القصة القصيرة، ومع ذلك ففي القصة القصيرة من العفوية والبساطة ما لا نجده في الرواية الطويلة. إحدى قصصي القصيرة بعنوان (أشياؤهم الصغيرة)، هي في فكرتها مفتاح لفهم التعامل مع الآخرين، دائما ننظر إلى حاجاتهم على أنها أشياء صغيرة، بينما هم يرونها أشياء كبيرة، والعكس صحيح فيما يتعلق برؤيتنا لحاجاتنا. تأثرت في كتابة القصة بما كنت أسمعه في إذاعة (هنا لندن) قبل عقود من الزمن، كانت إذاعة (هنا لندن) هي الأولى في الأهمية، وفي المجال الأدبي تبارى كبار الأدباء العرب للمشاركة فيها، وساعدها على النجاح مهنية عالية في الإلقاء الإذاعي المؤثر، جعلت الاستماع لتلك القصص شيئاً جميلاً محبباً.

الموهبة تفرض نفسها

■■ بدأت ناقداً، وانتهيت أديباً، ما تفسير ذلك؟

■ لم أرد أن أبقى على ضفاف التنظير، لوقت طال أمده كنت أشعر بنفس شعور الناقد العربي الذي قيل له: لم لا تقول الشعر وأنت أعرف الناس به؟

فقال: ما أرتضيه لا يأتيني، وما يأتيني لا أرتضيه..!!

وهكذا ظل طوال حياته ناقداً، ومات ناقدا..!!

بالنسبة لي كانت الرغبة في الكتابة الإبداعية تلح على خاطري، تلوح لي في الأفق تارة، وتختفي تارة أخرى، وحينما أعطيت الإبداع بعض الوقت قدمت فيه أكثر مما قدمت في مجال البحوث النقدية. كم أتمنى أن أعطي الإبداع كل الوقت..!!

الحلم الكبير

■■ هل ثمة حلم لم تستطع تحقيقه، وتود أن يتحقق اليوم أو غداً؟

■ يمكنك أن تحلم بالكثير لكنك سوف تنفق الأيام والليالي في تحقيق حلم واحد.

كنت وما زلت أحلم بكتابة التاريخ الإسلامي بأسلوب روائي، أمر مؤسف أن يفعل ذلك كاتب غير مسلم وهو (جرجي زيدان)، ويضع في مؤلفاته الكثير مما يعكر صفو العمل، حيث يظهر فيه التحيز ضد القيم والشخصيات والأحداث الإسلامية.

وأسلوب روايات (زيدان) في جانبها الفني أضعف بكثير مما يتقبله الفن الروائي اليوم، ومع ذلك فقد سدت - ولا تزال - ثغرة في حياتنا الثقافية.

■■ ولماذا لا تفعل ذلك أنت؟

■ لسنا ملزمين بتكرار التجربة واستنساخها في صورتها الفردية، هناك خيار أفضل وأسرع.

■■ ما هو؟

■ يمكن أن نعمل المشروع في صورة مبادرة يتم إطلاقها على هيئة مسابقة أدبية عامة يتنافس

عليها العرب من المحيط إلى الخليج، مكاتب الرابطة تستطيع أن تسهم إسهاماً فعالاً، وذلك بإقامة حلقات نقاش تستعرض فيها الموضوعات والشروط والآليات، وتتلاقح الأفكار لتظهر المسابقة أفضل ما يمكن. مجلة الأدب الإسلامي يمكنها أن تكتب وتستكتب في هذا المشروع من خلال عمل ملف ثقافي.. المهم أن نبدأ ونعمل ليغدو هذا الحلم الكبير حقيقة واقعة.

◁◁ قصص الأنبياء

■■ مؤخراً كتبتم للأطفال مجموعة من قصص الأنبياء؛ نريد أن نعرف المزيد عن هذا الإصدار؟

■ قصص الأنبياء التي كتبتها ليست للأطفال كما تضمنه سؤالك، ليس لأن الكتابة للأطفال شيء قليل الأهمية أبداً، بل لأنها بالفعل كتبت بأسلوب أرقى بكثير مما يتطلبه الشرط الفني للكتابة للطفل، ولم يكن الأطفال فئة مستهدفة يوم كتبت تلك القصص.. لقد أردت بها فئة الشباب تحديداً.

■■ وما الجديد فيها؟

■ قياساً على قصص الأنبياء الموجودة؛ فيها الكثير من الجدة والطرافة، يكفي أنني حرصت على

تحقيق الأخبار والوقائع فيها بشكل واضح، وأنها محصلة لتجاربي في كتاباتي القصصية السابقة، فاستفدت من تجاربي لكي أقدم هذه القصص بتقنية فنية مميزة بدءاً من اختيار العنوان، والحرص على فنيته ورمزيته وجماليته، فلم أقل: قصة موسى (عليه السلام)، ولكن جعلت القصة تحت عنوان (شاطئ الوادي الأيمن)، ولم أقل مثلا: قصة يونس (عليه السلام)، ولكن جعلت القصة تحمل هذا الاسم: (صلاة في بطن الحوت)، والأمر ينسحب على كل هذه القصص.

سرت على تقسيم القصة في فصول فنية متتابعة، بدأت كل قصة وأنهيتها في نفس المشهد الذي بدأها به القرآن الكريم وأنهاها به. أكملت القصة القرآنية بإضافات نفيسة جداً من أخبار الأنبياء في الحديث الشريف.

■■ ووظفت فيها الإسرائيليات؟

■ نعم

■■ ولماذا؟

■ ليس الأمر ممنوعاً على إطلاقه، الأخبار الإسرائيلية مذكورة في كل كتب التفسير، وهنالك أمر نبوي بأن نحدِّث عن بني إسرائيل ولا حرج، وهو يعطي فضاء واسعاً لقبول الكثير من أخبار الأمم السابقة، ولكن العلماء اشترطوا شرطين لقبولها.

■■ ما هما؟

■ ألا تعارض تلك الأخبار الكتاب والسنة، ولا تقدح بعصمة نبي.

■■ وهل التزمت بذلك؟

■ نعم.

◁◁ سيرة الرسول ﷺ

■■ وماذا عن سيرة سيد الأنبياء، لم لا تتوج عملك في هذه المجموعات القصصية بها؟

■ هذا ما حدث بالفعل، لكن كتابي عن رسول الله ﷺ يدخل في إطار كتب السيرة لا كتب القصص، هذا هو المعتمد في مجال الدراسات حول حياة الرسول ﷺ.

عندما انتهيت من كتابة مجموعة قصص الأنبياء أصبح من المحتم أن أكتب عن سيدهم ﷺ، وبالفعل كتبت السيرة النبوية في كتاب واحد استعرضت فيه أهم المنعطفات في السيرة العطرة. شجعني على ذلك قول أحد السلف: كنا نعلم أبناءنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن..!!

◁◁ كتاب في تطوير الذات.

■■ **ما جديدكم؟**

■ كتاب في تطوير الذات.

■■ **ولماذا في تطوير الذات، وليس في النقد أو الإبداع؟**

■ اتصلت أسبابي بكتب تطوير الذات منذ بداية حياتي، وأنا قارئ نهم لها، وأشعر بكثير من الألفة والمحبة نحوها..

وهذا الكتاب الذي أرجو أن يرى النور قريباً هو حصيلة أربعين عاماً من القراءة في كتب تطوير الذات، وحضور العديد من الدورات، تطوير الذات في مجمله ليس علماً صرفاً، في تقديري إنه إلى حد كبير مزيج من القراءة والثقافة والتجارب والخبرات العامة والخاصة.

د. سعد أبو الرضا

د. علي الحمود

■■ **في المكتبة كمٌّ من كتب تطوير الذات ما قيمته التنافسية؟**

■ أجزم إلى حد كبير أنه يتسم بميزات تحسب لصالحه، وهي ثراء مادته، وأنه سهل القراءة، وسهل التطبيق، وهذا يكفي ليجعله مقبولاً عند القارئ.

■■ **ما اسم الكتاب؟**

■ الاسم قابل للتغيير في آخر لحظة.. اختيار اسم الكتاب شبيه باختيار اسم المولود، يأخذ أحياناً بعض الوقت قبل الاستقرار على واحد من الأسماء.

◁◁ شكر وتقدير

■■ **في رحلة كل أديب أيد امتدت إليه تساعده وتدعمه، من أصحاب تلك الأيدي في حياتك الأدبية؟**

■ أعتز كثيرًا بزملاء وأصدقاء كثر يضيق المقام عن ذكر أسمائهم والتنويه بهم فرداً فرداً، بمثلهم تطيب الحياة، استفدت بالفعل من ملاحظاتهم وتصويباتهم، وبكلماتهم الداعمة المشجعة أسرجت خيول موهبتي.

وفي مجال الرواية تحديداً أنا مدين بشكر خاص لكل من الأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا، والأستاذ الدكتور علي الحمود، لقد أعطيا رواياتي اهتماماً خاصاً، وكتبا عنها تعريفاً وتقريظاً وقراءات نقدية متعددة دعمت مسيرتي، وأنارت لي الطريق، أعجز حقيقة أن أوفيهما ما يستحقان من الشكر الجزيل، والثناء الجميل ■

غرفتي

سالم رزيق بن عوض - السعودية

غرفتي مصنع آمالي وفي ... جوفها أمتشق الصبر الطروبا
يحفر الصبر على الباب وفي الـ ... ـباب أرى للصبر تمثالاً عجيبا
لوّن الهم سما جدرانها ... بالغرابات سما فيها وجيبا
يتهادى في الفراغات كما ... يتهادى الليل مفتوناً رهيبا
يعشق الصمت دمى أحجارها ... ويقيم الوهم محروساً مهيبا
يتراءى في صدى أنفاسها ... حاملاً ميتاً وتابوتاً لغوبا
ويكاد السقف يقتات الأسى ... وترى الأشباح تأبى أن تثوبا

* * *

غرفتي مأوى لتجار الأسى ... وملاذ الليل تجتر الكروبا
سكن الليل على آلامها ... وتحدت في زواياها السهوبا
ومشت في ذاتها ساكنة ... تملأ النفس وتجتاح العطوبا
كل شيء كان فيها نافر ... من يديها يلتقي فيها غضوبا
صَوّرَ اليأسُ أمانيها أسى ... وترامى في لياليها قشيبا
هملج الخوف على شباكها ... يملأ الأنفاس أشباحاً وحوبا
وإذا مالت على جدرانها ... نفخ الهم إلى الهم ضروبا

* * *

تلتقي فيها ملايين الورى ... وتبث العالم الأعلى اللهيبا
تارةً تبكي على آلامها ... ترتجي من غيرها الأقوى الهبوبا
تارة تلوي على أحزانها ... تسأل الأفراح أن تلوي الحبيبا
تارةً في فقرها راتعة ... تأكل الفقر وتقتات الشحوبا
ربما كانت على إيمانها ... تطلب الأموات ماءً أو حبوبا
موتها أشقى وأنكى في المدى ... غير هذا الموت تلقاه قريبا
في زواياها رفات هارب ... من يد الأوهام يأبى أن يؤوبا
حاصر الأيام في ردهتها ... ومشى يستلهم الدنيا الغيوبا

* * *

الحبُّ والمسعَى

عبدالله مسعود- سورية

الحبُّ: نفحةٌ قدسيَّة.. ومَضةٌ عُلويَّة.. إشراقةٌ روحيَّةٌ.

الحبُّ: ترجمانُ الأشواق، ومُلهمُ الشعراء، مُبدعُ العباقرة، مُذلِّل الصِّعاب، جامعُ الأحباب.

الحبُّ: يحلُو مَعهُ مُرُّ الصَّبر، ويُطفَأُ به حَرُّ الجمْر، ويُسَهِّلُ الصَّعبَ مِنَ الأمْر.

الحبُّ: الترياقُ من الشَّراب، والشفاءُ من الأوْصَاب، والراحة من الأنصاب.

الحبُّ: فطرةُ الإنسان، وغريزةُ الحيوان، تهفُو له النفوس، وتتطاولُ له الأعناقُ، وتخفقُ به القلوب، وتطربُ له الأرواح.

الحبُّ: موتٌ أحْمَرُ، وذلٌ أكْبرُ، وتهوّرٌ أخطرُ، والعلقمُ الأمَرُّ، أهذا هو الحب الذي يقول فيه الشعراء..!

أحرَى بهذا القلب أن يخفقَا

وفي ضِرام الحبِّ أنْ يُحرقَا

ما أضيعَ اليومَ الذي مرّ بي

مِن غير أنْ أهوَى وأنْ أعْشَقا!

أم هو الذي يقولون عنه:

لا دَرّ دَرُّ الهوَى إنْ لم أمُتْ كمَداً

بحاجرٍ أو بسلعٍ أو بأجيادِ

هل الحبُّ ذاك المرض، الذي يتمنَّى مَرضاهُ أن يزدادُوا بهِ ألماً، وأن يجْرعوا كؤُوسَهُ عَلْقماً؟!

شربتُ الحبَّ كأْساً بعدَ كأسٍ

فمَا فنِيَ الشَّرابُ ولا رَويتُ

هل الحبُّ إرواءُ الغريزة من شهد الشَّراب، وإطفاءُ جذوةِ الشهوة من سلسبيل الجسد..؟!

أطفئ لظى القلب بشهد الرِّضاب، فإنما الأيام مَرُّ السحاب. فإذا رُويت الغريزة، وخبتِ الجذوةُ، هُجرَ الحبيب وبَعُد القريب. أم الحبُّ: الصدقُ، والوفاء.. وتجذُّر الإخلاص، وتنامي العطاء. الحبُّ المزهِر، المورق، المثمِر:

وأكملُ حالةِ الإنسانِ صدقٌ

وأجْملُ وصفهِ حَاءٌ وبَاءُ

* * *

هرولتُ في المسعَى.. بين الميلين الأخضرين.

تفتَّقتْ في ذهني مسيرةُ حبٍّ بين أنبلِ شَخصين: سعْيُ الأُمِّ الشَّديد.. لإنقاذ الوليد.. تكرار الذهاب والإياب.. نكرانُ الذَّات، تجاهلُ العذاب.

إنَّه الحبُّ الأكيد.. لإنقاذ الطفل الوحيد.. أسرعَتْ رحمة السَّماء.. فاضَ الخيرُ.. عمَّ العطاء، سقَى العطشَى.. أطعمَ الجياع.. انبعثَ النور.. شعَّ الضياء.. ملأَ أرجاء الأرض.. عمّ أديم السماء.

صارَ السَّعيُ رَمزاً للحبِّ، تخليداً للوفاء.. ما بيْنَ الأمِّ الرؤوم.. ومَا يأتي مِن الأبْناء..

* * *

فاضَ الحبُّ عليَّ.. عشتُ في ذكراه..

أتـردَّدُ بين الصفا والمـروة، أشـمُّ عبَقهُ، أتنـزّهُ في رُبَـاه.. شاهدتُ الوليدَ[1] يافِعاً.. وفي رضَا أبيهِ مُسارعاً.. يقدِّمُ روحهُ قرباناً لأبيهِ.. لعلّ هذا الأمْر يُرضيهِ.. إنَّه الحبُّ والحنان، أرضعته الأمُّ مع اللُّبان.

* * *

سعيتُ السعي الشديد، والخيال يسمُو إلى الأفق البعيد..

شعّ من خلف الخِبا نورٌ فاقَ الشمس والشهُبا..

صعِدتُ إلى الصَّفا.. فلاح لعيني إمام الحُنَفا[2].

أشرق الحبُّ مِن فُؤاده.. غمَرَ الناس برشادِه..

قولوا: لا إلـه إلا الله تفلحوا، وتُسْعَدوا في الجِنان وتنْجحُوا، تنَالوا السُّؤْدَدَ والعِزَّ وتربحوا،

إنَّـهُ... دعـوة الحـبُّ مِـنْ أبـي ذاكَ الـوليـد[3]، أورقتْ.. أزهرتْ.. أثمرتْ... فاضتْ بالمزيد.

* * *

سرتُ بين زمزم والمقام..

تنامَى الحُبُّ وانبعثَ الهُيام..

ظهرَ أمَامي عبيدةُ بنُ الحارث[4]، صريعاً بعد أن جندلَ الفوارس..

يتوسَّدُ رِجْل الحبيبْ، يناجيهِ.. والموتُ قريب.. يا ليتَ عمَّك[5] الفداءَ يشهدُ.. وقولهُ نُردِّدُ:

ونُسلمُه حتى نُصَرَّعَ دونَهُ

ونَذهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ.

* * *

ارتسمتْ صورة أخرى لسعدِ بن الربيع، وهو في أحُدٍ صريع..

مخاطباً قومَهُ بحديثٍ يُعرَفُ:

لا عذر لكم عند الله وفيكمْ عين تَطرُفُ، إنْ خلَصَ لرسولِ الله مكروهٌ، أو جرحٌ ينزفُ.

إنه الحبُّ على مَرَّ الزمان: صدقٌ.. وفاءٌ.. وفداءٌ.

إنَّه الحبُّ رمزٌ للوفاء، ينبت في الأرض.. يثمِرُ في السَّماء.. يزداد يوماً بعد يوم إشراقاً وعطاءً.. يسمو بهجةً، يشعُّ سناءً.

يُضاعفُ حبُّه في القلب يوماً

فيـوْمـاً والمـحـبُّ لـه الهناء

هذا هو الحبُّ دوامٌ لا يُحَّد.. لا ما يدَّعيه روَّاد الغريزة وعُشَّاق الجسد..

خصامٌ.. شقاقٌ.. فراقٌ لِلأَبد. تتنامَى الشَّحناء، تتأصَّلُ البغضاء، يخبُو الحبُّ، يموتُ الوفاء.

لكَ اللهُمَّ حبِّي، ومِنكَ ودِادي، ولأصفيائِكَ قلبي، واختِم على ذلك عَمَلي، وفي رِحـابِ حبيبك ﷺ أَجَلِي■

الهوامش:

(١) الوليد: إسماعيل عليه السلام، وأبوه ابراهيم عليه السلام.

(٢) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أول ما جهر بالدعوة على الصفا.

(٣) إشارة إلى الحديث: أنا دعوَةُ أبي إبراهيم والآية: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم١٢٩-البقرة هو دعوة ابراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ١٢٩)

(٤) عبيدة بن الحارث ابن عم النبي ﷺ أحد المبارزين الثلاثة يوم بدر مع حمزة وعلي رضي الله عنهم، توسَّد رجل النبي ﷺ وقال له أبيات أبي طالب، قبل استشهاده.

(٥) والأبيات هي:

وبالبيت حق البيت في بطن مكة

وبـالله إن الله ليـس بـغافل

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً

ولَمَّا نُطاعنْ دونه ونناضلِ

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

تناضل: نجادل ونخاصم وندافع. ونبزي: هو بالباء الموحدة والزاي: نقهر ونغلب. (الزرقاني على المواهب).

قلوصك الدمع (*)

د. حسن الأمراني - المغرب

أرسل قلوصك تبلغْ منتهى السَّلَمِ ... وما قلوصك غير الدمع في الظُّلَمِ

لكم أراود حرفاً ما يطاوعني ... ماذا أخطُّ؟ ولا لوْحي ولا قلمي؟

ماذا أخطُّ! وفي الوجدان عاصفةٌ ... لـوّاحـةٌ، ويـدي مـغـلـولـةٌ وفـمـي؟

تـقـول قـانـتـةٌ والـدمْـع يسبقها ... شوقاً إلى ساح خير الخلق كلّهم

«يـا ليت قلبي قرطاسٌ تخطّ به ... فإن فعلت فهاك الحبْر بعض دمي»

يا صاحبيَّ سفَري، قد رابني بصري ... فكيف يلحق ركبَ الراحلين عمِ؟

يا صاحبيَّ سرتُ ليلاً خيولكما ... فأصبحت عند بيت الله والحرم

فكيف تدرك خيلي نقع خيلكما؟ ... يا صاحبيّ وخيْلي دونما لُجم؟

تخوض بحرَ الهوى من جهلها سفهاً ... وتـدّعـي حبّـهـا لـلـمـفْـرد العلم

من ذا يبشرني؟ من ذا يطهّرني؟ ... من ذا يُحرّرني، والقيد في قدمي؟

وللذنوب وإن سـرّتْ مرارتها ... وبـهـجـة تـنـتـهـي لـلـحـزن والألمِ

ولا خلاص سوى لطفٍ يجود به ... ربّ العباد، فيحيي دارس الرّمم

مـولاي جئتك محزوناً وبي خجلٌ ... مما جنيت، وثوب العُمْر كالحلم

أمّارتي أسرفتْ، هل توبةٌ لفتى ... مـا زال يغرق في دوّامـة النَّدم؟

يا صاحبيّ، وكم بالروح من عطشٍ ... بـه أنـوء، وكـم بالقلب من سقمِ

هل من سبيل إلى كأسٍ فأشْرَبها؟ ... نـوريّـة الـنـبـع ربّـانـيـة الـنـسـم

قد كاد يفتك في الصحراء بي ظمئي ... وكاد يفْلق شوقي الصخرَ من أمم

مـولاي جئتك محمولاً على ندمي ... فهل إلى توبة من حمْلي العرم؟

نادى منادٍ وقد ضجتْ حناجرهم ... يا من وردت بلغت السَّعْد فالتزم

واذبح هوى النفس، وارجُمْ شهوة عرضتْ ... واحْلقْ وحَلّقْ كما العقبان في القمم

واغسلْ فؤادك بالقرآن مشتملاً ... بالذكر والفكر واحذر زلّة القدم

وصلّ من أجل من باتوا على وجلٍ ... مـن بـطـش طـاغـيـة ولاغـةٍ نهم

أحلّ سفك دم المستضعفين فما ... يخشى عواقبه في الأشهر الحُرم

يُذبّحُ الشَّعْبَ والخرفان صامتةً ... إلا مـن الآه لا تنْجي مـن النقمِ

أحرمت عن قتلِ طيرٍ في ذرى الحرم ... متى ستُحرم عن صمتٍ على الظلَم؟

يا عابد الحرم انهَضْ فالقلوب بكتْ ... وابذل على حبّه السَّلوى لكلّ فمِ

كم آهـةٍ قطّعت أحشـاء أرملـة ... كم زفرةٍ صعدتْ من مدنف هرمِ

يا من سريت إلى الرحمن من شرفٍ ... ونلت ما لم ينله الخلق من كرمِ

حتى اقتربت وجبريل الأمـينُ له ... حدٌّ، وقد أبت بالآيات والحِكمِ

لقد أصـاب قلوباً في جوانحنا ... من داء من قبلنا ما حزَّ في الهممِ

لسنا نصُدّ عـدوّاً عن مرابعِنا ... كأننـا أمـة جـدعـاء في الأممِ

ولا نـردّ ذئـاباً قد عَـدَتْ سحراً ... وكيف يدفع من يرعى مع الغنمِ؟

رحماك ربي، لقد شالت نعامتنا ... وقد مـددتَ إلينا خير معتصمِ

قلوبنا الغلْفُ، من إلاكَ يفتحُها؟ ... ومن سواك يداوي آفة الصمَمِ؟

(*) معارضة لقصيدة د. عودة أبو عودة ماء زمزم المنشورة في العدد ٨٨، ص٣٤.

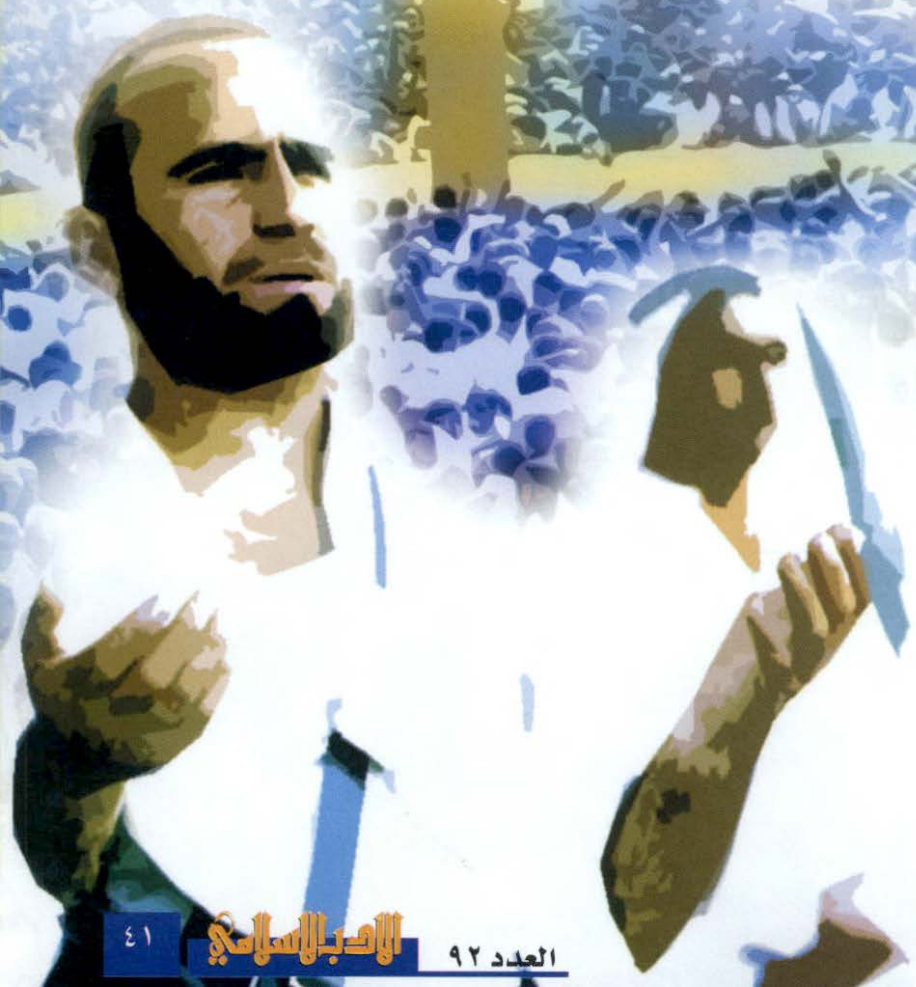

كُلّي أُلَبّي(*)

نبيلة الخطيب- الأردن

وما ارتحالكَ فرداً قاصدَ الحرمِ؟! ... وصاحباكَ على شوقٍ كما الضرَمِ

أما تواعدتِ الأرواحُ ذات ضحىً؟! ... على الطوافِ بعهدٍ غير منفصمِ

عهدٌ زرعناه فاخضرَّتْ جوانحنا ... قد خُطَّ بالدمع لا بالحبر والقلمِ

أما وعدتَ أخَيَّ الصاحبين غداً ... هل أخطأ العدَّ قلبي أم تراه عَمي؟!

تقولُ بعدَ غدٍ؟! مَن ذا يُؤمِّلُني؟! ... والعمرُ يضبحُ بين السُّقم والهَرَمِ

يَسّاقطُ العمرُ والأيـامُ في سَبَقٍ ... تمضي تحثُّ الخطا للأشهر الحُرُمِ

ويح المقيم بأدنى الأرض مَحبِسُهُ ... والروحُ تصبو حناياها إلى الأكَمِ

نبيتُ نـرزحُ في أصفـاد وحشتنا ... (والناسُ من كل فجٍ في ذرا الحرمِ)!

والناسُ تُروَى وتَروي بالدموع منىً ... ومقلتي ألـهبتْ خـدَّيَّ بالسّجَمِ

تصحّرَتْ مهجتي والعينُ طائفةٌ ... تجوبُ أجواءها بحثاً عن الدِّيَمِ

تَمـدّدَتْ في صحرائي فتُهتُ بها ... يا غربةً جرَّعتني حسرةَ اليُتُمِ

فما اغتباقكَ والأضلاعُ ذاتُ صدىً؟! ... في كلّ صدرٍ فـؤادٌ للزلال ظمي

أقبِلْ تضرَّعْ تضلَّعْ علَّ يشملنا ... منك الدعاءُ بصبحٍ عاطر النسَمِ

لكعبة النـور هـالاتٌ تُكلِّلُها ... يا حُسنَ طلعتها موفورةَ العِصَمِ

سودٌ غدائرُها من مِسك كسوتِها ... قد رُصِّعَتْ بفصوص التِّبر والتُّومِ

لمّا تعلّقَ بالأستار زائرها ... بدت لناظرها مبيَضّة اللَّمَمِ

(*) معارضة لقصيدة د. عودة أبو عودة ماء زمزم المنشورة في العدد ٨٨، ص٣٤.

عيني تراها يقيناً قابَ دمعتها ... يا قوتةَ الأرض فلتُقبلْ وتستلم
إن حالَ بينكما جمْعٌ أشِرّ بيدِ ... وإنْ دنَوْتَ فقبِّلْ طُهْرَها بفم
إنَّ الحبيب الذي روحي تتوق له ... لم تثنني عنه بيدائي ولا لجُمي
لو كان للقلبِ خِلٌّ غيره لقضى ... بقيّة العمر بين البان والعَلَم
لكنّما القاعُ بين الصخرتين سعى ... به فؤادي وإنْ كفَّ النوى قَدمي
والروحُ ترمُلُ بين الأخضرين عسى ... يوماً تُطهِّرُني الأنوارُ من ظُلَمي
كُلّي ألبّي وإنْ أحصِرْتُ عن أملي ... روحي ونفْسي وأنفاسي ونبضُ دمي
يا ثالثَ اثنين هل للبينِ من سِنَةٍ ... نفرُّ فيها إلى شَمْلٍ ومُلتَأَم؟!
ولا جُناحَ على الساعي بمفرده ... وكيف يقضي ارتيادُ النور للندم
إن كان ذاك ابتلاء الله أدركَنا ... فلستَ عندي على البلوى بمتّهَم
قلبي رويدكَ قد ناداهُ داعيُهُ ... ألا يُلبّي؟! فلا تعتب ولا تلُم
ماذا عليه وقد أبراهُ بارئُهُ ... وبتَّ أنتَ شجيَّ النبضِ ذا كَلِم؟!
لكنّ قلبي لحوحٌ في تَعَشُّقِهِ ... يذيبُه الشوقُ بين الصمتِ والكَلِم

* * *

أزُرتَ طيبة والمحبوب ساكنها ... عالي المقام رفيع الشأن والشيَم
تُرى مشيت على ذاك الثرى خبباً؟ ... وكنتَ في كلِّ خَطوٍ مُغدِقَ السَّلَم؟
وهل تلوتَ «ألم نشرح» بروضته؟ ... أعلى له الذكرَ ربُّ العرشِ في الأمم
قد كنتَ أقرأتَهُ عني الجوى فبكتْ ... حمائمُ الدّوح لمّا استقرأتْ ألمي
هل ساءلتْكَ إذنْ عني أم انَّ جَفاً ... قد مَدَّهُ النأيُ حتى بتَّ كالعدَم؟!
رسولَ شوقي إليها هل بثثتَ لها ... أني رهينة ليل الشوق والألم؟
قد ردّدَ الشعرُ آهاتي مُرفَّلةً ... فأسندَ الوجدُ تحناني إلى نغمي
وبتُّ بين رجائي واحتدام دمي ... كمن تردَّدَ بين البرءِ والسَّقم
صوتٌ يؤمِّلُ في روحي مباهجَها ... يقول يا قلبُ لا تغفلْ ولا تنَم
يا قلبُ ردِّدْ بملء الروح تلبيةً ... فقد دعوتَ مجيباً بالغَ الكرَم

* * *

لم يكن حظّ علماء الهند وباكستان في الأدب العربي الإسلامي قليلاً، كل ما في الأمر أنه أخذ طابعاً علمياً، أكثر منه فنّياً أو جمالياً، الأمر الذي جعله بمبعد من الاعتداد لدى الأدباء والناقدين.. كغيره من الأدب المكنوز في بطون كتب الفقه والحديث والسيرة، والمخبوء في أضابير التاريخ[1].

من الشعر الإسلامي عند علماء الهند في القرن العشرين

قصيدة «الحنين إلى الحجاز» للعثماني نموذجاً

عبد الوهاب الدويري[*] - باكستان

وبصرف النظر عن ذلك فإنهم لم يفتهم التعريج على ذلك الصنف الأول؛ أي الأدب الفني، سواء في الشعر أم في النثر؛ ولنتبين ذلك، يجمل بنا أن نستعرض قصيدة «الحنين إلى الحجاز» للمفتي محمد شفيع العثماني -رحمه الله (ت:١٣٩٦هـ)[2] استعراضاً موجزاً.

وقد يرجّح لنا اختيارها من بين قصائد الشيخ العثماني في مجموعة «نفحات» أنها ترجمان صادق عن مشاعر المحبّة والقداسة، لديه بالذات، ولدى الملايين من المسلمين، في الهند وباكستان، نحو «المدينة المنوّرة»، التي كانت ولازالت -بحق- عاصمة للثقافة الإسلامية[3]، إن شاء الله.

جاءت القصيدة «الحنين إلى الحجاز»[٤] كاسمها مدفوعة بالحبّ العميق للمدينة الطيبة وصاحبها -صلى الله عليه وسلم- ومعضودة بالإيمان الصّادق بهما، ممّا أضفى على محتواها العقدي والروحي والعاطفي الكثير من الحيوية والنشاط، ثمّ إن القصيدة فى الوقت ذاته تعود بنا إلى الأجواء التي عاش الشيخ العثماني في ظلها، بالجامعة الإسلامية بديوبند (أزهر الهند)، لتمثل لنا طرفاً من اتصال هذه الجامعة؛ بالرسول صلى الله عليه وسلم، كيف لا؟ وقد ظلت مرتجّة بأصداء الوحي تلاوة وتفسيرا- ليل نهار، فكان من نتيجته الطبيعية أن تؤثر في تكوين الشيخ العثماني إيمانيا، وحباً للرسول صلى الله عليه وسلم، ولما سكنها من الديار؛ إذ نما في هذه الجامعة ودرج وشبّ وتكوّن.

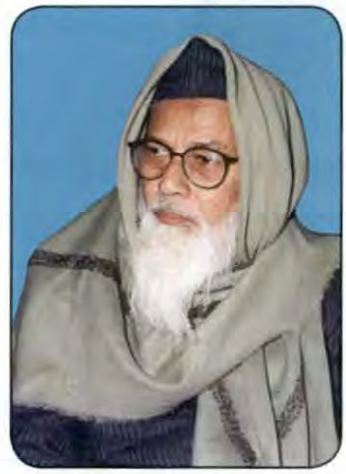

تشتد بالشيخ لوعة الحنين إلى المدينة المنورة، فيمتطي لها ركاب الشعر؛ ليسير به إلى الحجاز، حيث يقضي وطره من حبه الذي غلب عليه، حتى كأنه نبتت له منه أظفار، تنخزه في أحشائه، فكانت من ذلك في قلبه خطوط كخطوط الأنامل، يقول:

لنفسي في أرض الحجاز مآرب
وإني إلى البطحاء سارٍ وساربُ
لقد نبتت في القلب منها مودة
كما نبتت في الأنملات الرواجبُ

وحبّ الشيء يجلب حبّ كل ما له علاقة به وفيه، ومن هنا يتبادل الشيخ العثماني شعوره الودي مع أهل المدينة، يعدو به حبه إلى صحراء أرض الحجاز كلما تراءت له من بعيد، فعل العاشق الذي يفيض جام حبه عند بدوّ آثار الحبيب وأطلال بيته، فيسكب عليها دموعه، كأنما يسقيها، فيقول

فمن عادتي حبّ الحجاز لأهلها
الكرام وأن تُنضى إليها الركائبُ
وأن أسقيَ الأطلال بالدمع كلما
بدت لي من أرض الحجاز السباسبُ

وإذا كان عشاق الدنيا وأهلها يستنفدون طاقتهم الروحية والمادية، وربما يعصرونها إلى آخر قطراتها فيها، ولمن بها؛ فإن العثماني هو الآخر يعتزّ ببذل طاقته في ذكرى المدينة المنورة، وإذا كانوا هم يتيهون في أودية الحبّ المجازي، فإنه يعتاد الوله في طرق مدينة الحبيب صلى الله عليه وسلم، يرمي بنفسه على ذراها فيلقى فيها كل رغباته:

وأن أبذل المجهود في ذكر طيبة
إذا ذكرت للعاشقين الحبائبُ
وأن أرتمي في طرق طيبة والهاً
تتمّ لنفسي في ذراها المراغبُ

وهو بعد ذلك لا يبالي أن يلومه على ذلك لائم، مادام يجد له مساغاً في الشرع والمذهب؛ لأنه يذهب مذهب الرسول صلى الله عليه وسلم، وللناس أن يذهبوا ماشاؤوا من المذاهب:

فتلك وإن لام اللوائم عادتي
وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

وبعد أن يعرب عن اتصاله بالمدينة المنوّرة، يفتح صفحة أخرى، عن مناقبها، ويرجع فضلها إلى إمام الأنبياء صلى الله عليه وسلم، الشهاب الثاقب، النبي الأمّي الذي أوتي علم الأولين:

بلاد بها مأوى الفضائل والتقى
شهاب أتى من جانب الله ثاقبُ
وأوتي علم الأولين بأسرهم
يتيماً وما آوته قط مكاتبُ

وإن نور العالم منوط بنوره، فإن سنا وجهه عمّ العالم، واحتوى هديه الكون، وهل اجتمع الهدى والضلال إلا محا أحدهما الآخر!؟ وهكذا شرق خيره وغرّب:

أضاءت بمَحْياه وساطع نوره
مشارقُ أرض الله ثمّ المغاربُ
محمدٌ الماحي الضلالاتِ أحمدٌ
رحيم رؤوف خاتم ثم عاقبُ
إمام جميع الأنبياء عميدُهم
وشمس الضحى، والمرسلون الكواكبُ

وإن الشرف الذي حصل لأنسابه وآل هاشم، إنما حصل لهم منه وبه، فمن الطبيعي أن يتضاءل أمامه سائر الأشراف، ولذلك كانت قريش أفضل القبائل:

وتمّت بمسراه على آل هاشم
مناقب أعيت دونهن مناقبُ

ثم يعقد في النهاية نجاته بصلته بالرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك باتباع هديه، والاقتداء به، وأنه كلما ضاقت عليه مذاهب الأرض من الهم والغم، وجد لدى الرسول صلى الله عليه وسلم الأفق الأرحب، ويذكر موقف الخلق يوم القيامة إذ يلجؤون في النهاية إليه صلى الله عليه وسلم فيشفع الشفاعة العظمى، يقول الشاعر في كل ذلك:

أمامي هول ليس يغني لوقعه
صديق حميم أو قريب مقاربُ
فكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة
عليك صلاة الله ما سار ساربُ

ويودّعه محيياً في لوعة حبٍّ، وحرارة حنان، وصدق إيمان، مصلياً عليه مادامت الشمس مشرقة وغاربة:

عليك سلام الله ماذر شارق
بمشرقه أو غاب في الغرب غاربُ

هذا؛ وللشاعر العثماني قصائد وأبيات أجمل من هذه التي سبقت، يقول فيها:

واهاً لطيبة لازالت منوّرة
طابت مشارقها من طيب رياها
من للشفيع بأسحار بها سلفت
وعيشة في حواليها تملاها.

ومثل هذا الديوان بحاجة إلى دراسة مستفيضة، يكشف عن جماليات أساليبه وصوره، وعن مكنونات الشعر العربي في شبه القارة الهندية، البعيدة عن متناول النقاد والدارسين العرب المتخصصين، وهو واجب ينبغي القيام به خدمة للأدب الإسلامي، ولغة القرآن الكريم■

الهوامش:

(*) القسم العربي بجامعة دار العلوم - كراتشي.

(١) انظر: مقدمة المختارات لأبي الحسن الندوي، نظرات في الأدب العربي، ص٢١.

(٢) المفتي الأكبر سابقا، مؤسس جامعة دار العلوم، كراتشي، باكستان.

(٣) انظر مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٨٠.

(٤) ديوان نفحات، مكتبة دار العلوم، كراتشي، ص٣٣.

الرزق

عروة بن أذينة[1]

لقد علمت وما الإشراف من خلقي ... ولا اشتريت بمالي قط مكرمة
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني ... إلا تيقنت أني غير مغبون
أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولا دُعيت إلى مجد ومحمدة[3]
ولو قعدت أتاني لا يعنيني ... إلا أجبت إليه من يناديني
كم قد أفدت وكم أتلفت من نشب ... لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي
ومن معاريض رزق غير ممنون ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
فما أشرت على يسر وما ضرعت ... إني سيعرفني من لست أعرفه
نفسي لخلة عسر جاء يبلوني[2] ... ولو كرهت، وأبدو حين يخفيني
خِيمي كريم ونفسي لا تحدثني ... فغطّني جاهداً واجهد علي إذا
أن الإله بلا رزق يخليني ... لاقيت قومك فانظر هل تغطّيني[4]

الهوامش:

(١) هو عروة بن أذينة بن مالك، من بني الليث. شاعر غزل من شعراء أهل المدينة، وهو معدود أيضا في الفقهاء والمحدثين. وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره في (الأغاني ٢١: ١٠٥- ١١١، والشعر والشعراء ٥٦٠- ٥٦٢).

(٢) يقال: ضرع يضرع (بالفتح) ضراعة، ضرع (بالكسر) يضرع ضرعاً (بالفتح) فهو ضارع.

(٣) يقال: محمدة، بفتح الميم، مثل مذمة، والفصيح: المحمدة، بكسر الميم، وهو المسموع.

(٤) روي أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له: ألست القائل:

لقد علمت وما الإشراف من خلقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه
ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق! فقال له: لقد وعظت يا أمير المؤمنين وبالغت في الوعظ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر. وخرج من فوره إلى راحلته فركبها، ثم نصها راجعا نحو الحجاز ؛ فمكث هشام يومه غافلا عنه، فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه: رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلي فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول! فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم! ليعلمن أن الرزق سيأتيه، ودعا مولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال له: الحق ابن أذينة، فأعطه إياها، قال: فلم أدركه إلا قد دخل بيته، فقرعت الباب عليه، فخرج فأعطيته المال، فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له: كيف رأيت قولي! سعيت فأكديت، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق».

والنص في أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ١/٤٠٨-٤٠٩.

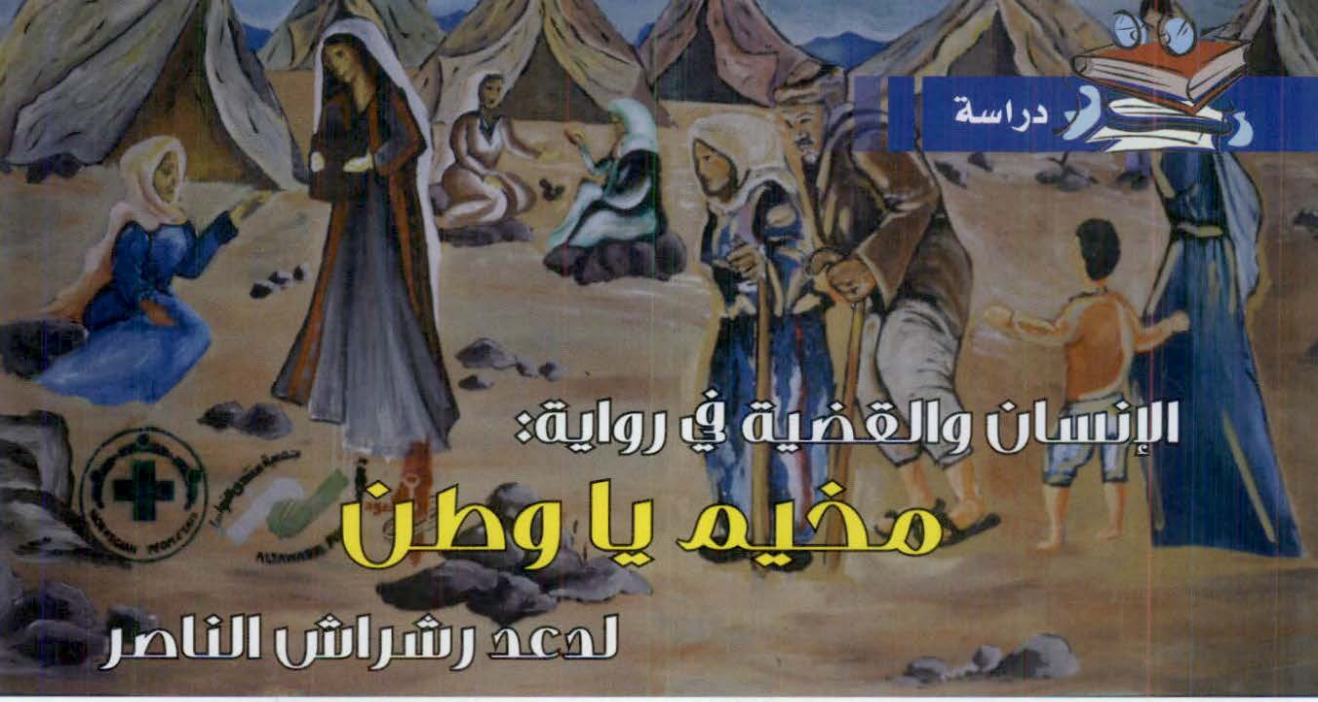

الإنسان والقضية في رواية:
مخيم يا وطن
لسعد رشراش الناصر

د. سعد أبو الرضا- مصر

تحاول الكاتبة في هذا العمل الروائي معالجة قضية علاقة الإنسان الفلسطيني بوطنه، مجلية عدم تفريطه فيه، وقوة أمله في استرداده من مغتصبيه، وعودته الحتمية المنطقية إليه، متخذة من السرد وسيلتها الفنية لتحقيق هذه الأهداف الإنسانية، من ثم يصبح الشكل الفني ممتزجاً بالقضية وأبعادها، في بنية متماسكة، كاشفة عن ذلك، في تنوع تجسده وحدة هذا العمل وبنيته الفنية.

ولعل «العنوان» وما يبثه أول عتبة في هذا التنوع: وهي تنطلق من «المخيم» وما يوحيه من قسوة الحياة؛ ضيق المكان، وتدني وسائل العيش للصغار وللكبار، برغم ثراء مشاعرهم في التآلف والتواد والترابط، وخلوصهم للطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى، بينما «الوطن» هو مناط الاستقرار، وسعة الحياة وطمأنينتها، ويربط هذين المتقابلين «ياء النداء» المتسعة الدلالة بالأسى والحزن والإحساس بالفقد والضياع والتحسر لما نزل بهم.

الحدث والشخصيات:

ويتمثل جسم الحدث في انتقال مريم العمودي التي درست الصيدلة في أمريكا؛ من أمريكا إلى مخيم في فلسطين يقيم فيه جدها وجدتها، مع زوجة عمها المتوفى وابنها إبراهيم وأخيه عمر، وقد كان انتقالهم من أمريكا بعد فقدهم ما يملكون، وتكليف رب الأسرة لشخصية صديقه «الزهراوي» للاتفاق مع محامٍ كي يسعى في قضية ترد لهم ما افتقدوه، وسيظل هاجس نجاحه فيما يسعى فيه فاعلاً في نمو الحدث، حتى النهاية المفتوحة لهذا العمل السردي.

وربَّ هذه الأسرة يمكن أن يمثل أحد النماذج لأولئك الذين يهجرون وطنهم فلسطين بحثاً عن مكان آمن وحياة مستقرة، عندما لا تتيسر لهم الحياة في وطنهم بفعل مؤامرات اليهود، وحربهم في السر والعلن للناس في فلسطين، بطرد أصحاب الأرض منها، وبناء المستوطنات عليها، وتهجير اليهود

من كل دول العالم إلى فلسطين، لتحقيق الوعد المزعوم من قبلهم في أن تكون فلسطين هي أرض الميعاد لهم.

أما وقد فقدت هذه الأسرة المهاجرة مصدر عيشها خارج وطنها في أمريكا فلا ملجأ لهم إلا أن يعودوا لأسرتهم في المخيم ليواصلوا الحياة معهم، وهكذا تصبح المقارنة بين الحياة في أمريكا باتساعها وتنوعها، وانطلاقها وحيويتها، والحياة في المخيم بضيقه ورتابته وجموده في نظر مريم من أهم العوامل الفاعلة في تشكيل شخصيتها، وهي الشخصية الرئيسة في الرواية، التي استثارها هذا البون الشاسع بين المكانين أمريكا والمخيم، والحياتين وطبيعة هؤلاء البشر الذين لم يتمسكوا في نظرها بوطنهم، وقد فرطوا فيه، بل كانت تعامل كل البشر صغاراً وكباراً باحتقار، وعدم تقدير، لما ارتكبوه في نظرها في حق أرضهم ووطنهم وأنفسهم، بل لم تكن تتعاطف مع أي إنسان، فهي مثلاً لم تقبل أن تقوم بتقسيط ثمن الدواء، للفقير الذي جاءها حاملاً وصفة طبية، وهو لا يملك ثمنها، لأنه في نظرها غير جدير بالمساعدة، لاختلافه عمن عرفتهم في أمريكا بشراً وزماناً ومكاناً.

وقد تجلى ما سبق بصورة أوضح في علاقة مريم العمودي بشخصية ياسر، الذي فاجأها يوماً وهو يدفع باب الصيدلية التي تعمل فيها بالمخيم والدم ينزف من جرحه، مما استثار فاعليتها ورغبتها في الخير، فأقبلت عليه،

ولكن بشيء من التأفف، فضمدت الجرح وحقنته بعد أن أنامته على ما فرشته له فوق الأرض، وعندما جاء ليشكرها يوماً ما بعد ذلك، دار بينهما نقاش حول موقفه من الوطن، ومدى تمسكه به، فهي ترى أنه كغيره قد فرط فيه، ولم يدافع عنه، بينما هو يرى أن حب الوطن متجذر فيه، وفي كل فلسطيني، بل لا يستطيع أن يعيش من دون ذلك، لكنها لا تُقدر ذلك ولا تحس به لأنها كانت تعيش في أمريكا بعيدة عن فلسطين، بل إنه قد وظف إجادته للرسم في التعبير عن ذلك وهي وسيلة للكشف عن الهوية والولاء للوطن، ومن أجل ذلك فقد انتقم منه العدو بقطع ذراعه حتى لا يستطيع الرسم.

التحول الكبير في الشخصية والرواية:

وقد بدأت مريم تحس بشيء مما وراء موقف ياسر، من ارتباط وثيق بالوطن مهما أبعد عنه، وحنينه الدائم إليه، وهو ما يمكن أن يعد من أهم العوامل الفاعلة في تغيير موقفها، وتحولها من الكراهية إلى الحب، ومن النفور إلى الإيلاف، ومن البغض إلى التعاطف مع المخيم، ومن فيه، وما فيه[1]، خاصة عندما يرتبط ذلك بعلاقتها بجدتها التي لا تكف عن تأكيد العودة إلى الوطن، والرجوع إليه، مهما طال الابتعاد عنه، وقد وضح ذلك في حديثها مع مريم، وكذلك وهي تغني للعودة وأحفادها يرددون ذلك النشيد وراءها، وأيضا في مناجاتها، ودعائها لله في صلواتها، وارتباط كل ما سبق بقولها: إن مريم «الخير والبركة» بل إنها تكرر ذلك كثيراً[2]، كما قامت بصنع ثوب فلسطيني لمريم

التي ستحرص فيما بعد على دوام ارتدائه، ولاسيما عندما تشكل من أطفال المخيم فريقاً يغني للعودة، ويعبر عن طريق الغناء بأناشيد الحب للوطن والتمسك بالعودة إليه، مما أقلق والديها، واستثار خوفهم عليها، فالعدو لا يمكن أن يتساهل مع مثل هذه المواقف الثورية برغم ما تبدو فيه من عفوية.

وهكذا يتضح ملمح مهم في هذه الرواية يربطها بالتقنيات الحديثة في الرواية وهي «تعدد الأصوات»، الذي يكشف في الوقت نفسه عن طبيعة علاقة الإنسان الفلسطيني بوطنه رجالاً ونساء، ما بين مهاجر ومقيم، وثائر وهادئ، ومفكر في الخلاص ومنتظر له، وتصبح العلاقة اللغوية بين المخيم والوطن وتعدد دلالاتها هي الرباط الذي يضم تلك الشخصيات جميعها في مواجهة العالم والدنيا كلها.

كما تتسع «الرؤية السردية» لتجلي نوعيات الفلسطينيين وتباين مواقفهم من القضية الفلسطينية، برغم أن الولاء لها يوحد بينهم جميعاً، وقد تجلى ذلك خلال تدفق تيار وعي الشخصيات الفلسطينية كلها في مناجاتها، وخاصة مريم[٣].

ويبدو أن هذا العمل هو الأول لهذه الكاتبة، فهي تحاول أن تتألق في صياغاتها أحياناً، مما قد يمس بعض هذه الصياغات بالغموض، برغم أن انتقاء اللغة والتأنق ملمح واضح، كما كان للشعر دور مهم في بناء هذه الرواية سواء في أناشيد الجدة، وأغنياتها، أو أناشيد مريم مع الأطفال[٤]، مما كشف عن روح رومانسية فيها.

وقد نشرت الرواية ضمن إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية برقم (٣٤)، عن مكتبة العبيكان بالرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م. وهي الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية التي أجرتها الرابطة للأدبيات■

الهوامش:

(١) انظر: مخيم يا وطن ص ٧٧، ٧٩

(٢) انظر الرواية ص٥٤-٥٥ وغيرهما.

(٣) انظر الرواية ص٧١-٧٣ وغيرها.

(٤) انظر الرواية على سبيل المثال صفحات: ٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١١٥.

خولة القزويني في رائعتها
هيفاء تعترف لكم

صلاح حسن رشيد-مصر

باحثة عن مكان لحواء تحت الشمس، ولاهثة من أجل أن تثبت ذاتها وجدارتها وقدرتها على الإضافة والإسهام في حقل الثقافة والفكر والأدب.. وأن تبني لبنات جنسها صرحا ممردا من لآلئ المعرفة، وعبقرية الكلمة وقوة الأداء والتعبير، وروعة الخيال، عبر التزود بثقافة أصيلة من تراثنا الحضاري، مع الانفتاح على ثقافات الآخر، والإفادة من كل آداب العالم.. هكذا تنسج الأديبة الكويتية خولة القزويني من خلال روايتها الرائعة « هيفاء تعترف لكم » الصادرة عن دار الصفوة ببيروت.. قصورا من الحرية الملتزمة، والطموح الهادف للمرأة، التي تواجهها المصاعب الأسرية والاجتماعية والحياتية.. فهيفاء فتاة جميلة، في مرحلة الثانوية العامة، مات والدها (الرمز/ القيمة) بالنسبة لها، والركن الذي تحتمي به عند المصائب، والواحة التي تجد في فنائها الراحة والسكينة، والقدرة على الحياة، لكنه مات، ففقدت الحياة، وأضحت تخبط خبط عشواء، وتاهت أحلامها في وهاد الضياع، وانكمشت على نفسها، غير قادرة على تصديق هذه الفجيعة.. إلا أن أخاها وأمها بخلاف ذلك، لأنه لم يكن قريبا منهما مثل (هيفاء)، التي رأت فيه العلم والأدب، حيث كان يختلي بمكتبته ويتغزل في كتبها، وينشد الثراء المعرفي عن طريقها، وهو شيء لم ترغب فيه زوجه التي كان همها المال والظهور والمباهاة، فكانت تعنفه، وتظل تتشاجر معه. أما هيفاء فكانت تناجيه وتعتبره مثلها الأعلى، وقدوتها في الحياة، والجدار الذي يقيها زوابع الأيام، بعلمه وفطنته واتساع مداركه.

الحكي والسرد والحوار

ولعل أقوى ميزة في رواية خولة القزويني، التي بوأتها أعلى درجات الإبداع، هي قدرتها على الحكي الفني بسهولة، وبلا إجهاد أو تكلف، فهي صاحبة الأسلوب الآسر، الساحر، والعبارة الجزلة البليغة، ولديها دراية بأدق تفاصيل المجتمع العربي، ومشاكل حواء فيه، وهي صاحبة معايشة دائمة لهموم النساء

العربيات والمسلمات ومحاولة تهميشهن، وعدم إفساح مجال أمامهن للعمل والمشاركة الفعالة في بناء غد مشرق. على أن خروج المرأة للعمل وإثبات نفسها ليس على طريقة العلمانيين والحداثيين والأدب النسوي الذي نقرؤه اليوم في كتابات ضحلة وسيئة فنيا مقارنة بأسلوب خولة القزويني التي ترى أن المرأة لابد لها من الإسهام واقتحام الدروب الوعرة لنيل استقلالها، بشرط عدم الإسفاف مثلما نقرأ في أدب نوال السعداوي وليلى العثمان وميرال الطحاوي وعفاف السيد مثلا!؟

وتبرز مهارات خولة القزويني في الحكي المباشر الحي، النابض بصفات الإجادة، والدال على أنها أديبة متمرسة، لديها دربة على الفضفضة الفنية بمهارة تحسد عليها، وهو ما يذكرنا بالأديب العالمي إرنست هيمنجواي في رائعته «العجوز والبحر» فهي تقص وتسرد، وتحكي. هواجسها، وهواجس المرأة العربية، غير القادرة على المعارضة والثورة، بمنطق من يستطيع اجتياز المحن، والوصول إلى الأهداف، وتحرير نفسه من مشكلات من حوله.

وعن طريق استخدام تقنية ضمير المتكلم، واستعمال طريقة (الراوي) تؤكد الأديبة خولة القزويني أن البوح والاعتراف، لا يعني الإساءة للقيم والأسرة والدين والمجتمع، كعادة التغريبين مثلا، فهي تعترف بضعفها وهوانها.. ولحظات القلق في حياتها، خاصة عندما منعوها من إكمال تعليمها، وضرورة الزواج بمنصور الذي يكبرها في السن، لأنه ثري، ويعقد صفقات مادية مع أخيها محمود.. والأخير مدين له بخمسين ألف دينار كويتي، لهذا كان لابد لهيفاء أن تقبل هذا العرض حفاظا على أخيها وأسرتها، وإلحاحهم عليها وإرغامهم لها على الرضوخ في النهاية!.

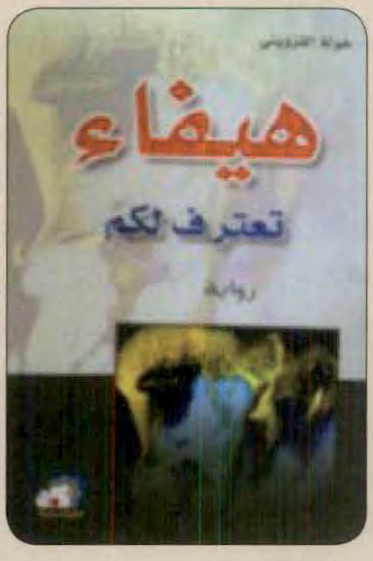

وتستمر الهموم مع هيفاء!

وبعد الزواج، تفاجأ هيفاء أن زوجها مجرد لعبة في يد أمه، وأنه لا هم له سوى اكتناز الأموال، وعقد الصفقات تلو الصفقات في عمليات مشبوهة، مع محمود شقيق هيفاء، التي لم تجد في هذا القصر سوى الهم والأسى وتحكم حماتها في مقاليد الأمور، واستئثارها بشؤون البيت، واعتبار هيفاء مجرد ضيفة لا صاحبة البيت!. وتتدهور أحوال هيفاء النفسية والصحية، وتصاب بحالات قلق واكتئاب، وتنعزل عن الحياة، وتتوقع، وتتذكر-دائما- والدها وأيامه الخوالي، كيف أنه كان يقيها من عوائد الدهر ومصائبه، فهي في أشد حالات الاحتياج إليه الآن!.

وتمضي الأيام مع هيفاء بمرارتها وحنظلها، إلا أنها تقابل الأستاذ سامي الصحفي الليبرالي وزوجه «مروة» التقدمية، والمنادية بالحرية، ونيل الفتاة لإرادتها، فكانت كلماتها بلسما شافيا على قلب هيفاء، هي وزوجها، اللذان أخذاها بعيدا عن هذا الجو المشحون، والبيئة التي عادت طموحها!. وتلد هيفاء ابنها باسل من منصور، وتتأزم حياتها، بعد أن تضبط زوجها يوما ما مع الخادمة، وتفاجأ بأنه يشرب الخمر، ويهملها، ويعاملها بقسوة هو وأمه!.

فتجد ضالتها في الحفلات الخيرية والاجتماعية، وتبدي آراءها بحرية، ويفسح لها الصحفي سامي المجال للحديث، ويعاملها بلطف، ويرى فيها علامات النجابة والذكاء.. ويحثها على أن تصمد وتتحدى عقبات الحياة التي تواجهها!. وهكذا تدخل هيفاء في مواجهات مختلفة وصعاب جمة، وتخرج منها أقوى وأكثر صبرا وإحساسا بأهمية الحياة، وتبرز فيها، فتكمل دراستها وتلتحق بالجامعة.. وتعمل وتصبح امرأة أخرى غير التي كانت!.

اللغة العالية

ويعجب قارئ الرواية من لغتها وأسلوبها وطريقتها الممتعة في الكتابة، والعرض، فخولة القزويني أشبه ما تكون بالرسام الذي يرسم بريشته أفضل اللوحات، وهي كناحت ماهر يصمم أحسن ماعنده، ويبتكر مستخدما أدواته، لا كروائي عادي، وإنما كباحث عن اللآلئ والجواهر، فينتقي منها الأغلى والأعلى قيمة!. إن لغة خولة القزويني تجعلها تكتب بأحاسيسها قبل أن تتخير الكلمات والألفاظ، فهي بانية للغة جديدة، ومؤسسة لطريقة في الرواية العربية، لم نعهدها من قبل في بنات حواء العربيات، وهو أسلوب يجمع بين الإدهاش والمتعة وسهولة العرض، وبلاغة الأداء، والارتباط المحكم بين عناصر الجمال والعبارات، بل بين حروف الكلمة الواحدة.. وهي طريقة مبتكرة تدل على فرط عنايتها باللغة، وبكيفية الكتابة والتعبير، لأن لغتها عصرية وفصحى في آن معا، وتمتلئ بالمجاز، وبالصور المستجدة، وبالاستيلاء على القارئ، من أول وهلة، فلا يترك الرواية ألا بعد أن يظفر منها بأعلى متعة فنية وفكرية معا!. ولعل هذا هو ما حدا بدور النشر المختلفة إلى الإعجاب بهذه الرواية وترجمتها إلى أكثر من لغة، مثل الإنجليزية والفرنسية والأوردية.. وهي ما ستظهر بين يدي القراء قريباً، في الهند وأوربا! ■

سنبلة

محمد بن يوسف كرزون- سورية

سألتُ السنبلةَ: لماذا تُعطين حبّاتِكِ دونَ سؤال؟ تمايلتْ.. اهتزّت.. انحنتْ خجلاً..، جاءَ طائر.. غرّدَ على الشجرة، رفعْتُ رأسي.. شكرتُهُ على غنائه..، لم يهتمَّ بشكري..، طار إلى الأعالي.. وهو يغرّد.

نظرتُ إلى السماء الزرقاء .. جلال منظرها هالني، وكأنّه يعطيني جواباً عن سؤالي للسنبلة. استنشقتُ عبير نسيم عليل، واستنشقَتْهُ معي السنبلة، واستنشقَهُ الطائر..

سألتُ الهواء: لِمَ أنتَ لطيف؟..، خاطبني جدول قربي بخرير مائه الصافي، استيقظ بي شعورٌ غريب: يا هذا.. ما هذه كلّها إلا مخلوقات الله العظيم، تأمّل المخلوقات.. وسبّح الخالق..!

تبارك الله فيما خلق، وما هذه كلها سوى جزء صغير من مخلوقاته سبحانه، ولو حاولنا أن نحصي فلن نحصي عُشْرَ المعشار..، تباركتَ يا ربّ..! يا خالق كلّ شيء!. ■

الفرح القادم

د. عبدالحكيم الزبيدي - الإمارات العربية

جلست إلي وقد رأتـ ـني شارداً ذهني أفكر
ورنت إلي كفها الـ ـيُسرى بأوراقي تبعثر
قالت وقد سكبت مدا معها تواسي في تأثر:
لا بأس هذي حالة الكل يدركها ويعبر
ما أنت أول والد أولاده تمضي وتهجر
فافرح فهذا عرس بك ـرك أنت بالأفراح أجدر
فأجبتها والدمع من عيني على خدي تحدر:
لا لست أبكي للفرا ق ولا لشمل قد تشطر
لكنني آسى لأنْ ني قد غدوت اليوم أكبر
قد كنت أسمع (يا أبي) فاليوم (ياجدي) ستظهر
سأكون في الأذهان جَدْ داً هده الإعيا معمّر
سيكون ممنوعا علي إلى الحسان البيض أنظر
وإذا أتتني غادة تثني على شعري وتشكر
وتود أن أهدي إلي ـها من قصيدي للتذكر
ماذا أخط: حفيدتي؟ أم أجحد الماضي وأنكر
فتبسمت أم البني ـن وقد رأت بالي تكدر
هذا هو المطلوب قا لت عن سعادتها تعبر

كيلا ترى من بعده ... ذا العمر في الأخرى تفكر

قم دار حزنك والبكا ... وانظم قصيدك ثمَّ وانشر

هنئ بُنَيَّك عرسه ... لا تجعل الشكوى تعكر

* * *

أبني هذا يوم عر ... سك قد أتى فالكون أزهر

وبدت تباشير السعا ... دة تشمل النادي وتغمر

وأتت وفود الزائر ... ين على ثراك الورد تنثر

فافرح فهذا خير يو ... م مذ ولدت عليك قد مر

قد فزت فيه بدرة ... قد زان مخبرُها ومظهر

فالله أسأل أن يبا ... رك عرسكم ويقيكمُ الشر

تغشاكم رحماته ... ويحوطكم بالعطف والبر

ويقر أعينكم بأبـ ... ـناء بهم تزهو وتفخر

في طاعة الرحمن يبـ ... ـنى بيتكم دوما ويعمر

قد حزت نصف الدين فاحـ ... ـفظ نصفه الباقي لتؤجر

واحرص على تقوى الإله ... فإنها حصن ومتجر

وعلى الصلاة لوقتها ... فلغير عذر لا تؤخر

والزم كتاب الله والـ ... أوراد واقرأ ما تيسر

هذي وصية والد ... فاعمل بها تهنأ وتظفر

والله يحفظكم ويكـ ... ـلؤكم ويسعدكم ويغفر

وقفات مع الجمال

علاء الدين حسَن- سورية

أيُها الإنسان! كُنْ جميلا تَرَ الوُجُودَ جميلا.. أرسِل طرْفك إلى السّماء، ترى الجمال الأخّاذ، والحسن الباهر، لا أعمدة تثبّتها، ولا خرق تشوّهها؛ لقد زادَها ربُها حُسناً وبَهاءً، فجمّلَها بالنُجوم والكواكب.

تشرق الشمس؛ فتُرسِل في الأرض ضِياءها، مُؤذنة بجَمالها.. جمال في إشراقها وإطلالتها، وجمال في غُروبها وتوديعها، يَتقاصَر كل رسّام عن مُحاكاة الجمال الذي فيها.

ويبزغ القمر؛ فيبسُط في الكون النُّورَ الباهر، والضِّياء السَّاحر، فيتغنَّى بجماله الشُّعراء، ويَتيه في وصْفه الأدباء.

تتلبَّد السُّحب في السَّماء، فلا تسلْ عن رَونَقها وحلاوتها، فتبرق وترعد، فإذا المزن تجود بوابل صيِّب، وماء طيِّب، هنيئاً مريئاً، عَذباً فُراتاً، فتنعش لها النُّفوس، وتطرب وتبتهج.

خلَقَ الله الأرض للأنام، وركَّز فيها الحسن والجمال.. حدائق غنَّاء، ومُرُوج خضراء، وغدران رقراقة، وأشجار ورَّاقة، ثمر يانع، وزهر يافع.

تأمَّل في البحر؛ جميلٌ منظرُه، فيه الرَّوعة والبهاء، ويُستَخرج منه حلل للجمال.

وكما أنَّ للصُّورة جمالها، فللصَّوت جماله، فالنُّفوس بطبيعتها وفِطرتها تطرَبُ للصَّوت الحسن والأداء الجميل، وما استحقَّ بلال الأذان، إلا لجمال صوته، وروعة أدائه.

وإذا كانت الرِّياضة تغذِّي الجسم، والعبادة تقوِّي الرُّوح، والعِلم ينمِّي العقل؛ فإنَّ الجمال يحيي الوجدان، ويسمو بالإنسان إلى أرقى المراتب.

والجمال، ينقسم إلى جمال روحيّ، وآخر مادِّي، فالجمالُ الرُّوحيُّ راحة وسكينة؛ حيث تكون النَّفس كالسَّماء الزَّرقاء، وقد انقشعت عنها سحائب القلق والحيرة.. وهذا الإحساس الجميل، يعبِّر عن خلاص الإنسان مِن مؤثِّرات الحياة السَّلبيَّة، وينقِّيه مِن الأحقاد، فلا يفعل إلا ما يمليه عليه ضميره، فهو صاحب خلق جميل..

الجمال إذن؛ مقدرة على مقاومة النَّفس الَّتي تأمر بالقبح، فهو يقترن بالفضيلة وصدق المشاعر.

وإذا جملت الأخلاق والرُّوح، حسُنت السِّيرة، وصلَحت المسيرة، فطابَ للعبد العيشُ، وابتسمت له الحياة.

جَمَالُ الرُّوحِ ذَاكَ هُوَ الجَمَالُ
تَطِيبُ بِهِ الشَّمَائِلُ وَالخِلالُ

ولا يجوزُ ذمُّ أحدٍ لقُبح صُورته، فهذا طعنٌ واتِّهام للخالق الَّذي خلَقَه، فالعيب والشَّين والذَّمُّ ليس في قُبح الصُّورة: وإنَّما في قُبح الخُلُق والرُّوح؛ لأنَّ ذاك في قُدرة الإنسان واستطاعته.

عَطاء بن أبي رباح كان أعرج أسود، أشلَّ أعور، وعمي في آخِر عُمره، لكنَّ هذه الصِّفات تناثرت أمام خُلقه وعِلمه وإمامته، وقَف على رأسه الخلفاء إجلالاً وهيبة.

الأحنف بن قيس يُضرَب به المثل في الحِلم، والحِلم سيِّد الأخلاق، فكان قصيرَ القامة، أسمر اللون، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، أحنف الرِّجلين، لكنَّ هذه الدَّمامة لم تمنعْه أنْ يكون سيِّداً مطاعاً، إذا غضب؛ غضب لغضبته مئة ألف نفس لا يسألون فيمَ غضب!؟

أمَّا الجمالُ المادِّي، فهو منحوت على صفحات الطبيعة وسطورها.. يعلن عن نفسه دون مشقَّة أو أقنعة زائفة.. يعبِّر عن ذاته بذاته.

والأحكام الرُّوحيَّة في مجملها تستهدف تغيير مفاسد الأخلاق إلى محاسنها، وهذا هو محور فلسفة التَّشريع، وربُّنا عزَّ وَجلَّ سخَّر لنا ما سخَّر، في أنفسنا وفي أرضنا وفي سمائنا، وأذِن لنا في الجمع والتَّوفيق بين الانتفاع والاستمتاع بما في الطَّبيعة.

يقول الله عزَّ وَجلَّ: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (النَّحل).

ويقول عزَّ وَجلَّ: ﴿...وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ...﴿٦٠﴾ (النَّمل).

بل لقد جاء التَّكليف بأن ننظر ونتأمَّل في مناظر الجمال ويانع الثِّمار: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ (ق). ولنتأمَّل قول الله عزَّ وَجلَّ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ (الغاشية).

إنَّه نظر وتفكُّر يجمع بين الإيمان والفائدة، وبين الجمال والابتهاج؛ بل لقد أمر بنو آدم باتِّخاذ زينتهم أمراً مباشراً، ولا سيما في مواطن العبادة: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴿٣١﴾ (الأعراف).

جمال التعبير:

وجمال التَّعبير هو أوسع أنواع الفنون وأكثرها أثراً في حياة النَّاس وتعاملاتهم: خطاباً وأسلوباً وأمراً

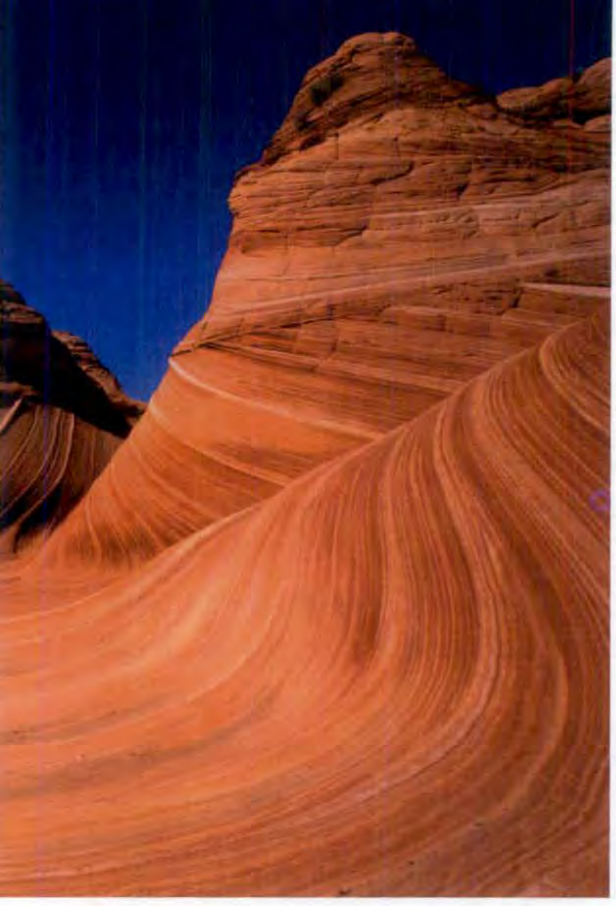

ونهياً ودعـوةً وتوجيهاً وتعليماً وتربيةً، وهـذا تنبيه وتوجيه لأهل العلم والتَّربية والتَّثقيف لكي يقصدوا إلى الجاذبيَّة في الأسلوب، والجمال في التَّعبير. يقول الله عزَّ وَجلَّ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ... ﴿١٥٩﴾ (آل عمران).

فحياة النَّاس جُبلت على حبِّ الرِّفق وطلاقة الوجه، وفُطرت على الخُلق العالي وجمال اللَّفظ.

إنَّ المعلِّم والموجِّه، والمرشد والنَّاصح، والكاتب والمثقَّف، وغيرهم وغيرهم.. كلّ هـؤلاء ينبغي أن يكونوا أهلاً للقول الجميل، والصَّبر الجميل، والصَّفح الجميل، والهجر الجميل.

وهذا الجمال الجميل، لا يمكن أن يكون فوق الحقّ، فلا يكون الجمال في الكذب، ولا يكون الفنُّ في الفسوق، ولا يجوز أن يستساغ بجمال التَّعبير اختلاق الأباطيل من القول والتزوير. وعندما يكون الجمال وسيلة لهدم الحقِّ ينبغي إيقافه، فالذريعة إلى الممنوع ممنوعة.

ذلكم هو الجمال، وتلكم هي الزِّينـة، وذلكم هو الفنُّ والإبداع في ظاهره وباطنه.

ومِـن الحمـاقة أن يكون بعض النَّـاس حسن الهندام، حريصاً على جمال الصُّورة، بينما هو في حديثه وسلوكه قبيح العبارة، دميم الـذَّوق، سليط اللِّسان، غليظ التَّعامل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ (الأعراف).

وتذوُّق الجمال يرتبط بالإطار الَّذي يوجد فيه الإنسان، وقد يوجد الجمال في «صخرة، أو شجرة، أو نهر»، وقد يكون الجمال إبداعاً منفرداً ممَّا له أثر في التقاء الفكرة بالحسّ، وقد يكون الجمال مبتكراً بلغة تحمل الأثر الجميل، كقصيدة أو رواية أو نثر أو نصّ مسرحي...

ولكي يبقى الشَّيء جميلاً: لا بدَّ أن يكون سالماً مِن النَّقائص، ولا بدَّ أن يكون متناسقاً منتظماً منضبطاً.

فجمال القاضي بعدله وإنصافه، وجمال الحاكم باهتمامه بشؤون رعيّته، وسهره لأمنهم وراحتهم، وجمال الغنيِّ بصدقته وإنفاقه، وجمال الفقير بكدِّه وعمله.

ولقد خاطبنا الخالق بالجمال، وأمرنا أن نرحل إليه وإلى منازله العليا، ونسير إليها سيراً لا ينقطع، حتى يدركنا اليقين، ولا ينبغي للإنسان الكيِّس أن تعميه أغاليط المبتدعين عن محاسن الدِّين.

تلازم مع الحق..

والجمـال عـادة يتـلازم مـع الحـقِّ والخـير في مواءمة وتناسق وانسجام، والخالق هو الحقُّ الأعلى

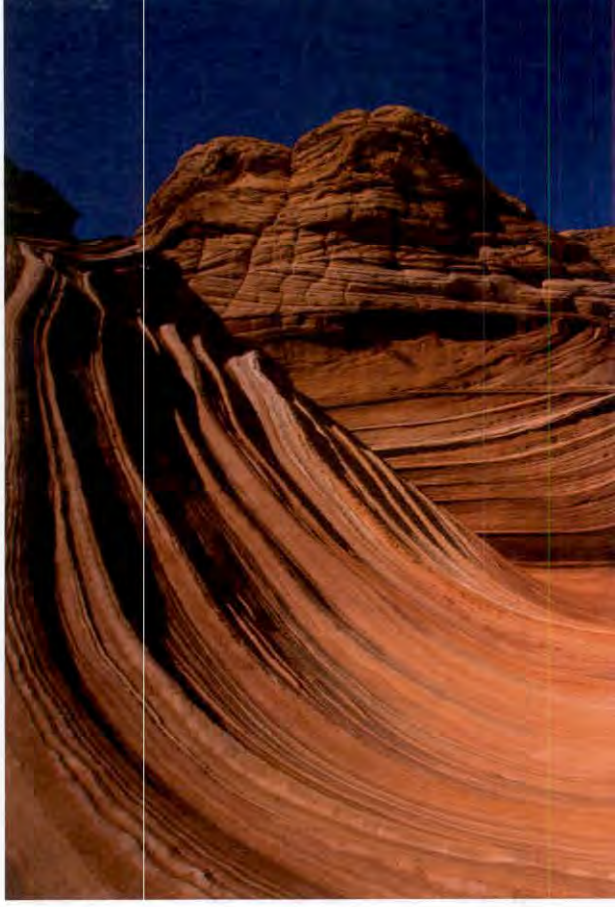

الَّذي لا يقارب أحقيّته حقّ، فهو الأوّل والآخر، والظَّاهر والباطن، وهو بكلِّ شيء عليم.

والرُّسل الَّذين أكرمنا الله بهم، كانوا صادقين أمناء، لا تأخذهم في الله لومة لائم، والكتب الَّتي أُنزلت عليهم ذروة سامقة مِن جمال.

وبما أنَّ القيَم الثَّلاث: الحقّ والخير والجمال، ملتقية في الإله الحق المعبود، وفي الرُّسل، وفي الكتب المنزلة؛ فإنَّ أحسنَ الأحوال أن تكون هذه القيم متداخلة في حياة البشر.

والدَّعوة إلى الخير لا تكون إلا على الحقّ، ولا تُقترَن إلا بالحسن والجمال، والدَّعوة لا تكون إلا بالكلام الجميل الَّذي تأنس به المسامع، وتطمئنُّ إليه القلوب: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرَة: ٣٨).

الجمال إذَنْ قرين الحقِّ والخير. وكذا في المدرسة الأفلاطونيَّة؛ فإنَّ الجميل عندهم يشير إلى الواحد المطلق الخيِّر، الَّذي تصدر عنه الصُّورة المشعَّة.

وإذا كان أفلاطون قد وحَّد بين الجمال والخير، فقد تأثَّر أفلوطين بذلك، فقرَّر أنَّ الجميل هو الخير، والخير عنده كامن خلف الجميل، وهو مصدره ومبدؤه، فالواحد المطلق خير قبل كلِّ شيء، وهو جميل لأنَّه خير، فالخير هو المبدأ الأوَّل الَّذي يصدر عنه الجمال.

وإذا كان أفلاطون قد قال (في جمهوريَّته) عن الجمال بأنَّه وضَاءة الحقّ، فإنَّنا نرى أنَّ مهمَّة البلاغة: الكشف عن الحقّ. ولا توجد البلاغة إلا حيث يوجد الجمال، وما خلا مِن الجمال فإطلاق البلاغة عليه مُحال.

النَّصّ المعجز:

والنَّصُّ القرآنيُّ هو أحد موضوعات الجمال، يدعو الإنسان إلى التَّفكُّر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الحِجْر).

والمعجزة القرآنيَّة وضعتنا أمام وعي جماليٍّ جديد، نجد تجلّياته في الفكر واللُّغة والسُّلوك والفنّ، ينطلق هذا الوعي مِن خالق الجمال البديع الَّذي ينبثق جمال الوجود كله مِن آثار جماله، فللّه عزَّ وَجلَّ جمال الذَّات، وجمال الصِّفات، وجمال الأسماء والأفعال.

ومِن كمال محبَّة الله: محبَّة الجمال والسَّعي إلى إدراكه؛ بل إنَّ منتهى جزاء الآخرة عند المؤمن رؤية وجه الله تعالى الَّذي يفيض على وجوه النَّاظرين إليه نضرة وجمالاً: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القيامَة).

وإلى جانب معجزة جماليّته؛ فإنَّ القرآن الكريم في الوقت ذاته معجزة عقليَّة، مِن حيث عمق بيانه، وروعة أسلوبه، وتفرّد لحنه وموسيقاه.

والحديثُ النَّبويُّ امتاز بغاية الجمال. ها هو رسول الله ﷺ يقول لمن يطلب منه وصيَّة، يقول

له: (لا تَغضبْ)[1]. ويقول عليهِ الصَّلاة وَالسَّلام لرجل آخر: (قُل آمَنتُ باللهِ، ثمَّ استَقِمْ)[2].

كتابٌ عظيم:

إنَّ الجمال؛ كتاب عظيم، واضعه مزيِّن الأرض والسَّماء. والمعرفة جمال، والذَّكاء جمال، والتَّضحية جمال، والحبُّ جمال، والإبداع جمال، وسحر قطرات النَّدى على وجه زهرة نَضِرة

جمال، ودمعة طفل بريء على خدَّيه جمال، وبسمة الرُّوح جمال.

والجمال شعلة أخَّاذة تفتن الوجدان؛ لأنَّه إكسير الحياة الَّذي يتدفَّق في الشَّرايين كالسَّيل، ويغمر الأرض، ويعدها بثوب فسيفسائيٍّ رسمته ريشة الإبداع.

الجمال ينبثق معبِّراً عمَّا هو إنساني، وما أكثر ما ندَّد البيان الإلهيُّ بالموقف القبيح. يقول القرآن عن الطُّغاة من أمثال فرعون وهامان وقارون وغيرهم: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ (القَصص).

ولقد انعدمت قيمة الإحساس الجماليِّ لدى العابثين؛ لأنَّ حياتهم خالية من المعنى.. شخص يحس بالقبح، نفسيّته قاتمة، وأخلاقه سيّئة، وكثيراً ما يتحوَّل إلى منحرف لا يمتلك عاطفة؛ لأنَّه يرى صور الحياة قبيحة، في حين أنَّ النَّفس الإنسانيَّة الَّتي تضيئها شموع الجمال في إطار حالم، تنشِّئ هسيس الحياة، وتضفي على الآخرين رونقاً يزخر بعطر الجمال المضمّخ بالعاطفة. وصاحب النَّفس المضيئة يحبُّ الطَّبيعة؛ لأنَّه يقرأ فيها المعاني والأوزان والحركة والشِّعر والموسيقى والرَّسم، فالبحار والرِّياح كائنات تصدر موسيقى وتطرب بها ولها. وتلك هي صور الحياة الَّتي يعيها الإنسان من خلال العيش بطريقة فنيَّة مبتكرة.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة عن الجمال، من ذلك:

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ (المعارج). والصَّبر الجميل هو الَّذي يضاف إليه الرِّضا وسَعة الصَّدر.. الصَّبر الجميل هو الَّذي تزدان النَّفس فيه باليقين والثِّقة، وتمتلئ بالأمل، والرَّجاء،

وتكون بمنأى عن الجزع والسَّخط على القضاء.

وجاء ذكر الصَّبر الجميل في موضعين آخرين من القرآن الكريم، كلاهما في سورة يوسف، الموضع الأوّل جاء على لسان يعقوب عليه السلام، وقد جاءه أبناؤه يخبرونه بأنَّ يوسف قد أكله الذِّئب، وبرهنوا على قولهم بدمٍ كذب على قميصه، وبرغم الفاجعة الرَّهيبة على قلب الأب المؤمن، واجه الأمر بأناة بالغة، وثقة عظيمة، جعلته يحسّ أنَّ الأمر على غير ما صوَّر أبناؤه، وتذرَّع بالصَّبر الجميل.

يقول تعالى حكاية عنه: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسُف).

والموضع الثَّاني عن الصَّبر الجميل جاء أيضاً على لسان يعقوب، عندما جاءه نبأ احتجاز ابنه الثَّاني في سجن العزيز بمصر، فقال: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسُف).

والصَّفح في القرآن الكريم يتَّسم بالجمال، وهو يعني التَّغاضي عن إساءات الآخرين. وقد طلبه الله من نبيِّه في مواجهة المُعرضين من قومه، مُبيّناً له أنّه صاحب رسالة مُهمَّتها الهداية، وعقاب الضَّالّين مرجعه لربِّ العالمين، والسَّاعة آتية لا ريب فيها. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ (الحِجْر).

والصَّفحُ في حدِّ ذاته شيء جَميل، وعندما يتَّصف بالجمال يكون صفحاً لوجه الله، لا يجعله صاحبه حديثاً يُذكر به بين النَّاس.

والهجر في القرآن يتَّسم بالجمال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ (المزَّمِّل).

وذُكرَ السَّراحُ الجميل مرَّتين في مُحكم التَّنْزيل، وكلتاهما في سورة الأحزاب، أولاهما: في تخيير النَّبيِّ ﷺ لزوجاته عندما سألنه التَّوسعة في النَّفقة، فقال ربُّ العالمين لنبيِّه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ (الأحزاب).

وثانيتهما: مطالبة الأزواج الَّذين يطلِّقون الزَّوجات قبل الدّخول، بأن يمتِّعوا الزَّوجات، والمُتعة كسوة ملائمة لمكانة المرأة ومستواها الاجتماعي، ثمَّ السَّراح الجميل دون بغي على الحقوق. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ (الأحزاب).

وسراح المرأة: أنْ تكون في حلٍّ من رابطة الزَّوجيَّة، فهو الطَّلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله، لكنَّه مع وقعه الأليم على النَّفس فإنَّه عندما يقترن بالجمال نحصل على ثمراته.

وبعد: يبقى الجمالُ الحقيقيُّ جمالَ النَّفس الَّذي يظهر في التَّعابير، ويدلُّ على النُّبل والتَّسامح، ويكون بمثابة سمفونيَّة تتسلَّل إلى باطن الإنسان، فتحيي ملكة ذوقه، وتنعشه برغبة البقاء من خلال توقه في تسلُّق دروب النَّقاء ■

الهوامش:

(١) أخرجه البخاريّ في الأدب، باب (الحذر من الغضب)، رقم (٥٧٦٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب (جامع أوصاف الإسلام)، رقم (٣٨).

أحبتي.. قتلتي

سعيدة بشار- الجزائر

حينما أنهت ترتيب غرفتها تأمّلتها بسخرية منفلتة:

- إنّها لا تُشبهني بتاتًا.. أفكاري مبعثرة كأوراقٍ لا تزال الرّيح تعبث بها، ولم تقرّر بعد إيصالها إلى أيّة وِجهة، فكيف يجتمع كلّ هذا التّرتيب مع كلّ هذا التشتّت في رقعة مكانية وزمانية واحدة؟.. عبث!.. انفلتت منها ضحكةٌ ساخرة..

أعادت بعثرة الأشياء في كلّ رقعةٍ من الغرفة، وقرّرت أن تبالغ في البعثرة حتى تتشابها.

باغتتها فكرةٌ عابرة:

- ماذا لو رآني أحدهم أبعثر الأشياء هكذا!؟

وكمن يدفع عنه شبهةً أسرعت إلى الباب تغلقه، وعادت لتفترش خراب إبداعها، ولتشاهد على مهلٍ تطاير أفكارها الحائمة حولها.

صمتٌ كاذبٌ يكسو الأجواء والأفكار والأنفاس، وكما الصياد يتربص فرائسه وهو يشتهيها، ظلّت هي تتربص في تصبّرٍ كلمات تستجدي منها عطفها لتحرّرها من حزنها، أحياناً تستطيع الكلمات وحدها تسريب الألم الجاثم على الصدر حينما تعجز الدموع وتعلن إفلاسها.

للحزن أكثر من وجه، وللخيبة أكثر من اسم!.. كم من الخيبات تلزمنا حتى نستطيع كتابتها!؟

ترفض الكلمات أن تطاوعها، وتظلّ كخيولٍ برّيةٍ عصيّة تأبى أن يُروّضها بشر، وتظلّ في جموحها تتعالى عليها رافضةً سلطتها.

تفاجئها من عمق عتمتها عيون طفلةٍ لم تفقد بعد ابتسامتها.. تمدّ إليها بريقها كما القدر حين يلقي إلى الغريق بيدٍ رحيمةٍ لتنقذه.. هي ذي تعاود الظهور من جديد.. من رحم الماضي.. أيا طفلةً لا تزال في المهد صبية، ضمّيني إليك وعانقيني.. أحبّك بصدق.. إنّ الصّدق قد غاب من حولي، وكلّ الابتسامات المصطنعة قد ظهرت على حين غفلة من صانعيها، وكلّ صروح الحب قد انهارت.. ما أشدّ فجيعة الحب وهو يتخبّط في بقايا أشلائه! والدنيا من حوله ضاحكة ترقص على إيقاع أنفاسه الأخيرة ولا تُبالي.

أيا طفلةً لا تزال في المهد صبية.. دعيني أبكي على صدرك خيباتي، فما عاد هناك صدرٌ يحتويني.. قد حواه ترابٌ لا يزال في انتظاري.. مجهول الخبايا كما الأقدار.. كما الغيب.. كما الحياة.

أيا طفلةً لا تزال في المهد صبيّة.. لا ترفضيني، وأمهليني حتى أستعيدك.. إن لي أعذارًا لا بدّ أن تعلميها.. قد مضى زمنٌ طويل، قد كبرت، قد بعدت، قد نسيت.. واستعرضت الحياة بريق زيفها حتى بالغت، وزادت العتمة في عمقي حتى استبدت.. وابتعدت كثيرًا.. وتُهت بعيدًا.. وتسلّلت الحياة مني ذات عمرٍ لم أعد أذكره، وخلّفتني بعدها قبرًا مجهولاً، غير معترفٍ به، يبحث لذاته عن معنى.. فلا هو أهلٌ للحياة، ولا هو صار أهلاً للموت.. تجافيني الحياة والموت كلاهما، وأنا بينهما.. تشتّتٌ وضياعٌ في ضياع، وأملٌ يتخبط كالغريق يرجو النجاة.

ظلّت أفكارها شاردة تحوم حول نفسها في حلقاتٍ خانقة.. وهي تحاول اصطيادها، والفوضى من حولها تهدهد ترانيم الألم.. لو لم يكن في الجحيم سوى هذا العذاب لكفى به عقابًا.. أيّها القلب الشريد ما أشدّ عذابك!.

رنّ الهاتف واهتزّ بلحنٍ لا يناسب الزمان ولا المكان ولا واقع الحال:

- ألو.. نعم.

- كيف حالك سمية؟

- آسفة لست سمية، يبدو أنك قد أخطأت في الرقم.

- من تكونين إذن؟ ما اسمك؟

- غير مهمٍ اسمي.. قد أخطأت الرقم والشخص.

- لا بأس بذلك، صوتك جميل، من تكونين؟

نسيت للحظة كلّ المواعظ حول الأدب في الحديث وكظم الغيظ.. هو من ورّط نفسه.. ماذا جاء يبحث عنه عندي؟

فتحت له صوت بركانها:

- اذهب إلى الجحيم!..

وأسرعت بإغلاق الهاتف قبل أن يصعقها ببعض المختارات التي لم تكن تودّ سماعها.

فكرت لما قالت له: «اذهب إلى الجحيم»!.. هل كانت تريد أن تُصدّر إليه جحيم حزنها حتى تتخلص منه؟.. وكأنّه كان ممكنًا التخلص من ناره

بمجرد إلقائه إلى أحدٍ سواها، أم لأنه غريبٌ متطفل استحق أن تتمنى له جحيمها؟.. ليس لذاك أهمية.

إذا حاولنا قياس الضغط، فأيّ الخيبات أشدّ؟.. الخيبات القلبية، أم خيبة الصداقات المزيّفة؟.. وكيف حينما تجتمع الخيبات جميعها في قلبٍ واحد؟ وتتوزع سمومها إلى الذاكرة وكلّ خليّة من خلايا الجسم؟ أيمكن أن نسمّيه تسمّمًا عاطفيًا؟ وأيّ طبيبٍ يمكننا أن نشكو له تسمّمًا عاطفيًا؟.. أليس مضحكًا أن نقصد طبيبًا، وحينما يسألنا: ماذا نشكو؟ نخبره بكثيرٍ من الصّدق والجدّية أنّنا نشكو تسمّمًا عاطفيًا من جرّاء الخيبات المتتالية.

انفلتت منها ضحكةٌ ساخرة.. هي ذي كلّ الخيبات مجتمعة أمامها على خشبة مسرحٍ واحدة، وكلّ منها تتفنن في التراقص بخبثٍ أنثى ما احترفت في حياتها سوى الإغراء.. كيف تقنعهن بأن يغادرن الخشبة ويتسترن!؟

هزّت رأسها كمن ينفض عنه قذاراتٍ متساقطة عليه من وجهة غير محددة، وأجالت عينيها في غرفتها بسرعة من يكاد يُغمى عليه من كثرة الدوران.. ما خطر بقلبها قطّ أنها ما فتحته إلا لتُغرس فيه سهام أغلى الناس.. وكيف لها أن تشك؟.. ما ظنّت أبدًا أنّها حينما كانت تحدّثها عن زوجها أنّها في الواقع كانت تهدي لها المسالك السّرية إلى عقله، ومفاتيح قلبه لتدخله وتقفل الأبواب من ورائها.. في وجهها هي.. ما ظنّت أنها ستخرجها من مسكنها لتنفرد به على مرآها، وتتركها لصقيع الخيبة والدهشة.. والوحدة..

ما استطاعت أن تفهم حقيقة نظراتها إليها حينما كانت تلقي إليها بورود فرحتها، وحتى همومها وأحزانها، وما استطاعت أن تفهم أسئلتها المتسترة بأثواب الصداقة والحرص عليها.. ما شكّت أنها كانت تبحث في الحقيقة عن مفاتيح البوابات السرّية إلى قلبه.. ما شكّت في إخلاصها يومًا!.

كان عليها أن تكون أكثر حرصًا أمام امرأةٍ لم تتحرّج يومًا من الإعلان عن إعجابها أمام نظرية اليهود حينما قالوا: «أرضٌ بلا شعب لشعبٍ بلا أرض!»، فأقنعوا العالم أنهم ما دخلوا تلك الأرض إلا لفراغها من أيّة حياة! فكيف ستقنع الناس يا ترى أنّها لم تدخل قلبًا إلا بعد أن تيقنت من فراغه من سواها!؟.. باغتتها ضحكةٌ ساخرة:

-أكيد ستجد مخرجًا.. هي التي درست التاريخ كما كان، ثم صارت تؤوله كما تشاء.. أكيد ستجد مخرجًا مناسبًا.

كان عليها أن تشكّ أنّ طفلةً ألفت عند البدايات أن تسرق دُماها وألعابها، ثمّ تصرخ معلنة أنها ألعابها وقد استعادتها.. كان عليها أن تشكّ أن طفلةً كتلك لا بدّ أن تكبر يومًا لتلتهم كلّ ما في يديها، ثم تصرخ كالمعتاد، وتبكي كالمعتاد، وتدّعي لها كلّ ما كان، ثم تتنازل المالكة عن أملاكها كالمعتاد.. واليوم تتنازل الملكة عن عرشها، وتنسحب لتترك المكان للجارية إلى جانب الملك الأعمى..

هل سيشكّ يومًا أنها غشّت في عواطفها؟.. يغشّ العشّاق أحيانًا ليحتفظوا بمن يحبون.. لكن هل يعقل أن يغشّوا ليحصلوا على من ليس لهم؟.. تغدر الأفاعي دائمًا حينما تستأمنها على دارك وفراشك.. ربّما لذلك سارع الغرب للاعتراف لليهود بدولةٍ لهم على أرض فلسطين ليبعدوهم عن أراضيهم، كانوا يدركون جيّدًا أن الأفعى التي تنام في فراشك لا بدّ أن تغدر بك يومًا على حين غفلةٍ منك، فكان الأسلم لهم إبعادها إلى فراشٍ غير فراشهم.

كان يعتقد أن تطابقَ أفكارهما وأحلامهما.. وضحكتَهما أمام الأشياء ذاتها، وبكاءَهما أمام الأحزان ذاتها.. كان يعتقد ذلك إشارة من القدر أنه أخطأ في ارتباطه بالأولى، وأن الثانية هي حتمًا

السّعادة القادمة، كان يعتقد أن امرأة كتلك ما كانت لتخبره عن زيف عواطف زوجته له، صديقة عمرها، لو لم تكن صادقة في أقوالها، وتلميحاتها، وفي حرصها على سعادته.. امرأة كتلك لا يمكن إلا أن تكون هدية القدر إليه، فأسرع كالمخدّر إلى شراكها، وارتمى في سرابها، وأعلن للعالم عن اسم الملكة الجديدة.

فاجأتها من عمق عتمتها ذكرى طفلة تبكي دُماها وألعابها المسروقة منها احتيالاً، كانت تجري لتبكي بحرقة المفجوع عند صدر أمها، وصدر أمها اليوم يضمّه التراب.. فمن يضمّها؟ وأين ستبكي اليوم فجيعتها؟ وأين ستخبئ دموعها؟

تذكرت مقولة قرأتها ذات يومٍ دون تركيز:

-(تأتي بإنسانٍ وتزرعه في تربتك.. فيقتلعك أوّل ما يقوى عوده، يتمدّد ويعربش، يسرق ماءك كي ينمو أسرع منك، تستيقظ ذات صباح وإذ به أخذ مكانك، وأولم لأعدائك من سلال فاكهتك، ودعا الذئاب لتنهشك وتغتابك!.)[1].

كان سيكفيها منه إلى آخر لحظة من كابوسها أن يوقظها منه ويمسح دموعها، ويطمئنها كما كان يفعل دائمًا:

- إنّه مجرّد كابوس.. لا تخافي حبيبتي أنا معك.

لكنّه لم يوقظها تلك المرّة، ولم يمسح دموعها، ولم يطمئنها.. سدّد إليها سهامه الأخيرة، ثم أسلمها لحريق الفراق الحاسم.. لتتناثر بعده هباءً في كلّ الاتجاهات..

-كيف يوثق في قلب رجلٍ وقد أُعدّ منذ البدء ليضمّ أكثر من امرأة؟.. هو الذي خُلق من الأرض لينتمي دومًا إليها.. وخُلقت هي منه لتنتمي دومًا إليه، وتظلّ مرتبطة به وحده.. منه حياتها.. وله حياتها، ودونه.. لا حياة.. فكيف ستعيش دونه!؟ وكيف ستتحمّل أوجاع كل تلك التفاصيل التي ستصوّره لها مع قاتلتها؟.. خانتها قواها.. تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.

تساءلت في ألم:

-هل يشفع لي أني دفعت ثمن خطيئتي اليوم فلا أكون أشر الناس غدا؟ وهل...؟!

ما عادت تحتمل التفكير.. انهار ما تبقى من قواها على الأرض■

---

(١) أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص١٨٧.

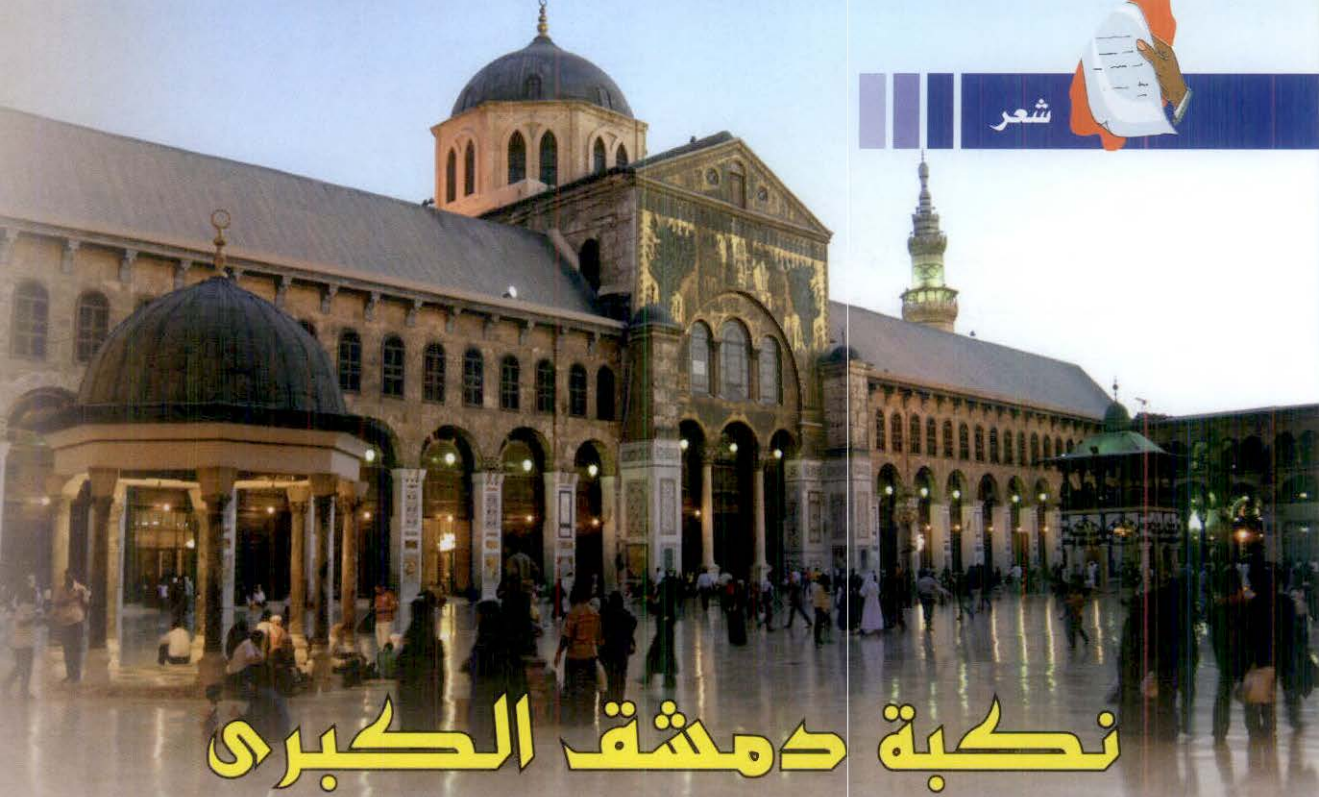

نكبة دمشق الكبرى

رسالة مفتوحة يوجّهها الشاعر (عيسى ألبي أبوبكر) إلى أمير الشعراء (أحمد شوقي) يخبره عن نكبة دمشق الكبرى بعد مضيّ ما يقارب تسعين عاماً على إلقاء قصيدته القافيّة المشهورة في خمسة وخمسين بيتاً بمسرح حديقة الأزبكيّة، في القاهرة في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا في يناير ١٩٢٦م، وعنوانها (نكبة دمشق)، ومن أبياتها:

سلام من صبا (بَرْدَى) أَرَقّ ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومعذرة اليراعة والقوافي ... جلال الرزء عن وصف يدقّ

وذكرى عن خواطرها لقلبي ... إليك تلفّت أبداً وخفق

يقول عيسى ألبي أبوبكر:

د. عيسى ألبي أبوبكر(*) - نيجيريا

أميرَ الشّعر قلبك هل يدقّ ... وقد أقوتْ بكلّ أسًى دمشقُ

ونكبتها التي قد ضِقتَ ذرعاً ... بها فوصفتها ألَمًا أرقُّ

تفتّت قلبك الواهي عليها ... وزلزله لها خوف وخفقُ

تغيّر لونُ وجهك بعد رزء ... وقد أبهى به بِشْر وطلقُ

فقدتُ لرزئها الأنكى رشادي ... وفي قلبي لما تلقاه صَعْقُ

وتُصبح وهْي مقلقة الجَنان ... وفي إمسائها رَعْدٌ وبرقُ

وجنّتها المزيّنة الرّوابي ... قلاها فجأة طيرٌ ووُرْقُ

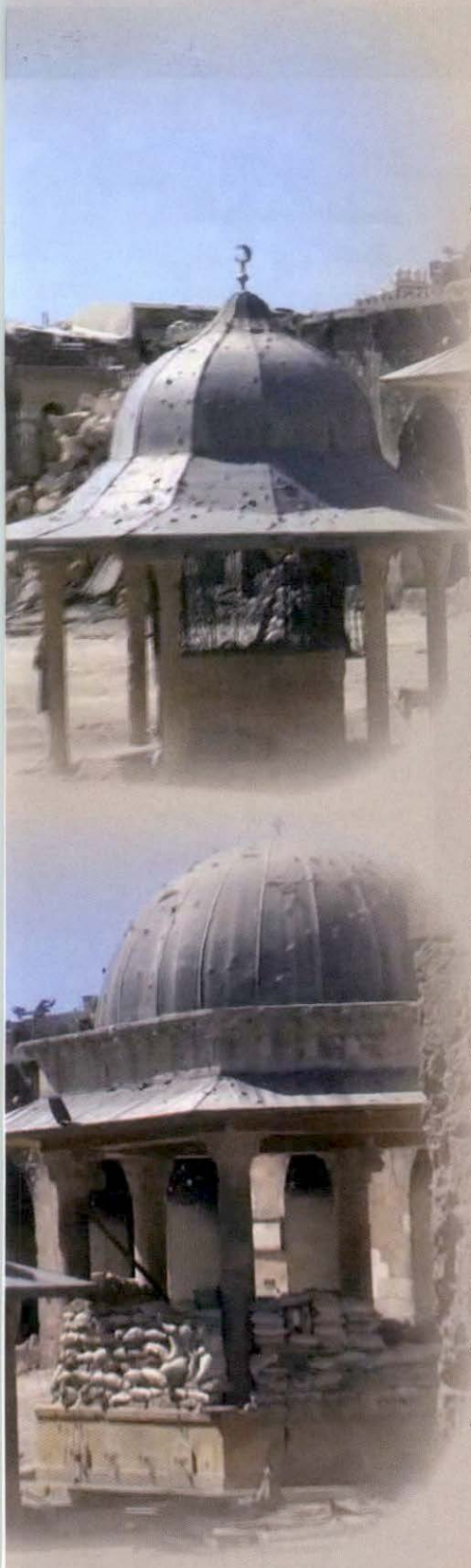

أصدّق ما روى الراوون عنها ... ففي أخبارهم جِدٌّ وصِدقُ

وفي أخبارهم ما لا يلذّ ... دمار شامل دوماً ونَزْقُ

و(سُوريا) قد أذلّوها فصارت ... يدير شؤونها غرب وشرقُ

بنوها ويحَهم دَكُّوا حماها ... بأيديهم وهم خُرقٌ وحُمْقُ

فجاءتها الأعادي من بعيد ... وفي أضلاعها غيظٌ وحَرقُ

ففي أفعالهم إنّي أراهم ... كمن في قلبه فِسْقٌ وعَقُّ

وقد راموا رئاستها بعُنف ... وليس لهم إلى الأخلاق سَبْقُ

زمام الملك يؤتيه إلهي ... بدون تشاجر من يستحقُّ

أبينَ أُسودها ومُعارضيها ... إذا ما قيستِ الأضرارُ فرقُ؟

إذا سألوك: أيُّ النُّظم خير؟ ... فإنّ الحكم بالشورى أدقّ

إذا سألوك: أيُّ النُّظم أعلى؟ ... فأعلاها لها عدْلٌ ورِفْقُ

لماذا قتّلوا البُرآء ظلماً ... وليس لهم وأيمُ الله رَشقُ؟

لماذا شرّدوا قوماً كراماً ... فليس لهم إلى الإرغاد طرق؟

لماذا أيّموا النسوان فيها ... وليس لهنّ من يحمي ورزق؟

لماذا يتموا الأطفال بغياً ... وهم في العمر أفراخٌ تُزَقُّ؟

لماذا دمّروا الآثار جهلاً ... أفي تفكيرهم رَشَد وعمق؟

لماذا شوّهوا للدّين وجهاً ... (وفي أعطافهم خطباء شُدْقُ؟)[1]

سكتُّ أسىً فأنّبني ضميري ... فقلتُ الشعرَ كي يرويه خلقُ

أبعد (الأزبكيّة) جئتُ أبكي ... (لسُورِيَا) بل لأستار تُشَقُّ؟

أأرغب في زيارتها و(بَرْدَى) ... يُشَابُ وماؤه كدرٌ وَرَنْقُ؟

يعزّ عليَّ حقّاً أن أراها ... بكلّ قنابل الدّنيا تُدَقُّ

(*) قسم اللغة العربيّة، جامعة إلورن- نيجيريا.

(١) عجز البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي.

قصص المرأة الباكستانية.. وصراع الهوية! (*)

في مجموعة القصص التي نشرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، عام ٢٠٠١م لمجموعة من الكاتبات الباكستانيات، وترجمها عامر الزهر، وراجعها شاهر عبيد، يظهر تأثير قيام دولة خاصة للمسلمين في شبه القارة الهندية واضحا، وينكشف ذلك القلق الفكري والقومي والإنساني، في اللغة والقضايا والتطورات التي تطرحها هذه المجموعة، فضلا عن المراوحة بين التجارب الذاتية التي ترتبط عادة بعطاء المرأة وتصوراتها في مجال الأدب، والاهتمام بالقضايا الكبرى التي تحكم عالم السياسة والعالم الثالث.

اثنتا عشرة قصة:

تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة لكاتبات باكستانيات، ظهرت في الفترة من الستينات إلى الثمانينات من القرن العشرين الميلادي لعذراء عباس، وفاطمة لطاف، وخديجة مستور، وحجاب امتياز علي، وممتاز شيرين، وراضية فاسح أحمد، وفاهميدا رياض، وجميلة هاشمي، وفرخاندا لودهي، وأومي يوما، وخالدة حسين، وفي المجموعة قصتان لممتاز شيرين.

د. حلمي محمد القاعود- مصر

(*) مجلة الحج والعمرة- ذو الحجة ١٤٢٥هـ.

ويلاحظ أن القصص التي بين أيدينا تركز بصورة أو بأخرى على معاناة المرأة الحقيقية أو المفتعلة، في زواجها وطلاقها أو انتقالها من مكان إلى مكان، أو مشاعرها وعواطفها، أو حريتها وقيودها، أو استقرارها وغربتها، أو.....

روايات ملخصة:

ثم إن هذا التركيز يبدو في أحيان كثيرة ملتبسا بها التصور الغربي لقضية المرأة، والعلاقة بين الذكر والأنثى لدرجة يتحول معها الرجل المسلم أحيانا إلى طاغية مستبد، وشرير متوحش، والمرأة أمامه ضحية مستباحة، لا حول لها ولا طول!

ومع ذلك سنجد نموذجا للمرأة الشريرة التي تؤذي الجميع، وتؤذي نفسها، وإن كان هذا السلوك ناتجا في أسبابه عن ظلم المجتمع، والرجل معا.

كما يلاحظ أن هذه القصص باستثناءات قليلة تبدو مشروعات روايات، أو هي ملخصات لروايات طويلة، تسهب الكاتبة في تعديد الأحداث والشخصيات، وتطيل الزمن وتنوع الأماكن إلى دوائر فسيحة أو متسعة.

وتبدو بعض القصص أقرب إلى التعبير الاجتماعي وهموم المجتمع بصفة عامة، مع أنها تجربة ذاتية نسوية، كما يبدو بعض آخر أقرب إلى الشحنات العاطفية والومضات الشاعرية.

وفي قراءة سريعة وخاطفة للمجموعة يمكن أن نكتشف بعض هذه الملامح أو غيرها، ولكنها في مجموعها تؤكد على هموم مشتركة بين معظم الكاتبات، ومعاناة كل الكاتبات إزاء الانتماء إلى هويتهن، والتطلع إلى هويات أخرى، وخاصة الهوية الغربية. تقدم (عذراء عباس) قصتها القصيرة، (ارتحالات النوم) في صياغة شعرية متميزة - الكاتبة شاعرة أصلا - ولكن قدرتها على تشخيص الماديات واستخدام المجاز تمنحها طاقة ملحوظة على العزف المنفرد على هموم الذات، وخاصة الإحساس بالوحدة، والشوق إلى الآخر.. إنها تختتم قصتها ختاما شاعريا يؤكد رهافة إحساسها.. وتقول:

يا ضياء الوقت الذي يتدخل عبر أغنيات اللحظات، امنحني رشفة ظمأ، أي ذلك كله ذلك الذي يتدثر الظلام.

وفي قصة فاطمة ألطاف، وعنوانها (عندما تبكي الجدران) تبدو مأساة المرأة الباكستانية الفقيرة واضحة ومقنعة، وللقصة بداية دالة تتخذ من أحد عناوين الجرائد وسيلة لإثارة انتباه القارئ، تقول: «سحب العربات التي تجرها الخيول من شوارع لاهور تدريجيا»، ثم تنتقل لتسجيل الواقع المحلي والعادات والتقاليد السائدة.

وفي سرد (فاطمة ألطاف) تبدو آثار الثقافة الإسلامية السائدة واضحة جلية، فنقرأ كلاما عن حكمة الله، وقراءة القرآن، ووأد المرأة حية، وذكر اسم الله أو الأذان في أذن المولود.

نموذج غريب:

أما خديجة مستور في قصتها (الغراب)، فتقدم لنا من خلال بناء روائي مركز، نموذجا غريبا، بل شاذا في عالم المرأة، إنه نموذج المرآة الفقيرة التي تتحول إلى مخلوق شرير، بسبب الفقر والظلم والجوع والاضطهاد، فضلا عن الحرمان من الابن، أو فقدان الأمومة، الذي يتحول إلى صراع ينتهي بكارثة فاجعة.

إن (الغراب) امرأة تحولت إلى زعيمة في السجن، وتسميتها الغراب تقليد للمافيا-عصابات الجريمة المنظمة-التي تسمي زعيمها غرابا، وهي في غضب الجوع، تستبيح كل شيء، وتدمن الحشيش، وتلعن صنف الإناث، وفي السجن الذي تدخله نقابل

نماذج عديدة لنساء مهضومات، يصورن بشجاعة الرجل وظلمه لهن، ولكن الغراب مع قسوتها وشراستها تعاني عذاب الأمومة، حين ترى سجينة ترضع طفلها الوليد الذي تتعلق به، وتحاول أن تمارس معه أمومتها المفتقدة، وينتهي بها الأمر إلى نهاية مأساوية فاجعة، حين تأخذ ابن السجينة وتربطه على صدرها وهو ممسك بحلمة ثديها في فمه، وعيونها شاخصة من المحاجر، وجسدها بارد يابس!!

ولا شك أن رواية الغراب القصيرة تعطي نموذجا لتحولات المرأة يختلف عن النموذج السائد الذي تشغله السيولة العاطفية، حقيقية أو مدعاة، ويقدم جانبا آخر يندر أن نراه في قصص المرأة عموما.

مفارقات:

في قصة حجاب امتياز علي وعنوانها (وحصل له حادث) نعيش مع العلاقات الزوجية في مفارقاتها الغريبة، ودور الصديق في إفساد هذه العلاقة وفصمها.

وتقدم ممتاز شيرين نمطا آخر للعلاقة العاطفية العميقة في قصتها (الصحوة) من خلال تعلق طالبة بأستاذتها، وامتداد هذه العلاقة إلى المجال الأسري، وتجاوز الاختلاف العقدي والفكري.

وفي القصة شخصيات نسائية تتحرك وتتفاعل، والرجل واحد فقط، لا نراه ولانشعر به، فقط نسمع عنه، بوصفه محور اهتمام الشخصيات النسائية المعنية (أبا جلنار، الآنسة فنس.. كاريمان.. زكية.. زبيدة) صلة المرأة بالمرأة في هذه القصة حميمة وعميقة، ولكنها تتأثر بالصورة الخارجية، أو الشكل، الذي يشغل المرأة غالبا، بل هو عذابها في كل زمان ومكان.. لذا نجد وصف النساء لبعضهن يكثر على صفحات القصة، وهو وصف يتراوح بين المديح والانتقاص والسخرية. تسخر إحداهن من الأخرى فتطلق عليها لقب (السوداء) مع أن بشرتها حنطية.. أما المديح فمجاله عريض: طول الجسم ورشاقته هما أساسيات الجمال، بياض البشرة « هل يمكن لأحد أن يكون جميلا وبشرته ليست وردية بيضاء اللون؟» أما الوصف السلبي فيتمثل في هذه الصورة: « وكانت كالعصا الطويلة المبرية، فلم تكن لها انحناءات جذابة في شكلها.... فهي ليست

سوى قطعة من الخشب المسطح بلا حياة».. الوصف بالجمال والقبح هو ما يشغل النساء، والمرأة عموما، على امتداد القصة.

والنساء يهتممن بشكل الرجل أيضا، جمال الجسم وحلاوة العينين، ومع هذا الاهتمام بالشكل بين المرأة والمرأة، والمرأة والرجل، فإن علاقة المرأة بالمرأة مهما تعمقت وتأهلت تبقى أضعف كما تخبرنا القصة. فإن العلاقة بين المرأة والرجل ممثلة في الخطوبة والقران والزواج تنتصر على كل علاقة.. لأنها العلاقة الرابحة الطبيعية!

الانحدار:

ممتاز شيرين واقعية في كتابتها وتصورها. إنها مع الحلول العملية المنحازة للإنسان، لذا تعالج تأثير الفقر على المرأة وتعد -بصورة ما- انعكاسات، أو نموذجا عكسيا لقصة (الجحيم) التي كتبتها راضية فاسح أحمد، وتعزف على وتر اضطهاد المرأة في نموذج غريب وشاذ، وسنشير إليها بعد قليل.

إن ممتاز شيرين تنتقد بقسوة طبقية العلاج وعدم قدرة الفقراء، نساء ورجالا على المعالجة في المستشفيات، بسبب النظام الاستغلالي الحر في المجتمع القاسي الذي لا يرحم، مما جعل الفقر هو الجحيم بحق! إن المستشفى الذي يصر على عدم تسليم جثة المرأة المتوفاة لزوجها إلا بعد قبض مصاريف العلاج، يمثل أبشع صور القسوة في المجتمع، وتمتد القسوة حين يسمع زوجها الممرضات يتهامسن، وهن يتحدثن إلى بعضهن: (على أية حال فقد رأينا الكثير من الأموات هنا، لم يخفنا منظر الأجساد الميتة أبدا، لقد تعودنا على ذلك لكن انظري لها.. ألا تشعرين؟..) كن يوجهن إليها الإهانة حتى في موتها.

إن ممتاز شيرين -وتبدو أفضل الكاتبات على المستوى الفني- توظف المفارقات للتعبير عن مأساة الفقراء في المجتمع، ومنها على سبيل المثال منظر زوج المتوفاة الفقير، وهو يقدم نفسه للمستشفى كي يتبرع لزوجه بالدم. تنظر إليه الطبيبة من رأسه إلى أخمص قدميه. هل سيتبرع بالدم، هذا المتهدل النحيل؟ هو نفسه ليس لديه إلا القليل من الدم! لكن نظرته الموزعة أتت بالإجابة بعزمه: سأعطيها أي كمية تحتاجها إذا كان ذلك ينقذ حياتها.

ممتاز شيرين لديها حساسية الواقع الخارجي الذي توظفه في موازاة الواقع الداخلي للشخصيات، فتوظف المكان والزمان، والمغزى، ولنقرأ نهاية القصة، والزوج يحمل جثة زوجه هابطا الدرج، ليخرج من المستشفى.

الدرجات كانت ضيقة ومعتمة، كانت هناك ظلمة في كل ما حوله، ظلمة الليل، ظلمة الموت، الدرجات تبدو بلا نهاية، طريق طويل إلى الأسفل.. الأسفل.. انحدار طويل.. هبوط الانحدار الأخير.

اضطهاد المرأة:

قصة الجحيم التي كتبتها راضية فاسح أحمد، تعد رواية قصيرة، تعزف على وتر اضطهاد المرأة، وتقدم نموذجا غريبا لاضطهادها، وتحتفي بالثقافة الغربية في نظرتها إلى المرأة وتعاملها معها، في الوقت الذي تهجو فيه الرجل الشرقي هجاء شديدا، وتصوره في أقبح صورة..

إنها تقدم صورة امرأة اسمها (قدسية) يرغمها أهلها ويقهرونها على الزواج من رجل غني، يعد سيد المنطقة التي تعيش فيها، اسمه (الخان الأكبر)، ويعزلها بعد الزواج مع بقية النساء في مبنى متواضع معتم، تفصله عن القصر المنيف الذي يعيش فيه مسافة كبيرة وحراس، وتنجب له طفلا اسمه

(ناصر)، ولكنها تهجره لمدة تزيد على عشرين عاما، لا ترى فيها وليدها الذي كبر وصار رجلا.. وتحاول الهروب ولكن المحاولة يتم إحباطها، وتبدو الإشادة بالغرب وثقافته بديلا.

إحباط المحاولة كانت أحد الأدلة على قوة خان الأكبر وسطوته وكثرة عيونه، وقد أحبط محاولة أخرى لهروب ابنه ناصر مع صديقه إعجاز، ولكن القصة / الرواية تكشف لنا عن لعبة قديمة للمرأة، وهي قدرة المرأة على الانتقام من الرجل، حينما زعمت لزوجها كذبا أن الأجنبي لمسها بموافقتها، ثم اختفت في جناح النساء، ورفضت منذ ذلك اليوم أن تقابل أحدا.. وتحول زوجها الطاغية إلى حالة يرثى لها، وحاول أن يقابلها لتنفي ما زعمته ولكنها رفضت لقاءه. وظلت صامتة كالحجر.. فتوفي بعد ذلك بوقت قصير بعد أن حطمت كبرياءه!

المفارقة أن الكاتبة تقدم لنا ابن الرجل-ناصر (في صورة تتماهى مع التقاليد الغربية، حيث يتعمد تقديم زوجه، ابنة المدينة المتعلمة الغريبة عن المنطقة التي يعيش فيها، لأي أجنبي يأتي لزيارته: والغريب أنه يقول: لا أعرف لماذا أفعل ذلك؟ ولكن صديقه (إعجاز) يفهم تماما لماذا يفعل صديقه ذلك!

أطواق النار:

في قصص فاهيمدا رياض وجميلة هاشمي وفرخان لودهي وأومي يومارا يظهر أثر تقسيم القارة الهندية والصراع المسلح بين الهند وباكستان، والانتقال من باكستان إلى بنجلاديش، واضحا على تفاوت، وتبدو فيه المرأة ضحية ومعذبة، وهي التي تدفع الثمن غالبا، وخاصة التمزق بين عالمين وهويتين..

أما خالدة حسين فتنحو في قصتها « أطواق النار » منحى مختلفا بعض الشيء، إذ تربط المرأة بالرجل. فهي تصور عذاب المرأة حين يهجرها الرجل أو يغدر بها، ونظرة المجتمع إلى المرأة في حالة زواجها أو عدم زواجها، كما تركز على مشكلة المرأة العانس ومعاناتها للوحدة والجفاف العاطفي.. والكاتبة تحمل من خلال شخصياتها -وكلها نسائية- على الوعي الانهزامي، والإيمان بالخرافات، والتشاؤم، «أقترح أن تبدئي التفكير بالعالم الثالث، وأن توثقي علاقتك بالأمم الرجعية المحرومة المريضة، وهكذا تستطيعي أن تصلحي من أمر نفسك..» ثم جمعت كتبها وذهبت..».

«العالم الثالث.. ألست مسؤولة عن هذا العالم وما وراء هذا العالم الثالث الذي يعيش فيه داخلي؟ مسؤولة عن أرض مقفرة من الكرب والألم..».

وبعد:

فهذه إطلالة سريعة على لون من ألوان الأدب في بلادنا الإسلامية الممتدة، تقدمة المرأة الباكستانية وهي تواجه صراعا عاصفا بين الحديث عن همومها الخاصة، وبريق الاندماج في الثقافة الغربية، فكرا وتصورا، بين البحث عن حياة كريمة عادلة، وعذاب الصراع السياسي والعسكري من حولها ■

قراءة في العدد (٩٠)
من مجلة الأدب الإسلامي

لا أبالغ إذا قلت عن مجلة «الأدب الإسلامي» الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، من المجلات الرائدة في رسالتها «فكراً ونهجاً».

وهذا بفضل الله ثم بفضل جهود القائمين عليها، الذين رسموا لها آلية ناجحة، وسبيلاً قويماً، يحقق الأهداف النبيلة والغايات المرجوة، نحو إبداع أدب رفيع، ينبض بالأصالة دنيا وديناً، ويبتعد عن كل دخيل لا يمت للفكر النيّر والاستقامة بصلة، وينكر كل ما يفد إلينا من المترجمات الوافدة، ويتعارض مع ما ورثناه قديماً وحديثاً، من تراث علمائنا وأدبائنا الأفذاذ.

ذلك ما أردت الإشارة إليه، من مجلة الأدب الإسلامي، وما تقدمه للقارئ العربي والمسلم على وجه البسيطة من أدب جم، وفكر نير، واتجاه سليم، تثاب عليه دنيا وآخرة، وكمدخل لقراءة وجيزة لموضوعات العدد (٩٠) منها، لما تميز به «مادة وإخراجاً»

صدر العدد (٩٠) من مجلة «الأدب الإسلامي» لأشهر جمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٤٣٧هـ، وقد كان كعادته، روضة تفيض بما لذ وطاب من أدب النثر المعبر، وعذب الشعر الجميل الأصيل، ومما زاد هذا العدد رونقاً وإقبالاً ملف العدد عن رثاء الأديب التركي الراحل/ علي نار، والمآثر الأدبية الخالدة التي خلّفها لبلاده، ولأدباء العالمين العربي والإسلامي، وهي عادة حسنة درجت عليها «مجلة الأدب الإسلامي» خلال مسيرتها الطويلة المشرفة في رثاء جهابذة الأدب وأساطين القول، على مستوى العالمين العربي والإسلامي، والإشادة بما قدموه وأنجزوه من أعمال رائدة، لبلدانهم وأممهم إذا ذكرت شكرت.

وممن أجاد وأفاد، في رثاء الراحل: علي نار، من علماء وكتاب العدد المذكور هم: د.عبدالقدوس أبو صالح، د. عبدالباسط بدر، د. حسن الأمراني، د.حلمي القاعود، حوار محمد خليل، يوسف خلف، محمد المجذوب، شمس الدين درمش، إضافة إلى العديد من البحوث والدراسات والمقالات الأدبية القيمة والشعر الجميل المعبر، والقصص والمسرحيات الجيدة. والأبواب الثابتة لطريف الأخبار والمتابعات الجادة.

تظل «مجلة الأدب الإسلامي» رائدة في مسيرتها الأدبية، يقرأها القريب والبعيد، وحريصة على تقديم ما يُشبع نهم القارئ من الموضوعات الأدبية والثقافية وفق الإمكانات المتاحة لها، وفي الوقت نفسه هي بحاجة إلى دعمها (مادياً ومعنوياً) من الميسورين لتستمر رسالتها وتؤديها وفق ما خطط لها بعيداً عما قد يعترضها ويدفعها إلى الأمام على الدوام. وبالله التوفيق■

علي خضران القرني – الطائف

وصية عمر بن عبد العزيز

مسرحية شعرية تاريخية في مشهد واحد

د.غازي مختار طليمات- سورية

(يكشف الستار عن رجل مهيب فوق فراش، وحوله فتى يشبهه، وكهل ينحني عليه، وفارس في زي عسكري قديم)

الفارس: قد غمَّني أن أراك يا «عمرُ»[١]
وقد عراك السقامُ
ما الخبرُ؟

عمر: كأن أنياب ذئبةٍ مضغت جوفي
فقلبي يكاد ينتثرُ
وجفَّ حلقي
كأن حنجرتي صبارةٌ
في جدارها إبرُ

«مَسْلمَة»[٢] النائباتُ تكنُفُنا
وأين من يرعوي ويعتبرُ؟

مسلمة: أسألُ عن ضرِّك الملمِّ
فما عراك من قبلُ مثله ضررُ

الفتى: يقال:
إن الذين عاملهم بعدله
من أميةَ ائتمروا
قد ساءهم منه أن يصادرهم
فدبروا قتله
وما ازدجروا

الكهل: قيل:
رشوا خادماً ليقتله
فدس سماً له كما أمروا
بالأمس عدل «الفاروق» أهلكه
فاغتاله مَنْ بعدله اندحروا
واليوم سبط الفاروق[٣]
أسخط مَنْ بالعدل
مِن بعد سِمْنة ضمروا

عمر: «رجاءُ»[٤] دعواك لا يؤيدها سمع
يدين الجناة، أو بصرُ

الفارس: وأين فرَّ الجناةُ؟

رجاء: شرطتنا تبحث
لا يختفي لهم أثرُ

عمر: لا تظلموا خادماً
وتتهموا من دسّه
إن علّتي قدرُ
أحسّ أني قاربت آخرتي
وأنني مدنف ومحتضرُ
الفتى: يا أبتا
روحي الفداء إذا ما حام
أو جال حولك الخطرُ
عمر: «عبد العزيز»[٥] الحِمامُ حيث مشى
لم تثنه فدية ولا حذرُ
(يدخل الحجرة شرطي يصحب شاباً مكبل اليدين)
الشرطي: «أبا حفص»
قد اعتقل الأثيمُ
وها هو ذا أمامكمُ يقومُ
مسلمة: **(بلهجة غاضبة وقد سلّ سيفه من غمده)**
لينتقمن سيفي منه
عمر: دعه
فإن السيف – إن يغضب – غشومُ
قضائي في حقوق الناس عدلٌ
وفي حقي حليم بل رحيمُ
مسلمة: إذنْ فليعترفْ
من غير سيفٍ ولا حيفِ
لتنقشع الغيومُ
الخادم: كنت حول الدار أسعى في الظلامْ
فالتقاني شبح ملتحف خلف لثامْ
وعلى جانبه الأيمن ينساب حسامْ
خفتهُ
قال: تطامَنْ
ثم أغواني بمعسول الكلامْ
ورمى لي ألف دينارِ
لكي أرمي شيئاً في الطعامْ
قبل أن يطعمه مولاي
فانصعت كأني في منامْ
رجاء: أو ما ارتبتَ؟
الخادم: لم يبقِ ليَ المال ارتياباً أو يقينا
لم أقدِّرْ
أن هذا الشيء قد يؤذي أمير المؤمنينا
كنت مسحوراً بما في الكيس من ألفٍ
رواءً ورنينا
مسلمة: أولم تعرف من المجرمُ؟
الخادم: قد كان بما يخفي ضنينا
عمر: أين ما أعطاكه؟
الخادم: **(يخرج من جيب قميصه كيساً، ويدفعه إلى عمر)**
ها هو ذا
رجاء: إنه مال حرامْ
عمر: وحلال حينما يدخل بيت المالِ
من بيت اللئامْ
يا «بن حيوةْ»
إن للمال على الإنسان سطوةْ
واشتهاء المال أغوى خادمي
رجاء: أقبح بحب المال شهوةْ!
عمر: صادر المالَ
وأطلق طامعاً
حاول أن ينزو نزوةْ
فهوى في الإثم في الدنيا
وفي الأخرى سيهوي طيَّ هوَّةْ
عبد العزيز: كيف تعفو عن أثيمٍ؟
بيَّت القتل برشوةْ
مسلمة: يا أمير المؤمنينْ
كيف تعفو عن خؤونٍ، غادرٍ، وغدٍ، لعينْ!؟

عبد العزيز: إنه مقترفٌ معترفٌ بالجرم جهراً
لا ظنينْ

عمر: قد غفرت الذنبَ
علَّ الله أن يغفر ذنبي
أطلقوه ودعوني ألق ربي
ملقياً وزريَ عن ظهري
وصبري غاسلٌ بالأجر قلبي

مسلمة: أوَلا توصي؟

عمر: بلى! أوصي
«رجاءُ» ادعُ بنيّْ

رجاء: إنهم بالباب
لم يبتعدوا عنه بصبحٍ أو عشيّْ

(يفتح رجاء باباً جانبياً، فيدخل الحجرة أحد عشر ولداً من أعمارٍ مختلفة، ويتحلقون حول فراش عمر، وعيونهم تذرف الدموع)

عمر: كفكفوا أدمعكُمْ
أنتم رجال لا نساءْ
واعلموا أن أباكم راحلٌ
بين صباحٍ ومساءْ
إن يكن أحسن
فالجنة للمحسن في الأخرى جزاءْ
وإذا أذنبَ
فالنار لمنْ أذنب أو كان أساءْ
وبنو الميِّت للميّت من النار
إذا شاؤوا وقاءْ
أفتمسون - إذا متُّ- من النار وقاءْ؟

أكبر الأولاد: بل من الموت فداءْ

عمر: ليس للميّت فداءٌ قطُّ
فالموت على العبد قضاءْ
وقضاءُ الله لا يدفعُ
حسبي منكمُ أجر الدعاءْ
وثناء الناسِ

ولد آخر: قل: كيف سنحظى بالثناءْ؟

عمر: بالتزام البرّ والتقوى
وبالإحجام عن أهل الثراءْ
وبحب العلم
فالعلم بهاءٌ ونماءٌ وارتقاءْ
اجعلوه سيّداً للمال لا عبداً
تسودوا وتقودوا

مسلمة: أوما سُدنا وقُدنا؟
ولنا ملك تليدٌ وعتيدُ

عمر: دولة السيف بلا علم تبيدُ
وإذا ما قادها العلم فترقى وتزيدُ
إن نور العلم لا مال قديم أو جديدُ
كنزي الموروثُ والمجدُ التليدُ
إن تكونوا قادةً من قبله
زادكمُ العلم قيادةْ
أو تكونوا وسطاً
أعلاكمُ العلم وأعطاكم سيادةْ
وإذا كنتم من السوقة أغناكمْ
فعشتم في سعادةْ

عبد العزيز: ذاك ما كنا نرجيِّ
ولد آخر: شئت والله الذي كنا نشاءْ
ولد ثالث: ولك الوعدُ:
بأنا سوف نجفو الأغنياءْ
ولد رابع: ونوافي ونصافي العلماءْ
عمر: اخرجوا
لا تخلفوا الوعدَ
يجنِّكم بالغنى وعدُ السماءْ (٦)

(يخرج أبناء عمر، ويسود الصمت لحظات، ثم يقطع الصمت مسلمة بن عبد الملك)

مسلمة: خرجوا والخوف يغشاهم
كمن يخشون في العيش بليَّةْ
كيف تمضي؟
قبل أن تترك للأبناء وصيَّةْ؟
عمر: لمَ أوصي لهمُ بالمالِ؟
هم بعض الرعيةْ
بمَ أوصي؟
أنا ما أبقيت للوارث من مالي بقيةْ
رجاء: أنا منه بالذي يملك
يا «مَسْلَمَ» أعلمْ

مسلمة: كم يصيب الولد الوارث من أولاده؟
رجاء: عشرين درهمْ
مسلمة: يا أمير المؤمنينْ
أوصِ من مالي
فمالي بالذي توصي معينْ
فبآلاف الدنانير ثرائي
بالغ بضع مئينْ (٧)
مَنْ يصبهُ
فهو إن أوصى جدير بالذي يوصي قمينْ
عمر: كرم منك
ولكن ليس فيه مكرُمةْ
واغتنام – واحتمل نقدي- حرامٌ
ليس لي أن أغنمهْ
إنني أرفض ما تعرض رفضاً
يا بن عمي «مسلمةْ»
فليعد فوراً لبيت المال
إن كنت تخاف المأثمةْ
إنه مال الرعايا
من فقيرٍ مُسلمٍ أو مُسلمةْ
مسلمة: فليكن أبناؤك الأبرارُ
من بين الرعايا
فلهم حقٌّ إذنْ
عمر: حق الرعايا لا دنانير الهدايا
لِمَ أوصي بألوف لهمُ؟
وهي حقوق للبرايا
مسلمة: هم ذوو قربى
وللقربى مع الحق مزايا وعطايا
عمر: ما لهم من ميزةٍ
إلا كريمات السجايا
وهي مما أورث الفاروق أمي
من مزايا

وإذا شبوا فقد تطمسها سود الخطايا

مسلمة: يا «رجاءُ» الردُّ أعياني

رجاء: أعنّي

إنني أيضاً عييٌّ

و «رجاءٌ» بالذي يفتي أبو حفصٍ رضيٌّ

عمر: أصغِ يا «مَسْلَمُ»

أبنائيَ ما بين تقيٍّ وشقيٌّ

فأخو التقوى عن المكنوز من مالكَ

بالتقوى غنيٌّ

وإذا حاز الشقي المالَ

فالمال لخمرٍ أو لقمرٍ أو بغيٌّ

فلماذا أرِد الأخرى بأوزاري؟

وأوزار العصيٌّ

أنا لن أغدو في قبري عوناً

لغويٍّ لا تقيٌّ

ذاك ما أفتي به

رجاء: (والستار يسدل) أفتيتنا خير الفتاوى

في الوصايا

فلم الخوفُ إذا ما انتزعتنا

من ذرارينا المنايا؟

عمر: قل: لمَ الخوفُ وربُّ الخلق بالخلق حفيٌّ

بالأيامى واليتامى من فتاة وصبيٌّ

فهو – لا مال ابن عمي –

لهمُ خير وليٍّ ووصيٌّ

(تمت)

الهوامش:

(١) عمر: هو عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، كنيته أبو حفص، قيل: مات مسموماً سنة ١٠١هـ.

(٢) مَسْلَمَة: هو مسلمة بن عبد الملك أحد القادة الفاتحين في العصر الأموي (ت: ١٢١هـ).

(٣) سبط الفاروق: هو عمر بن عبد العزيز، لأن أمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) رجاء: هو رجاء بن حيوة (ت: ١١٢هـ) كان وزير عمر بن بن عبد العزيز، وسليمان بن عبد الملك قبله.

(٥) عبد العزيز: هو أحد أنجال عمر الاثني عشر.

(٦) في النص إشارة إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون). (الذاريات: ٢٢).

(٧) ذكر المؤرخون أن مسلمة بن عبد الملك اقترح على عمر أن يهبه من ماله ثلاث مئة ألف دينار، يوصي بها لبنيه.

أنت المهيمن

أنت المهيمن مالكاً وجداني — والفرد أنت فليس بعدك ثاني

سبحانك اللهم حبك وجهتي — وجميل عفوك سلوتي وأماني

أدعوك وحدك والدعاء وسيلتي — وشفاء قلبي وارتواء جناني

يا من بذكرك للحياة جلالها — والروح تعرف للوجود معاني

وأقول يا الله يشرق عالمي — والنور يملأ خاطري وكياني

وأتوه وحدي والحياة تشدني — لجحيم ذنبٍ باللهيب يراني

وأدور وحدي لا أفيقُ ولا أرى — إلا الشرود وحيرتي وهواني

محمد عباس علي داود- مصر

في اللحظة الفارقة بين حياتين، سطرتُ قصتي.. دبجتها بحروفِ السهاد. القلبُ مضغةٌ للدم وحسب، مفهومٌ نقشه في وجداني إزميلُ قيمٍ وتقاليد حددت سلوكَ أمثالي - كشاب ملتزم - وطريقة تفكيره، ونظرته للحياة، الحياةُ التي لم تكن سوى وسيلةٍ للموت، قيمٌ وتقاليد صنعت مني كائناً خشبياً يسير على قدمين، يقرُّ بكل شيء إلا العاطفة، فالحبُّ مفردة لم أكن أسمعُ بها إلا في قصص الغاوين في العظاتِ التي كانت تطرقُ أسماعنا، أمورٌ مبتذلة لا تليقُ بهذا الكائن الذي كنتُه، وكذبةٌ مهولة يستعذبها الفارغونَ لسدِّ شيء من العجزِ والفشل؛ ونبتة مزعجة يجب أن تُستأصلَ قبل أن تستفحل!.

في العاشرة مساءً اهتزَّ هاتفي: «أنتَ شابٌ نادر، سلامٌ لروحكَ الطيبة!»

رسالةٌ من مجهول، لم أكترث بها أو بصاحبها، تحية ربما وردت من جوال صديق غير مدون في سجلِ هاتفي.. هكذا ظننت!.

في العاشرة من مساءِ اليوم الثاني تأتيني رسالة من ذاتِ الرقم ومن المجهول عينه: كلما فكرتُ أن أتركَ الكتابة لك، أناملي تلهثُ للكتابة دون شعورٍ مني..

وأردف: كلّما حاولتُ نبذكَ من دمي ركضت إلي يدي تشدُّ وثاقي!..

من يكون ذلك المرسل المجهول الذي لم يستطع كبح جماح قلمه ليكتبَ لي؟! بدأ طوفان الأسئلة يغمرني، لم يتراجع إلا بهمسٍ نهضَ من أعماقي: لا تذهب بعيداً، فلربما كانتِ الرسالة قد أخطأت وجهتها.

الرسائل توالت تباعاً على ذاتِ النسقِ الأنيق من ذات «المجهول»، وفي التوقيت ذاته من كلِ مساء.. في الجامعة، ينتابني شعورٌ غريب.. ثمة من يترصدني، يتحركُ خلفي، شبحٌ يحصي أنفاسي، يعد خطاي.. أدري أن ذلك من نسجِ أوهامي التي خلفتها تلك الرسائل، أحاول طرد الهاجس من رأسي، وأمنع نفسي من كثرة الالتفات حتى لا أبدو مضطرباً يبعث على الضحك.

في آخر المدرجات الخلفية لقاعةٍ مهجورة تستخدمها إدارة الجامعة قاعة احتياطية، وقلّما يحدث ذلك، حيث اعتدتُ الجلوس - في حرائي - بعيداً عن الصخبِ في خلوةٍ مع أفكاري، دنا أحدهم مني هامساً: حسام هناك من يسأل عنك وينتظركَ خارج القاعة.

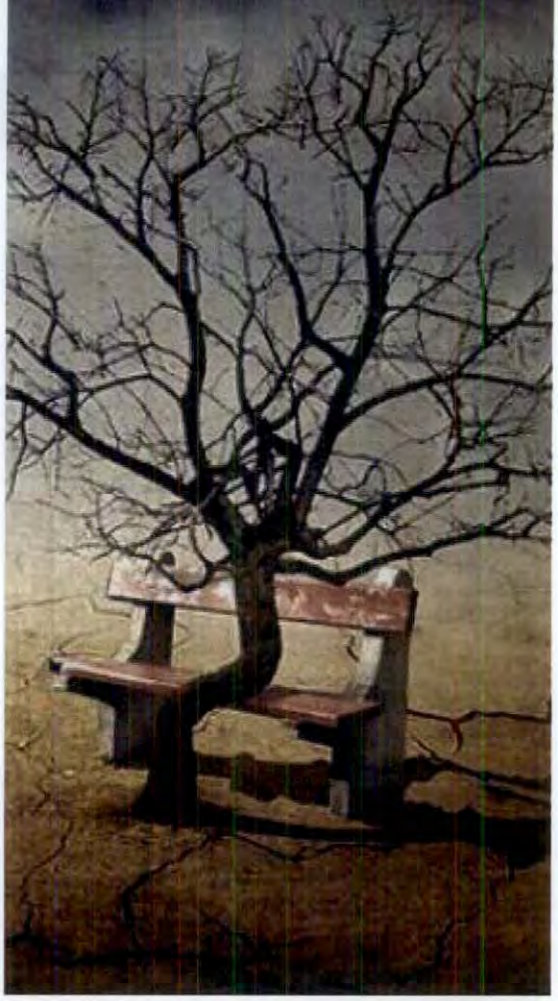

ما إن جمعتُ شتاتي الذي بعثره، حتى ذابَ طيفه، لم يمنحني فرصةً لأسئلة، ولم أتمكن من الإلمام بملامحه، عصفتْ بي حيرةٌ شديدة.. من ذا تراه ينتظرني؟! وكيف عرفَ أنني أجلس هنا؟

شعرتُ كأنني أحتاج ردحاً من الزمن لقطعِ المسافة من مكاني في آخرِ القاعة إلى بابها. لم أجد من ينتظرني خارج القاعة، أو حتى في الأروقة المحيطة بها، أفقتُ من غفوة الدهشة على وقع رسالةٍ من ذاتِ المجهول دلفت صندوق الوارد بهاتفي: «سلامٌ عليك، حاولت لكن لم أقوَ على لقائكَ برغم شدة حاجتي لذلك.. فاعذرني». تحولت عاصفة الحيرة إلى طوفانٍ كان كفيلاً ببعثرة ما تبقّى مني، أغلقتُ هاتفي وغرقتُ في أوهامي وحيرتي، قابعٌ في مكاني جسداً لا روح فيه، انصبّ تفكيري في حل هذا اللغز الذي أعيشه منذ أيام.

عند عودتي إلى المنزل رنَّ هاتفي، إنه ذات الرقم الذي يمطرني بحروفٍ طالما شغلت بالي، بصوتٍ هادئ، قلت: نعم، لكن أحداً لم يجب، ألو ألو.. لا أحدَ يجيب، أغلقت الهاتف، لأهربَ في قيلولة أستريح فيها من ضجيج «المجهول» الذي باتَ يؤرقني.

عدتُ من صلاة العشاء إلى مكتبتي، فرغتُ من رصِّ مجموعة كتبٍ أهديت لي وترتيبها..وبينما كنتُ أمتطي صهوة القلم أجول به عالم الفِكَر، قطع جولتي تلك دويُّ رنينِ الهاتف، فتحتُ عيني جيداً، إنه ذاتُ الرقم..

- نعم..

- السلام عليكم.. جاءني الرد في صوتٍ أنثوي رخيم..

- وعليكم السلام.. رددتُ أنا وعقدت الحيرة وأخواتها لساني.

- كيف حالك؟ أحببتُ أن أسمعَ صوتك فأنتَ دائماً صموت، وعلى فكرة أنت شابٌّ رائع..! وأغلقتِ السماعة.

أف..! لم تترك لي فرصةً لأسألها: من تكون؟ وماذا تريد!؟

بعد يومين عاودت الاتصال بي، تكرر ذلك منها على مدار الأيام التالية، كان الكلام يقتصر على السؤال حول أحوالي والجامعة.. استمرَّ هذا الأمر بشكل شبه يومي في كل مرة، وتحت وطأة الشعور بالإثم الذي كان يكبُرُ في نفسي مع الأيام، كنتُ أعقد العزم على أن أسألها من تكون؟ وما هو المطلوب مني؟ وأطلب منها ألا تعاود الاتصال بي، لكنها لم تكن تمنحني فرصةً لذلك، أو ربما أنني لفرطِ استمتاعي لم أُرِد مقاطعة ذلك الصوت ذي البحة الدافئة المحببة للنفس.

نعم.. كان صوتها عذباً يتدفقُ بسلاسةٍ وصفاء كماء السلسبيل. لا لا لا، أظن أنه اللاوعي الكامن في

أعماق النفس، ألم يقل أحدهم: إن اللاوعي هو النفسُ الأمارة، إذن بالتأكيد هو. تباً له من «لا وعي» سيئ!، يزين لي اقتراف تلك المعصية، وكأنه يقول لي: «لا غضاضة، ولا داع للفظاظة، ما دام أنها فتاة لا يُشتم من حديثها سوى الأدب، وهل هي أذنبت حين وجدت نفسها معجبة بشاب، حدّ وصفها له دائماً، جمع بين الحُسنين الخَلْق والخُلُق!.

لا أنكرُ أنَّ رسائلها كانت تنتشلني من قاع بئر الحرمان، وكنتُ أقرأ حروفها كزخاتِ مطر أحيت أرضاً قاحلة ملّتْ من عناقِ الجفاف، تغسلني كلماتها حين تهطل بماء الحياة، تبدد شيئاً من عزلة كنتُ أعيشها، رسائلها غيثٌ انهمر على فؤادي فأحاله واحةً مشرقة.. لكن.. سرعانَ ما يزول عني ذلك الأثر، ليعود قلبي إلى سيرته الأولى، هوةً سحيقة مليئة بالظلام، ممتلئاً بالعجز عن إسكات إحساسي بالظلم تجاه فتاة لم تتمكن من الصمت عن البوح بأمرٍ لا طاقة لها به، فتظلمُ الدنيا في وجهي مرةً أخرى.

أغلق الهاتف وأظل في صراعٍ بين مبادئي، ونوازع نفسي. قررتُ أن لا أجيبَ على أي اتصالٍ تحمله رياحها، كان يرن هاتفي، فتتسارعُ دقاتُ القلب، وتثبُ للرد أصابعي، لكنني أصررتُ بصرامة أن أصوم عن الحديث معها، لأنني أخشى أن أكونَ عبداً لصوتِ امرأةٍ يأتيني كشلال حبٍ يرويني حدَّ الشبع، فتدوي بين ضلوعي أجراسُ الحياة تارة، ويقذف بي إلى مفازات الهلاكِ تاراتٍ أخرى.

في لحظةٍ ما، غلبني شعورٌ بالذنب، وإحساسٌ بالخطيئة، فكتبتُ لها: اعذريني: لا أستطيع أن أعيش بقلبٍ، نصفه لله، ونصفه لامرأة!! كانت هذه الرسالة طاحونة الأنين الدائم لإقناعها بأن تصمتَ عن حبها، أن تدفنه، أن تهيلَ عليه التراب، أن تقفَ صامدةً بثباتٍ في وجه قلبها المجنون بحبِّ شابٍ مثلي لا يعرفُ عن الحبِ شيئاً سوى تهمة العيب الممسكة بتلابيبه، وذنب مشين يستوجبُ التوبة والاغتسال سبعاً إحداهن بترابِ الوهم الذي سربلَ روحي!.

لماذا يُعاقبُ المحبُ إذا ابتلي يوماً بسلطانِ الحب؟! في عالم الحجارةِ فقط يكونُ الحبُ شيئا من الجُرم، أو هو الجُرم ذاته، يصبحُ الحرمانُ زادنا، والآلامُ طريقنا إذا بُحنا بما لا طاقة لنا به، ثمة فصلٌ ظالمٌ بين حبِ الله، وحبِ امرأةٍ طاهرة ذنبها أنها أحبت دونَ شعور منها، الحبُّ فضيلة لا جريمة.. رسالة وصلتني منها على هاتفي رداً على رسالتي.

كلما فكرتُ في وقْعِ رسالتي عليها، يعتريني الأرق، يجافيني السكون، فأنصرفُ لقراءة رسائلها التي احتفظتُ بها في هاتفي، أقرؤها ألماً ألماً، كنتُ أجدها تعاتبني بصمت، لا، بل تحاكمني على ما اقترفته بحقها، أما الضميرُ فيعاقبني بسياطه الموجعة، فيطويني النومُ في عالمه خائرَ القوى من هولِ حروفها.

في الجامعة - وبعد انقطاع - رنَّ هاتفي مرة، وأخرى، وثالثة... لكنني لم أجب. «كنتُ أود أن أراك، فقد قررتُ الرحيل، لا أستطيع مواصلة الدراسة في جامعةٍ تذكرني بكَ دوما!» قالت لي في رسالتها التي صعقتني ودخلتُ على إثرها حالةً أشبه بغيبوبةٍ مؤقتة، أثقلَ الحزنُ كاهلي، تملّكني شعورٌ بالأسف، بالألم، بالغباء، بالندم، ورغبة في البكاء.

قبيل المغرب من ذلك اليوم الأسيف وصلتني رسالة: «أدخلُ الآن أبوابَ العاصمة، ادعُ الله لي أن أنساك»

قضيتُ ليلتي في بكاءٍ مستمر، لا أدري لماذا البكاء!؟ كيف أبكي رحيلها وأنا من وأدتُ ذلكَ الطُهرَ في مهده.. أم هو شعورٌ بالخذلان، أم إحساسٌ بالضعف نتيجة حبها الذي لامسَ قلباً يكابرُ الحب ويسعى لإخراجه ليسَ كرهاً فيه، وإنما لشعورٍ سابقٍ

أن بقاءه في القلب أمرٌ لا يليق!؟

كنتُ إذا جنّ الليل، وأرخى معطفه فوقَ رؤوس البشر يلوحُ طيفها لي، فأضطربُ كعصفور مبللٍ من بكاءِ السماء. مضت أيام وشهور وأنا في حالةِ عزاءٍ دائم، لكن المأتمَ وحده ليس ينقذُ القلبَ المحاطَ بالنيران، ولا يُعيد الراحلين..

ذهبَ الذينَ أحبهم
وبقيتُ مثلَ السيف فرداً

نعم.. ذهبوا وانسحبوا باكراً على رؤوسِ أقدامهم كي لا يزعجوا أحداً، آثروا الرحيل للفرارِ من ألمِ الجفاء، حدثتُ نفسي وأنا أعضُّ على شفتي السفلى حتى كدتُ أغرس أسناني وأنا أكابد الألم الذي خلّفه رحيلها.

لا أدري كيف دارت رحى الأيام وهي حبلى بآلام النوى!؟ كنتُ قد تخرجت للتو من الجامعة، وكان والدي قرر أن ننتقل إلى العاصمة لطبيعة عمله الجديد.. على مشارف أبوابها تذكرتُ رسالتها: أدخل الآن أبوابَ العاصمة، ادعُ الله لي أن أنساك!.

في العاصمة زادني الفراغ والغربة وحشة، أجترُّ أحزاني الدفينة، تارةً أغوصُ لأسبر أغوار نفسي أبحث عن ذاتي في ثنايا الذات، وتارة أخرى أطفو على سطحِ الواقع الجديد، أسير وحيداً لا ألوي على شيء سوى تصفح وجوه المارة من حولي، أشتمُّ خطاها، أتحسَّسُها في كل مكان، ثمة أملٌ يراودني أنني سأجدها هنا، لعل القدر يقذف بها في ساحلي من جديد.

مريضٌ بداء عضالٍ يُمنّي نفسه العافية. ولم يكن يخففُ من وطأة تلك الوحشة سوى القلم، طفقتُ أسكبُ حزني الدفين على الورق، بدأتُ رحلة البوح، لعلي ألامسُ شيئاً من سكونٍ غادرني دون أن يترك عنوانه.

وجدتني أسرد حكاية من لم يكن يعلم أن للشوق ظلاً، للرحيل ثمناً، حكاية غابرة كنتُ فيها الجاني والضحية، أخطها بزفراتٍ مكتومة اعتنى بها غبائي حتى تبرعمت، وغذاها الفشل حتى أزهرت، لكن هيهات على من أطفأ جذوة الحب أن يشعل أوارها من جديد، لكنني صممتُ أن أحطم ذلك التابوت الخشبي، أتحررُ من شرنقته.

عند هبوط الليل يتراءى لي ظلها يعاتبني، رسائلها تقررني دروسَ الحب، صوتها يهدم ما تبقى من بنيان قلبي، أتخيله يناديني، فألتفتُ فلا أرى إلا طنين الصمت، وسراباً أحاطني منذ أن قَرَّرَت الرحيل، أصرخُ في الأفق ممزقاً سكون ما حولي.. أينَ أنتِ!؟ أبثكِ مصابي، علتي التي لا بُرء لها سوى لقياكِ، صدقيني، لم أعد ذلك الفتى الذي جرَّ آلامه بحروفه، من أوصدَ الأبوابَ بأقفالِ الجفاء، من أهالَ الموتَ على بساتينِ الجمال، من أطفأ جذوة الحب ومحا تاريخه بممحاة الخوف العتيق، لستُ ذلك الفتى الخشبي، لا.. لم أعد كذلك صدقيني! إنني

أحملُ في قلبي أملاً لا يعرفُ الانطفاء، لأن جذوته من نورك الذي أشعل فتيل الحب بصدق حدَّ الرحيل.

ما كنتُ أتصور يوماً أن سعادتي تتجسدُ في غائبٍ أتشوفُ لقياه، ما كنتُ أعي أن الحب أسمى عاطفة في الوجود، ما ظننتُ يوماً أن «الرحيل» سببٌ للتيه والضياع!. أقلبُ جريدة الصباح بحثاً عنك، فأجدني في قائمة التائهين الذين يبحثون عن أنفسهم الضائعة.

تحاشيتُ كل الطرق المؤدية إليك، أغلقتُ باب الطريق بيننا بحجرٍ من الغباء، كنتُ حينها أظنُّ أنني أشيِّد حصن الوقاية، وغفلتُ أنني أرصُّ حجر آلامي على مرِّ الأيام، تعالَي أيتها الراحلة القريبة أكثرَ من الروح، لماذا تُمعنينَ في الغياب؟!

أثناء عودتي إلى المنزل بعد يومٍ مضنٍ من البحث عنها، تهادى إلى سمعي صوتٌ شقّ طريقه للسماء: «لم أر للمتحابين إلا الزواج!». وليس ثمة انفصامٌ بين التدين والحب!.

حُزمة من الأوراق بين يدي: «شيء من الحب»، جهد الليالي والسهاد، حروفُ آلامي التي أعيشها، سيرة غبائي الذي كان، دموعُ الندم على ما فات، مشاعرُ متناقضة، وتنظيرٌ للحبِّ وانتصارٌ لقيمه، وتخلّصٌ من هاجسٍ ظل يؤرقني، ومن ذكرياتٍ تطاردني، بوحٌ مكنون في نفسي قرر التمرد.. وقد كان له ذلك في ثنايا هذا «الشيء».

كنت حينها قد انتهيتُ من رحلة البوح بـ«شيءٍ من الحب». لم أكن موقناً تماماً أن صديقي سَيَفي لي بوعده، وأن «بوحي» سيبصر النور، كنتُ الوحيد القادر أن يتحسّسَ عبيرها في ثنايا مولودي الورقي البكر. هاهي ذي صورتي تتدلى من إحدى زوايا الملحق الأدبي للصحيفة، أرفقها المحرر مع عرضه الموجز للكتاب في خبر الدعوة إلى حفل التوقيع. أدهشتني كلمة ممهورة بقلم أحد الكتاب في الصحيفة: «إن صفحات الحب هي الأكثر إشراقاً في كتاب الذكريات». خُيل إلي أن ذلك الكاتب الحاذق تعمد نكزي بتلك العبارة التي آلمتني.

أمام جمعٍ من المثقفين الحضور في القاعة الأنيقة التي احتضنت حفل التوقيع كنتُ أتحدث بحروفٍ مرتعشة عن اعتمالات الوجد التي تشكلت بداخلي لتصبح لاحقاً: «شيء من الحب»!

اجتهدتُ في مداراة قسمات الخجل التي كادت تفضحني، فأنا أتحدث هنا عن الحب، هو ذاته ذلك المعتقد الذي كفرتُ به ذاتَ منعطفٍ في حياتي، ومزقته في إحدى الليالي برسالةٍ في أحرفٍ معدودة:

«عندما جئتُ إلى العاصمة ممتطياً حيرتي.. كان الوجودُ لغزاً، والسماءُ طائراً بلا جناح، والأرض قيداً لحرٍّ يبحث عن حقيقة تتمثل فيك، قرأتُ وجهك ذاتَ صباحٍ على سفحِ جبل منحوت بهالة من النور، واكتفيتُ بذلك، لكنني لم أكن أعرف أنني سألقاك بعد كل هذا الغياب الطويل، غيابٌ غارقٌ في ضبابية الأيام والشهور والسنين، ضائعٌ في متاهات المستحيل، ومسربلٌ بكثيرٍ من الغموض، وأنا الذي لم أرك قط في دروب حياتي وأزقة دنياي، لم أكن أنتظر لحظةً كهذه بعد أن تملّك اليأسُ كل ذرة في كياني، لكن قَدَر اللقاء طغى على عذابات الغياب المرير. لقد تخطيتُ كل ما اعترضني من جبلٍ أو صخور، غير أن الذي يصدم جبيني هذه المرة هو حجر الندم».

تمتمتُ بهذه الكلمات وهي تمدُ يديها نحوي لتوقيع نسختها من كتابي الذي رسمتها فيه، أمسكتُ بالقلم ويدي ترتجفُ من هول المصادفة التي طالما انتظرتها وأنا أذوبُ بحثاً عنها.. ماذا أكتبُ لها؟ سألتُ نفسي، فكتبتُ: «إننا نخطُ إهداءً للغرباء فقط.. أما الذين نحبهم فمكانهم ليس في الصفحة البيضاء الأولى، بل في صفحات الكتاب!»■

القصة القصيرة جنس أدبي حديث النشأة ظهر في أوائل القرن العشرين الميلادي في أمريكا وأوربا، وإن كان له بدايات متواضعة في قصص «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة» وفي المقامات. ويهدف غالبا إلى تقديم حدث رئيس يستغرق مدة زمنية قصيرة ويدور في مكان محدود، للتعبير عن موقف أو جانب من جوانب الحياة. ولابد لسرد الحدث في القصة القصيرة أن يكون متحدا ومنسجما دون تشتيت، وغالبا ما تكون دائرة على شخصية واحدة أو على عدة شخصيات متقاربة يجمعها مكان واحد وزمان واحد على خلفية الحدث والوضع المراد الحديث عنه.

القصة القصيرة لدى وليد قصاب

دراسة في البنية والمضمون

إعداد الطالبة:
تركية بنت مطحس المفاطي العتيبي

وقد تفاوت الناس في حذقهم لفن السرد وطرائق القص، وربما كان القاصون الموهوبون هم أكثر الناس عناية وإتقانا لفن السرد.

وبما أن القصة القصيرة قالب تعبيري رائج فإن دراسته من جهة البنية والمضمون من المطالب التي تفرضها طبيعة البحث النقدي.

والعلاقة بين البنية والمضمون وطيدة، وقد يضعف الأثر الأدبي إذا فقد أحد هذين العنصرين. وقد وجدت أن مجموعات وليد قصاب تستحق الدراسة لتنوعها.

وقصص المجموعات المدروسة على النحو الآتي:

١- الآنسة وداد وعدد قصصها أربع عشرة (المطرودة، الشاعرة سحر، كبش الفداء، الانتظار، هل أصبحت رجلا يا أبي؟، الزائدة الدودية، الخيبة، الحلم، الكرسي، المرأتان، البرقية، الخيل، أستاذ من داخل الملاك، الآنسة وداد).

٢- البوح وعدد قصصها خمس عشرة: (البوح، الزميلان، الكابوس، بديعة الدوماني، حادثة من أيام الطفولة، امرأة أخرى، الانتظار، حافظة النقود، يوم امرأة عاملة، الشاعر والمسابقة، الميتتان، العيد، الوصية، طبق البرغل، مرشدة).

٣- يوم من اللامبالاة وعدد قصصها خمس عشرة قصة: (السقوط من الطابق العاشر، في غرفة الانتظار، صور الأصدقاء، البرقية، في الباص، صاحبة العقد، حسن ونعيمة، أجمل فتاة في الجامعة، رجل الحارة، آخر الدنيا، يوم من اللامبالاة، موت أبي عمار، صاحب المرسيدس، المحطة والأميرة، جزء من ثمن).

٤- الصرخة وعدد قصصها ست عشرة: (أبو محمد، زيارة عائلية، الكيس، عزيزة، البيت الكبير، البركان، المحافظة، العاشق المغرور، الصفعة، الرجل الثاني، درس الحال، الصرخة، صاحب المحل، هل فات الأوان؟، جنازة أبي، بديعة مرتين).

٥- هدية العيد وعدد قصصها عشر: (هدية العيد، أستاذ من داخل الملاك، عيادة من نوع آخر، في انتظار الغائب، الآنسة وداد، من خلف الزجاج، المولود، عندما يأتي النصيب، الشق الأول من المهمة، نظرة في حياتي).

أسباب الاختيار:

١) وليد قصاب أديب سوري ولد عام ١٩٤٩م، حصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، وعمل أستاذا للدراسات الأدبية والنقدية في عدد من الجامعات العربية، وله أكثر من أربعين مصنفا، منها: (قضية عمود الشعر في النقد العربي، التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة، دراسات في النقد الأدبي، الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها)، وله العديد من الدواوين الشعرية، مثل: ذكريات وأصداء، صور من بلادي، أشعار من زمن القهر، بالإضافة إلى إبداعاته القصصية التي سأقف على تفاصيلها لاحقاً.

ويعد وليد قصاب أحد الأدباء المعاصرين الذين أنتجوا شعرا وقصة، إضافة إلى إسهاماته النقدية المتنوعة بحكم تخصصه الأكاديمي، وقد بدا لي إنتاجه القصصي جديرا بدراسة ترصد البنية والمضمون، وخاصة أنه من الأدباء الذين عنوا بتبني الرؤى المتزنة في بناء فني متماسك.

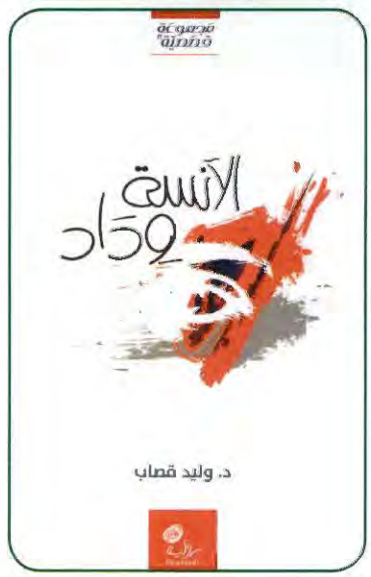

٢) أن المدونة المقترحة للدراسة لم تتناول في دراسة علمية مستقلة بحسب ما توصلت إليه على الرغم من أنه إنتاج غزير بلغ سبع مجموعات قصصية.

٣) الرغبة في دراسة أعمال وليد قصاب القصصية لتبين مدى التطور في تناوله للقصة، وإدراكه للمشكلات الاجتماعية، ونظرته التفاؤلية في طرحها بأسلوب أدبي.

أهداف الموضوع:

١) محاولة استجلاء خصائص البنية الحكائية في الأعمال القصصية لوليد قصاب.

٢) تبين مميزات الخطاب القصصي في النصوص المدروسة.

٣) التعرف على مضامين القصة القصيرة، التي كتبها وليد قصاب.

الدراسات السابقة:

لم أقع على دراسة علمية مستقلة تناولت الإبداع القصصي لوليد قصاب، وقد تحققت من ذلك عن طريق المكتبات والفهارس والشبكة

العنكبوتية، إضافة إلى تواصلي مع الدكتور وليد قصاب الذي أكد لي بنفسه أن إنتاجه القصصي لم يدرس دراسة مستقلة.

ولكني أشير إلى عثوري على بحوث ودراسات متفاوتة القيمة تجدر الإشارة إليها:

١) ملامح فنية في مجموعة (الصرخة) لوليد قصاب، د. علي بن محمد الحمود، وهو بحث محكم نشر في مجلة عالم الكتب، المجلد: ٣٠، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، ٣٤ صفحة.

٢- عناصر الإبداع الفني في مجموعة (البوح) لوليد قصاب، د. حسين علي محمد رحمه الله، وهي دراسة موجزة نشرت في مجلة الدعوة، العدد ١٩٥٩، ٢٤، رجب ١٤٢٥هـ-٩ سبتمبر ٢٠٠٤ م، ص: ٦٦ - ٦٨.

٣) المفارقة تؤسس للمدينة الفاضلة، د. حلمي محمد القاعود، وهي دراسة موجزة حول مجموعة (البوح) نشرت في مجلة الجيل، العدد: ٤٢٦،ص: ١٨-١٩.

٤) مجموعة قصصية من الواقع، عبد اللطيف الأرناؤوط، دراسة موجزة حول مجموعة (البوح) نشرت في مجلة الأدب الإسلامي، المجلد العاشر، العدد: ٣٩، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص: ٧٨ - ٧٩.

٥) قراءة في مجموعة (البوح) القصصية، محمود مفلح، وهي دراسة موجزة نشرت في مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧٢ شهر ذي القعدة ١٤٣٢-ديسمبر ٢٠١١م، ص: ٧٨ - ٨١.

وهناك رسالتان جامعيتان سجلتا في قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى بعنوان: «القصة القصيرة في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة نقدية» للباحثة هبة بنت عبدالرزاق الإبراهيم، وقد نوقشت سنة ١٤٣٢-١٤٣٣هـ. وفيها استشهادات ببعض قصص الدكتور وليد قصاب، ومن مجموعتين فقط، وهما (البوح) و(الصرخة).

والرسالة الثانية بعنوان: «صورة المرأة في القصة القصيرة عند أدباء رابطة الأدب الاسلامي العالمية إلى عام ١٤٢٨هـ، للباحثة رشا بنت عبد اللطيف كردي.

ومعظم ماذكر من بحوث ودراسات تناولت موضوعات اجتماعية وسياسية ووجدانية، ولم تركز على الخصائص الفنية للقصة الأدبية، وهو موضوع هذه الدراسة بتناول خصائص البنية الحكائية من فضاء زماني ومكاني، وأحداث وشخصيات، وخصائص الخطاب القصصي من زمن وأساليب قص وأنماط رؤية.

منهج البحث:

قد يكون من الأجدى في دراسة تسعى إلى رصد البنية والمضمون عدم الاكتفاء بمنهج واحد، وقد بدا أنه من الأنسب أن أعتمد المنهج الإنشائي في دراسة البنية، والمنهج الموضوعي في دراسة المضمون، حيث إن المنهج الإنشائي هو قدرة العلامة اللغوية على الإشارة إلى ما سواها، أما المنهج الموضوعي

فيوفر إمكانات مهمة لدراسة النص الأدبي واستكشاف بنياته الجمالية والفكرية.

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي تم استقراؤها من مضامين المجموعات القصصية المدروسة في هذا البحث أن الدكتور وليد قصاب واحد من أبرز الأصوات الأدبية الداعية إلى تجديد الأدب المعاصر من خلال نظرية الأدب الإسلامي، وهو يدعو إلى ذلك على مستويين: الأول مستوى التنظير والتقعيد، والآخر مستوى الإبداع والتطبيق، وقد ساعده على ذلك عمله الأكاديمي أستاذا جامعيا بالعديد من الجامعات والكليات العربية، وممارسته لتخصصه العلمي الدقيق (النقد الأدبي).

ولئن نبغ وليد قصاب في مختلف أنواع الأدب، إلا أن إبداعه في القصة القصيرة كان مميزا، إذ تبدو لمجموعاته القصصية خصائص أدبية وفكرية واضحة إلى حد كبير بوصفها خصائص تحتضن فكر الأدب الإسلامي بذكاء فني ملحوظ.

كما تبين أن وليد قصاب في سرد قصصه ينطلق بلا تمهيد أو مقدمات، فيضع القارئ في قلب الحدث مباشرة، ويسلط الضوء عليه راسما الشخصيات الثانوية في ظلال تصرفات البطل، ويقيم صورا من الصراع بين البطل ومحاوره، كما في قصة (الشاعر والمسابقة)، والمحاورة هي الزوجة، أو بين البطل والقدر ،أو المصادفة «حافظة النقود، والزميلان، والمرشدة»، أو بين البطل ونفسه «امرأة أخرى».

ويطيل أمد الصراع بأساليب من التشويق تستهدف إرجاء الحل، إلا أن أبطاله من نوع معين، فهم مأزومون تنتهي أزمتهم بمفارقة مرة أو ساخرة تؤثر في النفس تأثيراً مميزاً وطويلاً.

كما يتضح أن السارد لا يؤمن باستخدام العامية في الحوار للتعبير عن السمات المميزة للشخصية خلال حديثها وتعبيراتها، لذلك لم تبرز العبارات العامية إلا نادرا. وهذا النهج في الكتابة لديه يلتقي مع رؤيته الفكرية والخلقية، فهو مدافع عن المثل والقيم الاجتماعية السامية التي تحكم مجتمعه العربي الإسلامي، ولا يرضى عنها بديلا، ومن أبرز هذه القيم الحرية الإنسانية التي تجسد قصصه، كما في قصة (البوح) التي يكاد بطلها يختنق بسبب الكبت الذي يعانيه في قلب مجتمع زائف أثر النفاق الاجتماعي حتى في الأسرة وأفرادها.

وتتأزم نفسية البطل، فيضيق ذرعا بكل ما يعوق حريته في التعبير عن رأيه، فيطلق امرأته بعد أن يواجهها بأغلاطها، يكاشف مديره، ويعريه فاضحا فساده وسوء إدارته، ويحس أن غمامة انجلت عن صدره ولكنه يدفع الثمن غاليا إذ يطرد من عمله وتتخلى عنه زوجته.

وفي قصة «الزميلان» يبدو البطل شخصية ضاقت بها ظروف الحياة، فقد كان طيلة حياته إنسانا مجتهدا، وقاده طريق العلم إلى الوظيفة على

قلة مردودها، بينما نجح زميل دراسته؛ إذ ترك المدرسة ليصبح تاجرا، وحين ذهب لمقابلته على أمل أن يفرج من كربته ويستقبله بالأحضان، إذا بالرجل يتركه ساعات في غرفة الانتظار، ثم يخرج ولا يعيره التفاتا.

وهنا يدافع وليد قصاب عن القيمة العليا المتمثلة في الأفق الإنساني الذي كان يسود الحياة من قبل أن تحل الفردية القاتلة والأنانية في المجتمع بسبب سيادة القيم المادية واختلال المعايير.

وفي نطاق الدعوة إلى تحرير الإنسان من الاستبداد والظلم تجسد قصة (الكابوس) المظالم التي يعاني منها الإنسان العربي في ظل الأنظمة الاستبدادية وأجهزتها الأمنية، فالبطل يساق إلى أحد أقبية الأمن، يذل ويهان دون أن يعرف سبب توقيفه، ويتبين أخيرا أنه ليس الرجل المطلوب.

وفي قصة (بديعة الدوماني)، يسوغ السارد انجراف (بديعة) التي انتظرت حبيبها عشر سنوات بلا جدوى، فسطت عليها الذئاب البشرية، وانتهى بها الأمر إلى أن تكون راقصة.

ومثلها قصة «حادثة من أيام الطفولة»، إذ يحمل السارد الرجل مسؤولية التغيير الذي يحل بالمرأة، بل يحمله مسؤولية اختيار سلوكها ونمط حياتها أيضا، فإذا كانت على قدر من العفة والخلق القويم لم يرضه منها دون أن تبرز مفاتنها وأنوثتها، مثل بطلة قصة «امرأة أخرى» التي كانت امرأة مثالية، لكنها مترهلة مهملة زينتها، وزوجها يريد لها

أن تثيره بمفاتنها، فنصحها بالالتحاق بدورات الرقص، وفتح أمامها عالما كان مغلقا دون أن يحسب حساب احتمال انزلاقها، وهو ما وقع فعلا.

ويعري السارد بعض صور الخنوع والنفاق الاجتماعي في قصة «الانتظار» إذ كان مدير المستشفى (بطل القصة) يتوقع زيارة زوجة شخصية مهمة في الدولة لإجراء فحوصات، فيتوتر ويستنفر العاملين في المستشفى، حتى يفقد أعصابه، وبعد ساعات من الانتظار يمر موكبها متجاوزا المستشفى، فينخذل المدير، ويبدو صغيرا في عيون الموظفين.

تطرق وليد قصاب إلى أدق الأمراض الاجتماعية وطرقها وحاول معالجتها.

وفي العرض الموجز للقصص الآتية نماذج من الأمراض التي تطرق إليها، بالإضافة إلى ما سبق تفصيله في الفصول السابقة، ففي قصة «حافظة النقود» المنتزعة من الواقع تناول السارد المصادفة التي جمعت بين صاحب المحفظة وصاحب السيارة بعد سنوات، والمصادفة نادرة الوقوع في الحياة، من شأنها أن تبعد الجد عن الواقع، والقصة تهدف إلى تجنب التسرع في الحكم، وتدعو إلى الأناة في توجيه الإدانة.

وإذا كانت القصص التي بطلاتها من النساء قد عالجت وضع المرأة في إطار المنزل، فإن قصة «يوم امرأة عاملة» تمس مظهرا من مظاهر التطور في حياة المرأة بعد خروجها إلى العمل،

والنموذج الذي اختاره السارد نموذج المرأة الموظفة التي لا هم لها إلا التبرج وإغواء زملائها، وقد آثر السارد أن يحدث انقلابا في نفسية هذا النمط من النساء اللائي يصحو ضميرهن فجأة على خطأ تصرفاتهن، ويعدلن سلوكهن بالعودة إلى محاسبة الذات، والرجوع إلى الطريق القويم الذي يحدد رسالتهن في الحياة، وهي رعاية البيت والزوج والأطفال، وأداء عملهن الوظيفي بحشمة واتزان.

وفي قصة «الشاعر والمسابقة» نقد ساخر للبرامج الإذاعية حيث برز صغر حجم المثقف الحقيقي إلى حد التفاهة، وقد أجاد السارد تصميم حبكة القصة، وتعرية ضحالة هذه البرامج الفضائية بسبب ضحالة بعض مقدميها ممن ينشدون تسلية المستمع، لا تثقيفه، والكسب المادي مهما كانت تفاهة الإنتاج.

وتختلف قصة «الميتتان» عن قصص المجموعة حيث تزرع التفاؤل والعزة الوطنية في النفوس، وينتصر في نهايتها الخير على الشر بفضل المدافعين عن حماهم، وما اتسموا به من شجاعة فائقة في مواجهة أحدث أسلحة القصف والتدمير التي يمتلكها العدو ومثلها قصة «الوصية».

وفي قصة «العيد» تصوير البؤس الاجتماعي وما يخلفه لدى الفقراء من آلام ومنغصات ألفت نفوس الفقراء مداواتها بالصبر والتجمل والتحدي وعزة النفس.

ومما يمكن أن يؤخذ على السارد استخدامه في لغته

القصصية للجمل السردية الطويلة، مما يؤثر في رشاقة التعبير وحيويته، وذلك أن اللغة القصصية عنصر مهم من عناصر فنية القصة وجماليتها، والفضاء اللغوي للقصة جزء مهم من تكوينها الفني والجمالي، وبه تميزت الأعمال الأدبية البارزة، إلا أن طول الجمل السردية يعيب هذا الفن إلى حد ما.

أما إذا أضفنا إلى ذلك بعد لغة القصة عن تصوير الواقع، واعتماد الصيغة الأدبية الرصينة، أمكننا القول: إن المؤلف له تقنية مميزة في سرد القصة، فهو يرى أن هدف اللغة الساردة إنما هو بنية فنية يجب أن تعكس الواقع وتنبض بالحياة، وتتسم بالرشاقة وطرافة التعبير، وتنأى عن الجمود والرتابة. وقد لوحظت هذه النزعة بوضوح في المحافظة على خصائص اللغة العربية التي يستخدمها من خلال السرد، فهو يتقن أسرارها، ويكتب بطواعية متألقة أكثر إيحاء وتعبيرا عن الحياة على الرغم من بساطة اللغة وتلقائيتها.

نوقشت هذه الرسالة في كلية اللغة العربية، قسم الأدب، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، لنيل درجة الماجستير.

وقد تكونت لجنة المناقشة من: الدكتور فواز اللعبون (مشرفا)، وأ.د. محمد القاضي (مناقشا)، والدكتور عبد الرحمن كرم الدين (مناقشا) ■

هدية الغائب

ابتسام شاكوش- تركيا

أشرق وجهها بفرح غامر أدهش جليساتها، وهي ترد على هاتف مجهول الرقم، ترددت مراراً قبل الرد عليه، اختنق صوتها بغصة الفرح، سألته، وقد بدأت دموعها بغسل وجنتيها اللتين توهجتا بالمفاجأة:

أنت واثق مما تقول؟

انتصر البكاء على الفرح، ففرقت في النحيب، الرجل المتصل أنهى مكالمته وأغلق هاتفه، ولم يترك على شاشة هاتفها سوى عبارة (الرقم الخاص) قاطعاً عليها أمل إعادة الاتصال به، بهتت جليساتها، لم تدر واحدة منهن ما المفروض قوله؟ هل يهنئنها بومضة الفرح التي بدت على محياها؟ أم يعزينها ويواسينها بعد نوبة البكاء؟ سكت الجميع، وظل صوت نحيبها يملأ فضاء الخيمة المتهالكة، مجتذباً المزيد من الجارات لاستطلاع ما يجري.

رن الهاتف من جديد، انقضت عليه انقضاض بازٍ جائع، اتجهت الأنظار - أنظار الصامتات - إلى عينيها وشفتيها، تراقب انفعالاتها، أصيخت الأسماع محاولة استقراء ما يدور في هذه المحادثة:

- أين هو الآن؟

- متى؟

- الحمد لله، الحمد لله... لماذا لا يكلمني بنفسه؟ من أنت؟

مرة أخرى أنهى المتحدث كلامه وأغلق هاتفه. زوجي مازال حياً أيتها الجارات، وهو في طريقه إلينا، قامت الجارات يشبعنها عناقاً وتقبيلاً ومباركةً.

قالت: لو كنت أملك مالاً لاشتريت لكُنَّ حلاوة هذه المناسبة، لكني كما تعلمن، لا أملك من دنياي شيئاً.

تفرقت الجارات وبقيت خديجة وحيدة في خيمتها،

بمخيم (جيلان بينار).. نظرت إلى العمود المائل، والسقف المتدلي من حوله، تخيلت ذراعين قويتين، تدعمان العمود وتعيدان له استقامته، وتشدان حبال الخيمة فترفعان السقف الهابط، نظرت إلى فراشها الإسفنجي الرقيق، لن يكون هذا الفراش بارداً بعد اليوم، سيدفأ بروح جديدة، ولن ينام الوتد الحديدي الطويل تحت وسادتها استعداداً للدفاع به عن نفسها في حال تعرضت خيمتها لاختراق من أحد اللصوص، ولن يباغتها الرعب من نُسَيمات آخر الليل إذ تخفق بسببها جدران الخيمة محدثة صوتاً يخيل إليها معه أن شخصاً ما قد دخل حرمها خلسة.

أطرافها ترتعش من الفرح، راحت تدور في مساحة الخيمة مرتبكة لا تعرف ما يتوجب عليها عمله قبل وصول الغائب، نادت ابنتيها تخبرهما بعودة أبيهما، هذه الأواني الفارغة لن تضطر لنقل الماء بالسطل لملئها، سيمد لها زوجها خرطوماً من الحمامات ليملأ لها ما تشاء من الماء، وسيعزق الأرض حول خيمتها ليزرع لها الخضار والورد أسوة بخيام الجيران، سيتغير كل شيء في حياتها ابتداءً من هذه اللحظة، ستنضم لمجلس النساء أمام الخيمة تتدفأ بنور الشمس، دون حساب لثرثرات الناس عن أرملة شابة تجلس على قارعة الطريق، ولغيرة الزوجات إذ يمر أزواجهن فيطيلون النظر في الجالسات.

زوجها قادم، لا بد أن يراها وابنتيها في أحسن حالة. صحبت الطفلتين إلى الحمامات العامة، اغتسلت وغسلتهما، بينما أحضرت لها الجارات بضع أطباق من طعام بيوتهن احتفاء بالقادم الجديد.

رن الهاتف مرة أخرى، هيا يا بناتي، أبوكما وصل، لنستقبله على باب المخيم، استقبالاً يفرحه، أمسكت يدي ابنتيها وسارت وسطهما تسابق دقات قلبها إلى البوابة الكبيرة، بحثت بعينيها في كل الاتجاهات، لم

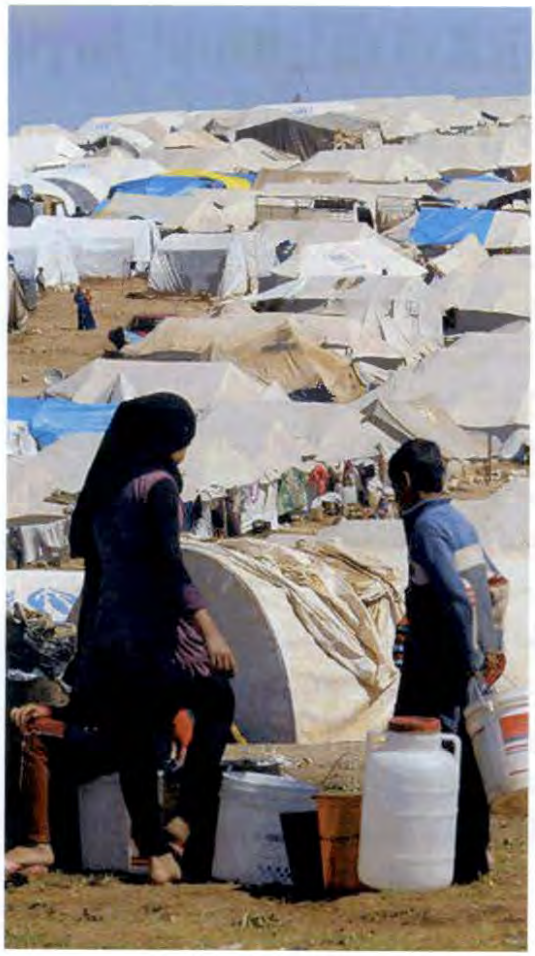

تجد شيئاً، خرجت من الزحام لتعيد النظر من بُعْدٍ، لحق بها رجل غريب: أأنت خديجة؟ تعالي إلى زوجك هناك، لحقت به إلى حيث أشار، فرأت زوجها يجلس على التراب، ابتسم لها، فكشفت شفتاه عن منظومة من الأسلاك المعدنية تربط فكه العلوي مع بقايا فكه السفلي المحطم مانعة إياه من الكلام، ساعده الرجل الغريب على القيام، وناوله عكازين طويلين، ثبتهما تحت إبطيه، ليحملا ثقل جسده، بدل ساقه المبتورة.

دنت منه تغالب دموعها، هنأته بالسلامة، وبعودته لأسرته، محتسبة عند الله صبرها وصبره، راجية من الله قبول جهادها، وجهاده■

الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر

تأليف: عدنان صالح الشهري

صدرت الطبعة الأولى لكتاب (الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر)، لمؤلفه عدنان صالح الشهري عن نادي الطائف الأدبي عام ١٤٣٤هـ، وفيه يؤكد الشهري علاقة الشاعر السعودي بالشخصية الإسلامية خلال أربعة عقود الفترة الزمنية (١٣٩٠ - ١٤٣٠هـ)، الموافق (١٩٧٠ - ٢٠١٠م). ومن أبرز الشعراء الذين تناولهم الكتاب بالدراسة: محمد حسن عواد، ومحمد علي السنوسي، وحسن صيرفي، وعبدالله بن خميس، وحسين عرب، وحسن عبدالله قرشي، وغازي القصيبي، وأحمد سالم باعطب، وسعد الحميدين، وعلي الدميني، وعبدالرحمن صالح العشماوي، وصالح سعيد الزهراني، وعبدالله بن إدريس، وأحمد الصالح، وعبدالله الصيخان، ومحمد الثبيتي، وأسامة عبدالرحمن، وفوزية أبو خالد، وغيرهم.

وقد اشتمل الكتاب على أربعة فصول تناول فيها المؤلف الرمز وعوامل استلهامه، ومراحل تطوره، والرمز مضموناً دينياً وتاريخياً من حيث أبطاله وخلفاؤه وقادته، إضافة إلى كون الرمز مسجلاً للشخصية والحدث، ومدى توظيف هذه الدلالة وإسقاطاتها، والعناصر المكونة للشخصية.

واختتم الكتاب بتقريره أن الرمز مادة لبناء القصيدة عند شعراء المرحلة الإحيائية والاتباعية، وكذلك عند شعراء القصيدة الجديدة.

محمد عباس محمد عرابي- مصر

أسباب تناول موضوع الكتاب بالدراسة:

بين المؤلف أن الكتاب يهدف إلى الكشف عن علاقة الشاعر السعودي المعاصر بتراثه من خلال تسجيل أو توظيف الرموز الإسلامية، خاصة أن هذه العلاقة قد أخذت بعدًا جديدًا في الشعر السعودي المعاصر.

وقد دفعت المؤلف إلى اختيار موضوع (الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر) أسباب

متعددة، منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي عام، ذكر المؤلف منها ما يأتي:

١- عدم وجود دراسة سابقة تناولت موضوع الرمز الإسلامي في الشعر العربي بصفة عامة والسعودي بصفة خاصة تناولاً شاملاً.

٢- أن البحث يتعلق بدائرة أدب عربي عزيز على النفس، ألا وهو الأدب السعودي، فوجب رد الجميل ولو بالشيء اليسير، خدمة لأدبنا وثقافتنا وعقيدتنا وتراثنا وفكرنا ومجتمعنا.

٣- هناك من يزعم أن الأدب الإسلامي «أدب لا يشكل في حد ذاته أو في صورته المجردة إلا بنية مغلقة من الصور والرموز والظلال، تستنكف عن الوفاء بمستجدات الحاضر المتجلية، فيما تعيش الآداب الأخرى ضروب التطور وألوان الارتقاء». والحقيقة أن الرؤية في الأدب الإسلامي «لم تجهر برفض المناهج الفنية الحديثة، وعيا منها أن الإمعان في استقلال الذات دونما تعليل معقول أو عذر سائغ لا يعدو أن يكون ضربًا من الاستعلاء السخيف الذي من شأنه أن يطامن من انزياح التلاقح الأدبي، ويعزف عن الاستفادة الثرية مما يحبل به وفاض الآداب الأخرى من عطاءات فنية ومنهجية.. إن الرؤية الإسلامية تستحسن الانفتاح، بل تحض عليه انطلاقا من أسباب ودواعٍ مختلفة، لعل أكثرها أهمية وخطورة الباعث الجمالي والأدبي، وإحكام الصنعة الفنية.

محمد حسن عواد

محمد علي السنوسي

ولهذا نجد الشعراء الإسلاميين يستلهمون الرموز، دون تحرج؛ لأنها تثري خطابهم الشعري. والرمز من شأنه إثراء الخطاب الشعري، وتعميق رؤاه الفنية التي يفيض منها ويهجس بها في إطار تجلية مواقفه الخاصة من إشكالات الكون والإنسان والحياة.

والشاعر السعودي المعاصر بما أوتي من ثقافة، وبما تتأسس عليه رؤيته المعاصرة من وعي بالتجديد عمد إلى استلهام الرمز الإسلامي لإغناء تجربته الشعرية، وتجافي المباشرة التي تعفي جمال الأدب، وتفسد قدرته على التأثير والإقناع.

٤- أن الشاعر السعودي المعاصر، وهو في رحلة البحث عن وسائل فنية جديدة في البناء الفني لقصيدته، وجدناه يتأثر باتجاه الرمزيين الذين يرون «أنه لا ينبغي للشاعر أن يستنفد كل ما في وجدانه ليسكبه في وجدان الآخرين، بل عليه أن يوحي إلى نفوسهم عن طريق الصورة والموسيقى حالات نفسية تثير فيها إحساسات مشابهة لما يحس به الشاعر»، وهذا يجعلنا نستبطن الشعر السعودي المعاصر، حتى نكشف عن قدرة

الشاعر السعودي المعاصر على توظيف تلك الرموز الإسلامية.

٥- أن الرمز وسيلة لحمل الرؤى والأفكار، وللتعبير عن خلجات النفس التي يعيشها الشاعر تجاه موضوعه. فهو أداة تصوير كاشفة عن طبيعة التصور ومعادل خارجي لما انطوى في داخل الشاعر من أحاسيس. وهذا يجعلنا نتوقف أمام الرمز الإسلامي عند الشاعر السعودي الذي أخذ يضرب في جنبات الحياة بحثًا عن تلك الرموز، الثرية بالدلالة، الناهضة بالتعبير عن أحاسيسه ورؤاه.

٦- اتجاه الشاعر السعودي إلى توظيف رموزه الإسلامية من مضامين تراثية «باعتبار هذا التراث منجم طاقات إيحائية لا ينفد له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجداناتهم ما ليس لأية معطيات أخرى يستغلها الشاعر، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانات الناس، وفي أعماقهم، تحف بها هالة من القداسة والإكبار؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم

عبدالله بن خميس

حسين عرب

الفكري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإن الشاعر حين يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث، فإنه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فاعلية، وقدرة على التأثير والنفاذ».

ولذلك كان لزامًا أن نتعرف الأسباب التي جعلت الشاعر السعودي المعاصر يوظف التراث مع محافظته على التميز والخصوصية اللتين تفرضهما الطبيعة والظروف المحيطة، ويستوي في ذلك أن يكون التراث أحداثًا أو أشخاصًا.. إلخ.

◁◁ المقصود بالرمز الإسلامي:

يرى المؤلف أن المقصود بالرمز الإسلامي تلك الأسماء والأماكن والأحداث الإسلامية التي يستثمرها الشاعر في النص محملة بحمولات تاريخية معينة قد يسجلها الشاعر، بحيث تبقى لها دلالاتها التراثية، وقد يتدخل الشاعر لتحويرها أو لتوظيفها بحيث تصبح لها دلالات جديدة معاصرة. وتلعب هذه الرموز الإسلامية دورًا أساسيًا في القصيدة؛ لأن مجرد حضورها يستدعي مجالات فكرية ونفسية تدعم دلالات النص وتعمقها بحسب مضامينها الدينية أو التاريخية أو الأدبية.

ويرى المؤلف أن: «الرمز الإسلامي» أدق من :«الرمز التاريخي»؛ لأن التاريخي يشمل الإسلامي وغير الإسلامي، والعربي وغير العربي، هذا من جهة أن تكون الدراسة دقيقة ومحددة.

◁◁ والرمز الإسلامي:

هو الرمز الذي اشتهر بدلالته الإسلامية من حيث انتماؤه إلى الدين الإسلامي كشخصيات

الأنبياء والرسل، والصحابة، والتابعين، وأحداث الفتوحات الإسلامية وقادتها العظماء الذين التزموا بنظام الإسلام وشريعته الصحيحة لا المحرفة أو المفهومة خطأ. أو من خلال وروده في سياق إسلامي كالشخصيات المنبوذة كشخصية «فرعون»، فتظل صفة الإسلامية مرتبطة بسياقه الذي ورد فيه.

والمتأمل للشعر السعودي المعاصر، يلحظ تسجيلا وتوظيفًا للرموز الإسلامية، سواء أكانت أسماء أم أماكن أم أحداثاً أم إشارات إسلامية عامة، وخاصة عند الشعراء الذين يبدون من خلال قصائدهم أكثر اطلاعًا على التراث العربي الإسلامي. علمًا بأن استلهام الرموز الإسلامية يختلف من شاعر لآخر؛ فمنهم من يعمد إلى استلهامها دون أية محاولة لتوظيفها، ومنهم من يحشو القصيدة بها دون مراعاة لمتطلبات السياق وللرؤية الفنية، بطريقة لا تكشف إلا عن تقعره وفقره الثقافي والمعرفي، ومنهم من يوظفها في صورة جزئية، أو كلية، أو محورية، ومنهم من يقتنع بها بطريقة فنية عالية، فيوفق في توظيفها داخل القصيدة؛ مما ترتب عليه ضرورة عرض الغث والسمين من قصائد الشعراء؛ لأن وصف ظاهرة استلهام الرموز الإسلامية يستوجب - أحيانًا- تتبع النصوص الشعرية بغض النظر عن القيمة الفنية لبعضها.

أما مفهوم «المعاصر» فقصد به المؤلف الفترة الواقعة بين عامي «١٣٩٠هـ-١٤٢٠هـ» «١٩٧٠م-٢٠٠٠م». وربما يلحظ القارئ أن هناك خروجًا عن هذه المدة الزمنية، وهذا لا يخرج عن مهمة التمهيد أو الربط الذي يستدعيه منهج الدراسة.

غازي القصيبي

عبدالرحمن العشماوي

ولقد كان لدى الكاتب إحساس كبير بأن القصيدة السعودية المعاصرة في هذه الفترة يمكن أن تعتبر وثيقة فنية لاستلهام الرموز الإسلامية.

ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد عالجوا جوانب من علاقة النص الشعري المعاصر بالتراث العربي منه، والسعودي على نحو خاص، كاشفين عن ماهية تلك العلاقة وطبيعتها، وطريقة إفادة الشعراء من تراثهم العربي والإسلامي.

ولقد بين المؤلف أنه حاول قدر المستطاع أن يحقق أهداف الدراسة من خلال رصد ظاهرة تسجيل وتوظيف الرموز الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، وشرح أنماط كل مرحلة، معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي، متخذا من التحليل الفني أداة إجرائية يتمكن بها من تحليل النصوص الشعرية، إلى جانب الإفادة من المناهج الأخرى التي تساعد على شرح ظاهرة «الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر» ودراستها.

وفيما يأتي عرض موجز لفصول الكتاب:

الفصل الأول: الرمز.. التسجيل والتوظيف:

تناول الكاتب في هذا الفصل الحديث عن علاقة الشاعر العربي المعاصر بالتراث، والعوامل التي دفعت به إلى استلهامه، من مثل العامل الديني، والعامل السياسي، والعامل الثقافي، والعامل الفني، بالإضافة إلى دراسة مراحل تطور علاقة الشاعر السعودي بالتراث العربي والإسلامي، ثم تقسيمها إلى ثلاث مراحل: مرحلة التسجيل، ومرحلة المزاوجة بين التسجيل والتوظيف، ومرحلة التوظيف.

وبين الكاتب في هذا الفصل أن الشاعر السعودي المعاصر، وهو في رحلة البحث عن الرموز بوجه عام، يقابله سؤال ملح عليه، أدى إلى تفجير صراع فكري كبير حينما أراد أن يكتب شعرا يتحدث بلغة العصر: هل ينطلق من النموذج الإغريقي؛ ليكون معاصرًا أم يبحث في تراث أمته عن رموز تحقق الأصالة للشعر العربي والسعودي بالذات؟ وتشكل هذا التساؤل في مجموعة من التجارب الشعرية، صاغها الكاتب في إطار منهج ذي أربعة أبعاد:

أولاً: ينطلق الشاعر السعودي من الواقع، ثم يعود إليه باعتباره

عبدالله بن إدريس

أحمد الصالح (مسافر)

الزاوية الأساسية، ومن خلال تعامله مع هذا الواقع يحاول أن يقلب في تراثه ويعيد ترتيبه ليتلاءم مع هذا الواقع، بما لهذا التراث من حضور في وجدان الإنسان العربي؛ لأنه يشكل جزءًا من ذاكرته.

ثانياً: في عودة الشاعر السعودي للتراث لاستلهامه، لا يجد غضاضة في البحث والتنقيب في الموروث العربي الإسلامي داخل ماضينا السحيق لينفض الغبار عما يمكن أن يتناسب مع العصر الحاضر، وعما يمكن أن يستخدمه لحمل رؤى حضارية معيشة.

ثالثاً: عندما يعود الشاعر السعودي للتراث لاستلهامه، فهو يعي دور التراث وعيا نقديا يفجر ما في هذا التراث من دلالات إيحائية، ويكشف ما فيه من طاقات مخبوءة قادرة على التجدد والاستمرار.

رابعاً: ولكي ينفي الشاعر السعودي عن نفسه تهمة التقوقع في دائرة التراث المحلي فما كان منه إلا أن اتجه إلى التراث العالمي، يتثاقف معه، ويكتشف شيئا من جمالياته التي لم تنس خصوصيته الجمالية، وتوقعه في براثن الاستلاب الثقافي والتبعية الفكرية.

الفصل الثاني: الرمز.. المضمون والرؤية:

وفيه تناول الكاتب المضامين التي استلهم منها الشاعر السعودي المعاصر شخصياته وأحداثه الإسلامية، ورؤيته المعاصرة لها، وقد تبين من استقراء الكاتب للقصائد أن المضامين التي استلهم الشاعر السعودي المعاصر منها تراثه كثيرة ومتنوعة منها: المضمون الديني الذي يُعنى بشخصيات الأنبياء والرسل – عليهم السلام، والشخصيات المنبوذة التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى-

في محكم التنزيل، ومنها: المضمون التاريخي الذي يشتمل على الخلفاء والأمراء والقادة العظماء، وأحداثهم ومعاركهم الخالدة، وشخصيات أبطال الثورات، والدعوات النبيلة، وشخصيات الحكام والأمراء القادة الذين يمثلون الوجه المظلم في التراث الإسلامي، ثم المضمون الأدبي الإسلامي.

الفصل الثالث: الرمز.. الشخصية والحدث:

وفيه تحدث الكاتب عن كيفية تعامل الشاعر السعودي المعاصر مع الشخصية والحدث في مرحلة التسجيل، ومرحلة المزاوجة بين التسجيل والتوظيف، ومرحلة التوظيف.

ففي مرحلة التسجيل، والتسجيل القريب من التوظيف يتعامل الشاعر مع الشخصية بطرق كثيرة منها: النقل الفوتوغرافي، وتوظيف الجلالة المشهودة، والإسقاط الدلالي، وإثراء دلالة الرمز، وفسيفساء الرمز، وفي مرحلة التوظيف يتعامل الشاعر مع الشخصية بطرق فنية عالية، فنجد الشاعر يعبر بالشخصية عنصرًا في صورة جزئية، وبها في صورة كلية محورية، وقد يتخذ من الشخصية قناعًا يختفي الشاعر وراءه.

وتناول الكاتب في هذا الفصل استدعاء (الحدث الإسلامي) من خلال مستويات ثلاثة: مستوى التسجيل، ومستوى التسجيل القريب من التوظيف، ومستوى التوظيف.

الفصل الرابع: الرمز.. وبناء القصيدة:

وفيه تحدث الكاتب عن البنية الخارجية للقصيدة السعودية المعاصرة عند شعراء المرحلة الاتباعية، وشعراء القصيدة الجديدة، كما عرض الكاتب للبنية الخطية في الشعر السعودي المعاصر من مثل: الإشارات الخارجية، والمساحات النصية، والتنفيذ الطباعي.

أحمد سالم باعطب

صالح سعيد الزهراني

وفي خاتمة الكتاب:

خلص الكاتب إلى أن الشاعر السعودي سعى إلى الاستفادة من تراثه العربي، فامتاح من ينابيعه السخية ما يغني تجاره الشعرية، ورؤاه المعاصرة، وقد أدرك ما لهذا التراث ومعطياته من قيم أدبية وفنية في وجدان المتلقي وفكره، فعمد إلى تسجيل الرموز الإسلامية من مضامين دينية وتاريخية وأدبية؛ ليجعل منها معادلا موضوعيا لأبعاد تجربته الشعرية المعاصرة.

ولاستلهام الرموز الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر أنماط متعددة، فالنقل الفوتوغرافي، وتوظيف الدلالة المشهورة، والإسقاط الدلالي، وإثراء دلالة الرمز، وفسيفساء الرمز.. أنماط شاعت في مرحلتي التسجيل والتسجيل القريب من التوظيف.

أما في مرحلة التوظيف فنجد التعبير بالرمز الإسلامي عنصرًا في صورة جزئية، وبها في صورة محورية كلية، وفي صورة قناع، وقد جاءت الرموز الإسلامية في أشكال القصيدة العربية، العمودية والتفعيلية والممزوجة، وكان لانتقال القصيدة العربية من العهد الشفوي إلى العهد الكتابي دور كبير في مساعدة الشاعر السعودي في توظيفه لرموزه الإسلامية، وفي توظيف أشكال جديدة من المساحات النصية■

القرار الصعب

عبد الرحيم شراك- المغرب

مضت عدة شهور وهو على هذا الحال، لا يستطيع الكلام والوقوف أو حتى تحريك جزء من جسمه. لكنّني بقيت معه، فأنا أعتني به منذ تلك الحادثة التي أفقدته القدرة على الحركة.

تخلّى عنّا جميع إخوتي. فكل منهم مشغول بأعماله ومشاكله وهمومه، لذا بقيت الوحيد مع والدي. كثيراً ما تساءلت عن سبب عدم زيارتهم لنا، أو سبب تحمّلي للمسؤولية الكبيرة وحدي!، كثيراً ما وسوس لي الشيطان ولم أستسلم. كل إخوتي الذكور والإناث أسّسوا أسرهم الصغيرة، الكل تزوج وأنجب، وأنا بقيت هكذا من أجله. ذهبت إليهم واحدًا واحدًا من قبل ولم يهتموا بالأمر، بل كانوا يعتقدون أنّني أتسوّل منهم، وأرغب في النقود! لقد مضى الكثير من الوقت وأصبحت المسؤولية الملقاة على كاهلي تزداد وتكبر. كما بدأت أشعر بشعور غريب في الآونة الأخيرة، فأنا أخشى أنني حرمت نفسي وحرمته - هو الآخر- من أشياء كثيرة.

في كلّ يوم، أبذل قصارى جهدي لإرضاء والدي رغم إحساسي القويّ بالأسى، لأنني لا أستطيع البقاء معه طوال الوقت بحكم عملي. فكثيرا ما أشعر بحزنه عندما أعود للمنزل، خاصة إذا كان قد بلّل ثيابه أو فراشه. لكنّ جاري أصبح يساعدني بشكل كبير مؤخراً، فهو يحس بمدى صعوبة الأمر بالتأكيد. أنا أدرك تماماً أنّ أبي شخص قويّ الإيمان وراضٍ بقضاء الله وقدره، إلّا أن الألم يعتصرني عندما أحس أنه يرغب بشيء ما ولا يستطيع القيام به، أو حتّى قول ما يريد، لكنّه بالتأكيد يتألّم أكثر منّي.

ظلت الحال هكذا في منزلنا، ويوماً بعد يوم تزداد المعاناة والآلام؛ إلى أن وجدت إعلانا مفاجئاً في إحدى الجرائد. تمعّنت في ذلك الإعلان وقرأته جيداً، وقد بدا لي أنّه الحل الوحيد والمتبقي من أجل سعادته وسعادتي، حتى لا يحس بالنقص والحرمان الذي يعيشه معي! كان قراراً صعباً، لكنّ اتخاذه أصبح ضرورة قصوى، من أجل راحتي وراحته. فبدأت بجمع الحقائب استعداداً للسفر في الغد.

في اليوم الموالي سافرت أنا وأبي بواسطة القطار في اتجاه أكبر مدينة في البلاد، وحملت معي الجريدة التي اشتريتها بالأمس. فقد كُتب على صفحاتها عنوان المستشفى الكبير، وهو مقرّ عمل طبيب اكتشف عملية غريبة لعلاج العديد من الأمراض؛ رغم أنّها تتطلّب الكثير من الأموال والتضحيات.

وصلنا بعد ساعات إلى المستشفى المطلوب، فنقلنا أبي لغرفة خاصّة بحالات الشلل. وبعد ذلك أخذت أتكلّم مع الطبيب، ثم أطلعته على كلّ ما يتعلّق بحالة والدي. كان يصغي إليّ باهتمام وتفهّم، حتّى أخبرته برغبتي في

إجراء تلك العملية الجديدة لأبي فتفاجأ قائلاً:: ماذا؟ هل تريد فعلاً أن تمنح جسدك لأبيك وتمتلك جسده بعملية التبادل؟ هل تعرف ما معنى هذا؟ ستبقى مشلولاً إلى الابد!

فأجبته بحزم يملؤه الألم: أجل يا دكتور، لقد فكّرت في الموضوع جيداً، ولهذا قرّرت أن أمنح جسدي وصحّتي لأبي، وسأكون سعيداً جداً بالحصول على رضاه مدى الحياة. صحيح أنّني سأصبح مشلولاً وفي نفس حالته، لكنّ هذا الأمر لا يهمّني كثيراً. فهو يتألم عندما لا يستطيع النهوض والذهاب إلى المسجد. لقد اشتاق لصلاة الفجر في جماعة، وإلى إمساك القرآن بيديه لتلاوته، كما اشتاق لزيارة الأقارب والأصدقاء والمرضى واليتامى، حتى إخوتي الذين تخلّوا عنه؛ كان كثيراً ما يزورهم ليطمئن عليهم. إنّه يتألمّ جداً، وأنّا أتألّم أكثر منه عندما أراه في هذه الحالة!

بدا الطبيب متأثراً جداً بما قلته، فهو لم يتوقّع أن تكون تضحيتي بهذا القدر، وأمنح صحّتي كلها لوالدي، لكنّه طلب منّي أن نأخذ الإذن من إخوتي، فهو والدهم أيضاً ولا بدّ من إطلاعهم على القرار. شرحت له الأمر جيداً، وأعطيته أرقام هواتفهم حتّى نتمكّن من إجراء العمليّة في الغد، فيما قررت الخروج قليلاً من المستشفى. فقد تكون آخر مرّة أحرّك فيها يديّ ورجليّ.

أحسست بالألم عندما مشيت في الشارع، فقد رأيت العديد من الناس في الطريق. كان بعضهم يضحك، وبعضهم يشتري من المتاجر، وآخرون يتشاجرون. لا أحد منهم يعلم قيمة تحريك الجسم والمشي والكلام. يا للغرابة! فقد بدأت الدموع تخرج من عينيّ عندما تخيّلت أبي واقفاً أمامي من جديد، يبتسم معي ويضحك مثلهم. آه! كم اشتقت لكلامه ودعواته معي!. تمنّيت برهة أن أعود إلى الماضي، وأعيش معه جميع اللحظات من جديد، وحبّذا لو كانت والدتي المتوفاة معنا أيضاً. سيتحقّق ما أريده، فمعاناته ستنتهي أخيراً إن شاء الله. توقّفي أيتها الدموع عن النزول! سيصبح أبي بصحة جيّدة، وسيقوم بكل أعماله التي كان يقوم بها في السابق. أعلم تماماً أنّ عدم قدرتي على الكلام أو الحركة أمر صعب، إلّا أنّني سأكون سعيداً لأنّ أبي سيكون كذلك، ولن يتألّم بعد الآن.

آسف جداً فأنا لن أستطيع الوقوف والابتسامة من جديد لذلك لن أستمرّ في عملي. أعتذر من كل قلبي فلن أتمكّن من الزواج وبناء أسرة صغيرة كما كنت أحلم. صحيح أنّني لن أكون قادراً على فعل شيء، وسأصبح بدون قيمة في المجتمع.. لكنّ رضا والدي عنّي يكفيني.

مضت عدّة ساعات ولم أستطع التفكير في الموضوع أكثر، فرجعت إلى المستشفى بعدما مسحت دموعي، لكنّ المفاجأة التي كانت هناك لم تكن متوقّعة أبداً!

لقد وجدت كل إخوتي في الغرفة! كل منهم يبكي ويتألم ويتحسر! كانوا ينظرون إليّ بنظرات غريبة لم أدرك معناها الحقيقيّ. كان الطبيب معنا في تلك اللحظة، فخرج من الغرفة بهدوء دون النطق بأيّ كلمة. بينما بقيت أنا وإخوتي مع أبي.

فقال أخي الكبير باستغراب: لم نتوقع أبداً أن تضحّي بصحتك يا صهيب من أجل والدنا! أنا لا أعرف ماذا أقول؟ ثم أضافت أختي الصغرى: لن نتركك تصبح مشلولاً وتضحّي بحياتك وحدك فهو والدنا جميعاً! أنا أقترح أن يمنح كل واحد منا جزءاً من صحته لوالدنا حتى يعود كما كان! تكلّم جميع إخوتي، وفي كل مرّة يقبّل أحدهم والدي. بينما بقيت صامتاً طوال الوقت، فلا يمكن لأيّ كلمة أن تصف ما أشعر به أمامهم!

كان الموقف أكبر مما كنت أتصوّر وأحتمل، ولم أعاتب أحداً منهم على تقصيرهم، لأنّ وجودهم معنا كان كافياً، حتّى دموعي التي كانت ترغب بشدة في النزول، منعتها بقوّة كي أستطيع رؤية السعادة الواضحة على وجه أبي بعدما رآنا مجتمعين■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

لفظ الجلالة (الله) بين الاسم والمسمى

ألقى الأستاذ الدكتور عودة خليل أبو عودة، في العشرين من آب ٢٠١٦ م، في مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية، في عمان، ضمن اللقاءات الأسبوعية للرابطة، محاضرة بعنوان: (لفظ الجلالة (الله) بين الاسم والمسمى).

وقد كان عنوان المحاضرة مثيرا، فتميزت بحضور كبير، أغناها بملاحظات وأسئلة جيدة.

أشار المحاضر الدكتور عودة إلى أمور مهمة في لفظ الجلالة (الله)، فابتدأ بالقول: إن هذا الاسم، هو الاسم الوحيد الذي يمثل مسماه أصدق تمثيل؛ فالله -عز وجل- ليس كمثله شيء، وليس كلفظ اسمه شيء، فهو لفظ واحد، لا يثنى ولا يجمع ، ولا يعرف ولا ينكر، ولا أصل قبله، ولا زيادة فيه بعده، وهو اسم علم على الله عز وجل.

وبين المحاضر أقوال أهل اللغة وأهل المعاجم قديما وحديثا في لفظ الجلالة، إذ قالوا:

هو اسم جامد مرتجل من لغات أخرى، لا أصل له في لغة العرب.

وقالوا: هو اسم عربي قديم علم على ذات الله.

وقالوا: هو اسم عربي مشتق من أله يأله، أي يتعبد، خففت الهمزة الثانية فيه فصار (الله).

ودحض المحاضر هذا القول الأخير، وذلك بقوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما﴾ (طه: ٩٨)؛ ذلك أنه لا ترادف في القرآن، ولا يمكن أن يكون: لفظا (الله) و(إله) اسمين مترادفين، وقد وردا في القرآن الكريم، بله في آية واحدة!.

وقد ذهب المحاضر إلى أن اسم (الله) اسم عربي، بأصواته وحروفه، وهو اسم مرتجل وليس مشتقا، وهذه (أل) التي فيه ليست (أل التعريف) إنما هي من أصل الكلمة، ولا تنطبق عليه خصائص الاسم من إفراد وتثنية وجمع، ولا معرفة ولا نكرة. وأكد أن هذا الاسم (الله) لم يتسم به أي شخص في الدنيا قبل نزول القرآن وبعده، وأن أسماء الله الحسنى الأخرى، صفات ونعوت، وهي تقوم مقام الاسم وتكون خلفا له، قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

وأكد الدكتور عودة أن تلك الخصائص للفظ الجلالة (الله) في القرآن الكريم، توصل إليها من قراءة القرآن، ومن استقراء واقع الحياة، وذكر أن هذا اللفظ ورد في القرآن الكريم (٢٦٦٧ مرة)، وقد استعمل للدلالة على الخصائص التي اتصف بها

هذا الاسم، ولا يقوم بها أحد غير الله، أي لا يملكها إلا الله وحده.

كما استعمل لفظ الجلالة في الحديث الشريف، فأقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله بعدة أيمان، منها: (والذي نفسي بيده)، (والذي نفس محمد بيده)، (ورب الكعبة)، (وأيم الله)، وغيرها. ولم يكن يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالله إلا في الأمور العظيمة، فأقسم (والله) في (٣٠ موضعاً) في صحيح البخاري، و(٢٠ موضعاً) في صحيح مسلم، من مثل: (والله، لولا الله ما اهتدينا)، (فوالله، لئن يهدي بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم)، وغيرها.

قدم المحاضِرَ وأدار اللقاء عضو الرابطة الأستاذ الدكتور ناصر جابر الأستاذ في الجامعة الهاشمية.

طبيعة اللغة

في محاضرة بعنوان «طبيعة اللغة» عقدت في مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الاسلامي العالمية في مقرها بعرجان مساء يوم السبت الموافق (٢٠١٦/٧/٢٣م)، استضافت بها الدكتور المحاضر محمد الخولي أستاذ اللغة الإنجليزية في عدة جامعات عربية وأوربية.. واللغة هي وسيلة تفاهم بين البشر ووسيلة تعبير عن المكنون وعن العلوم والآداب والحالة والحدث.

تحدث المحاضر خلالها بإسهاب عن اللغة العربية، على أنها الفكر المنطوق، معرِّجاً على نشأتها من مبتدئها وتطورها عبر مراحلها المتتابعة إلى ما انتهت إليه في حاضرنا اليوم، مؤكداً ما لجوهرها من قيمة في البناء السليم بالتعبير نطقاً وكتابةً، وعارضاً أقوال علماء اللغة في ذلك.

وقدم تعريفاً باللغة مبيناً مدى الإعجاز الإلهي في منح اللغة العربية قيمتها المثلى حين جعل القرآن الكريم وعاءً لها، مبيناً مدى الإعجاز في استخداماتها، وبلاغة النطق بها، حيث لكل حرف موقعه المناسب، ولكل فاصلة حقها في بيان المعنى.

وعرض المحاضر محوراً في خصائص اللغة والوظيفة التي تؤديها من تفاهم ووعي في تخليص أمور الحوارات الإنسانية، ولم يغب عنه أن يعرض مهارات اللغة مما يمكن أن تؤديه بالأشكال اللغوية حسب قواعد نشأتها من النواحي المتعددة للجملة.

فكل لغة تحمل ملامح تفردها عن سواها من اللغات شكلاً وأبجدية ونطقاً وتعبيراً.

وهناك العديد من اللغات نشأت في المشرق العربي اختفى أغلبها باختفاء عصر مستخدميها، وبعضها بقي على قلة عدد مستخدميها، ولكن اللغة العربية ظلت أبرزها وأقواها، وساندها في ذلك كونها لغة القرآن الكريم الذي حفظها متيحاً المجال لتطوير أساليبها.

الحضور كان مستمتعاً بالمعلومات الطيبة التي حصل عليها، فأثارت لديه استفهامات عديدة، ووجد نفسه منساقاً في حوارات ومداخلات شكّلت إضافاتٍ جيدة للعنوان المطروح.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

من مقاييس الجمال في الأدب الإسلامي

ألقى الأستاذ الناقد عباس مناصرة عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية محاضرة في المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، وكانت بعنوان «من مقاييس الجمال في الأدب الإسلامي»، وذلك يوم السبت الواقع في (٢٣ /٤/ ٢٠١٦م)، حيث أوضح بأن الجمال الحقيقي في الأدب الإسلامي، هو الذي يعرض الحق ويزيده تألقاً ووضوحاً.

أما حينما يتلبس الباطل بالجمال، ويستغله لإخفاء تهافت مضامينه، فحينئذ لا بد من فضح ذلك الباطل وإن احتمى بالجمال، لنحمي الناس من الوقوع في حبائله، فالجمال الحقيقي للأدب، هو الذي يتوازى فيه الشكل والمضمون، والوظيفة والتأثير، وينتفي عنه العبث والإفساد.

وأوضح الأستاذ المناصرة أن الأدب الإسلامي لم يأتِ ليلغي الآداب القومية للشعوب الإسلامية، وإنما جاء ليحمي تلك الآداب من التلوث الخيالي، والتغريب والخرافات، والتي تداعت بها علينا الأمم، لتعكير صفو الثقافة الإسلامية، كما فعلت الصوفية البوذيّة، والشعوبيّة الحاقدة، والتشيع الرافضي، والفلسفة اليونانية، والأساطير الشرقيّة والغربية، والتي أحياها الاستعمار من خلال الكشوفات الأثريّة مما أدى إلى تلوّث الأدب الإسلامي في بعض مراحله، ولذلك جاءت عمليّة الدعوة إلى الأدب الإسلامي للمحافظة على نقاء وصفاء الثقافة الإسلاميّة، والتأصيل للآداب القوميّة عند الشعوب الإسلاميّة والدعوة، وإلى أسلمتها من جديد.

وقد حضر الأمسية لفيف من أعضاء الرابطة وضيوفها، وأدارها الشاعر الأستاذ صالح البوريني عضو الرابطة.

دور الأدب في بناء المجتمع

أقام مكتب الأردن الإقليمي للرابطة في عمّان محاضرة أدبية مساء يوم السبت الموافق ١٤ أيار ٢٠١٦م، ألقتها عضو الرابطة الأستاذة الدكتورة سميرة الخوالدة، وكانت بعنوان: «دور الأدب في بناء المجتمع». وقد استعرضت د.الخوالدة وظيفةَ الأدب عند الأمم عبر مراحل تاريخية مختلفة، مبيِّنة أنه بالرغم من وجود جدليّة حول مفهومي: الأدب للأدب، والأدب للحياة،

أمسية أدبية حافلة

في الخامس والعشرين من شهر الربيع ٢٠١٦م، نيسان المزهر؛ أقامت رابطة الأدب الإسلامي بعمان أمسية أدبية أنشد فيها فرسان الشعر أعذب ألحانهم.

فكانت البداية مع الشاعر فايز عليان وقصيدة في حب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثم اعتلى المنصة الشاعر الشاب عمر البشيتي وصدح بقصيدتين عن القدس وفلسطين،

وكان نجم الحفل الشعري الشاعر الكبير خالد فوزي عبده، إذ أمتع الجمهور العريض بثلاث باقات من شعره النضر،

ثم مشاركة شابة أخرى بخواطر نثرية عن الوطن السليب فلسطين من المبدع حسن روبين،

فعودة إلى المخضرمين وقصيدة من الشاعر محمود الغانم الدغيم في رثاء الشيخ عبد الحميد كشك.

ولكن لابد للصوت الشاب الواعد أن ينطلق وذلك بمشاركة المبدعة كارمن أبو فنونة الطالبة في جامعة اليرموك، وقد غيرت دفة الحديث إذ بدأت بقصيدة نثرية ترجمت فيها إحدى روائع شكسبير الشعرية، ثم أتبعتها بخاطرتين من فيض قلمها.

وكان بين كل فقرة وأخرى تعليقات من كبار الأدباء الحاضرين، وكانت أجمل المداخلات من الدكتور عبد الجبار دية والدكتور عدنان حسونة.

أدار اللقاء الشاعر محمد غسان الخليلي بطريقة أدبية فكاهية تواصلية مع الجمهور السامع والأديب المنشد.

إلا أن كثيراً من الأدباء قد سخّروا ووظّفوا أدبهم وشعرهم في خدمة قضايا مجتمعاتهم، من خلال استقراء أمراض المجتمع وأدوائه، وصولاً إلى اجتراح أسباب الارتقاءِ بتلك المجتمعات، ومعالجة أمراضها وعللها.

وضربت المحاضِرة مثلين من الأدب الإسلامي، والأدب الإنجليزي:

أما النموذج الأول فيمثّله الشاعر والفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، والذي يُعد رائد الأدب الإسلامي المعاصر، حيث عاش همّ الأمة المسلمة، وسعى إلى معالجة أمراضها وعللها، عبر ما يسمّى بناء الذات، واستنهاض الهمم.

وأما النموذج الثاني فهو الأديب البريطاني، جوناثان سويفت، والذي استقرأ أمراض مجتمعه وسعى بأسلوبه الساخر إلى معالجتها، والتي تمثلت بالفساد والاستبداد، والطبقيّة والفقر.

وقد استمع للمحاضرة لفيفٌ من ضيوف الرابطة وأعضائها، والذين أغنوا بمداخلاتهم واستفساراتهم مختلف جوانب المحاضرة. وأدار اللقاء الدكتور عدنان حسونة الرئيس المكلّف لمكتب الرابطة في عمّان.

كتب وصلت

■ إصداران جديدان لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية عن دار الفكر في دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، وهما:

*** دراسة في نظرية الأدب الإسلامي**، تأليف

د.وضحى مسفر القحطاني، وتقديم د.عبد الباسط بدر. وهو في الأصل رسالة جامعية قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. يقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة تقريبا من القطع العادي. جعلته المؤلفة في ثلاثة أبواب، الباب الأول: نظرية الأدب الإسلامي في النقد الحديث، وتحدثت فيه عن أهم الكتب والمصطلحات في نظرية الأدب الإسلامي، ومن أهم قضايا نظرية الأدب الإسلامي. والباب الثاني بعنوان: الجذور التراثية لنظرية الأدب الإسلامي، وتحدثت فيه عن الأصول العقدية، والأصول النقدية، والأصول الإبداعية. وجعلت الباب الثالث بعنوان: شبهات وردود، وفيه الخلاف حول المصطلح وتهمة ضعف الفنية في الأدب الإسلامي، وأدب غير المسلمين والتزام الأديب.

*** النقد الأدبي الإسلامي: الواقع والمأمول**، تأليف د. علي

بن محمد الحمود، يقع الكتاب في ١٠٠ صفحة تقريبا، من القطع العادي. جعله المؤلف في خمسة فصول، هي: نشأة النقد الأدبي الإسلامي، اهتمامات النقد الأدبي الإسلامي في العصر الحديث، موقف النقد الأدبي الإسلامي من الشكل والمضمون، المشكلات التي تثار حول النقد الأدبي الإسلامي، وأخيرا رؤية خاصة، لخص فيه الدكتور الحمود ما توصل إليه في دراسته، ومنها: أن للنقد الأدبي الإسلامي خصوصية في نقد المضامين الأدبية، وإجماع من قبل النقاد على هذه الخصوصية، وعندما يتجه النقد الأدبي الإسلامي صوب الأشكال الأدبية تغيب تلك الخصوصية، وهنا تكمن مشكلة النقد الأدبي الإسلامي من وجهة نظر المؤلف.

■ صدر للدكتور مأمون فريز جرار كتابان في الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، وذلك عن دار المأمون للنشر والتوزيع في عمان، بالأردن، وهما:

*** رحلة في الأدب الإسلامي: تنظيراً وتطبيقاً.** ويقع الكتاب في ٦٠٠ صفحة تقريبا من القطع العادي، جعله في ثمانية فصول، الفصل الأول منه بعنوان: قضايا ومفاهيم في الأدب الإسلامي عرض فيه ست

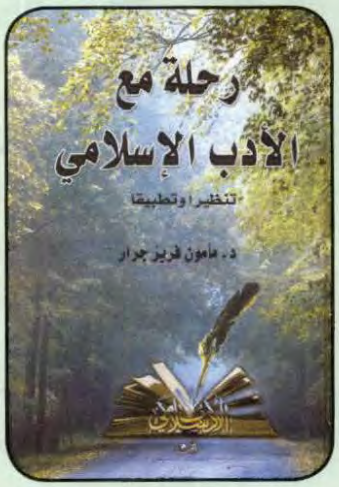

عشرة قضية ومفهوماً، أولها الأدب الإسلامي ومعركة المصطلح، وآخرها الوطن في الشعر الإسلامي حديث متجدد، والفصل الثاني: قصائد وأسفار أديبة تحدث فيه عن كتابات وإبداعات أبي الحسن الندوي، وأحمد فرح عقيلان، وأمينة قطب، وبشرى حيدر، وحسن الأمراني، وحميدة قطب، وحيدر قفة، وكمال رشيد، ومحمد علي الرباوي، ومحمد المجذوب، ومحمود مفلح، ويوسف القرضاوي. والفصول التالية هي: أدباء إسلاميون، كتب في الأدب الإسلامي، ملتقيات أدبية، حوارات في الأدب الإسلامي، مع رابطة الأدب الإسلامي، وختم الكتاب بفصل: مع الدكتور عنان النحوي.

* **دراسات في الأدب الإسلامي:** وجاء في ٣٠٠ صفحة تقريباً، من القطع العادي، وضم العناوين الآتية: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المرأة في العصر الحديث، المسرح الإسلامي في آثار الدارسين، الاتجاه الإسلامي في الشعر في الأردن، الخطاب الإلهي في شعر أبي مسلم البهلاني، وختمه بالحديث عن القدس وفلسطين في شعر يوسف العظم.

■ **النثيرة:** قصيدة النثر، نشأتها، إشكالاتها، حصاد تجربتها. تأليف د.وليد قصاب، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، صدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. جاء الكتاب في ٢٣٠ صفحة تقريبا، من القطع العادي. عالج فيه د.وليد قصاب مشكلة قصيدة النثر بين الداعين إليها، والرافضين قبول مصطلحها، وقد مهد لذلك ببيان مفهوم الشعر عند العرب. وتحدث في الفصل الأول عن الحداثة والنثيرة، وفي الفصل الثاني حدد مفهوم النثيرة وفلسفتها من خلال تداخل الأجناس الأدبية، وكتابة شعر من غير وزن، ومفهوم التحديث. وفي الفصل الثالث عرض إشكاليات النثيرة، وفساد تسمية قصيدة النثر، وضحالة الإنتاج، وختم القول في الفصل الرابع بوضع هذا النوع من الإبداع في الميزان، وخلص إلى أن قصيدة النثر لا علاقة له بالشعر، لذلك تجنب في عناوين الكتاب تسمية قصيدة النثر، ورسخ لمصطلح النثيرة التي تبناها عبر هذا الكتاب، وفي كتاباته الأخرى.

محمد عاكف شاعر القضية الإسلامية المشتركة

عندما عصفت الأحداث بعالمنا الإسلامي في عصرنا الحاضر، فجرت مشاعر الأدباء المسلمين في أنحاء مختلفة من بلاد المسلمين. فأقبلوا على الشعر يشحنونه بما يدور في نفوسهم، فيبثون من خلاله آلاماً كادت أن تمزق صدورهم، ويزرعون به آمالا وتطلعات إلى غد مشرق، يتجاوز فيه المسلم همومه، وتتحول معاناته القاسية إلى خطوات شاقة ومكيفة في دروب العزة والنصر.

ولعل شعر الشاعر الإسلامي محمد عاكف نموذج حي لهذه القضية المشتركة، ولعل في قصائده روائع تشدنا بمضمونها، وبما يبقى لنا منها بعد ترجمتها..

ومحمد عاكف من رواد الشعر في العصر الحديث في تركيا، ولد عام ١٨٧٣م، وعاصر أيام الخلافة الأخيرة، وشهد سقوطها وانحسار الدولة الإسلامية عن تركيا، وشهد الأحداث المزلزلة التي رافقتها، وكان ذا غيرة إسلامية قوية، ولم يطق البقاء في بلده فشد الرحيل إلى مصر، وعايش كوكبة من الشعراء الأفذاذ مثل أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وغيرهم، وبكى معهم-وبلغته التركية-الوحدة الإسلامية الممزقة، وحرية الدول العربية والإسلامية وهي تهوي تحت نير المستعمرين. ولكن الآلام لم تطفئ شعلة الأمل في قلبه. فظل ينظر بعين دامية إلى الأحداث، وبعين واثقة بالفرج ونصر الله القادم إلى كافة الأمة الإسلامية الهائلة، وإلى كنوزها العقدية والمادية، وإلى ما يمكن أن تصنعه العقيدة الصادقة من وثبة فريدة. وقبل أن أقدم شيئا من شعره لابد أن أعتذر بأن ترجمة الشعر تفقده قدراً هائلاً من شاعريته وتأثيره الإيقاعي والجمالي.. فلا يبقى لنا إلا الصور والمعاني التي قد يدركها المترجم وقد يفوت منها الكثير.. ومع ذلك ننظر فيما يبقى لنا بعد الترجمة لأن في هذه البقية آثار عاطفة إسلامية تتصل بقلوبنا..

فهو يقف كما يقف كل مسلم أمام صورة الشرف الإسلامي في مطلع القرن العشرين الميلادي فيحس بآلام التمزق والقهر والانقسام ويقول:

أيها الشرق العظيم. أيها العالم المترامي الأطراف
ليت شعري في أي بقعة
من بقاعك نجد فيها أبناءك السعداء
إن رأسك يرزح تحت الشدائد. وعضدك واه، وإن ذراعيك مغلولتان
لقد طفت في أرجائك لأرى داراً للإسلام فكلت قدماي
وكلما تناهت إليّ من سبيلي أصوات الأحاديث
لم تفض روحي الباكية إلا بخيبة الأمل
فهل كان نصيبي أن أكون غريبا في قلب الإسلام؟!
والآن وقد تقدمت بي السنون ووهت قواي،
فعلى بني أن يجاهدوا ويأخذوا بثأري.

وعندما ينظر إلى جماهير المسلمين المتطلعة إلى التحرر وإلى العودة إلى الله في كل جوانب حياتها يمتلئ أملاً بأن نجم الأمة الإسلامية لن يخبو، وأن المد الإسلامي سيعيد إلى العالم الإسلامي حريته وعزته وحياته الإسلامية كاملة بإذن الله، فيقول مستبشراً :

هدئ روعك، فإن هذا اللواء السابح في نور الصباح لن يخمد،
إن نجم أمتي سيظل متألقا
إنه ليس لي فحسب، بل لأمتي
فيا عجبي أي مجنون يستطيع أن يكبلني بالأغلال
إنني كسيل هائج جارف أكسر أصفادي وأنطلق
أجتاز الجبال فلا تسعني السهول فأفيض عليها
الحرية حق لعلمي الذي عاش حرا
والاستقلال حق لأمتي التي تعبد الله الحق.

وبعد: فإن محمد عاكف واحد من الشعراء الإسلاميين الذين أبدعوا روائع شعرية فذة سداها ولحمتها القضية الإسلامية المشتركة بين جميع المسلمين.. ما أحرانا أن نقدمه لجيلنا المسلم نموذجاً للشخصية الإسلامية الموحدة، وأدبها الإسلامي العالمي!■

د. عبدالباسط بدر

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الموضوعات - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
الافتتاحية		
الشكل والمضمون جناحا الأدب الراقي	مدير التحرير	٩٢/١
فقيد الرابطة عدنان النحوي	رئيس التحرير	٨٩/١
الكلمة الفعل والكلمة البديل	مدير التحرير	٩١/١
المثاقفة مع الآخر	مدير التحرير	٩٠/١
تراث الأدب الإسلامي		
رثاء الأبناء	عبدالقدوس أبو صالح	٩١/٥٠
الرزق - شعر	عروة بن أذينة	٩٢/٤٧
ثمرات المطابع		
حوار مع الشاعر والناقد كمال نشأت	ميادة الدمرداش	٩٠/٧٤
قصص المرأة الباكستانية.. وصراع الهوية!	حلمي محمد القاعود	٩٢/٦٨
من محاورات النقد	عبدالنبي اصطيف	٩١/٧٦
الخاطرة		
بائع الذرة	محمد يوسف كرزون	٩١/١٠١
حكاية الفلفل	حيدر الغدير	٩١/٦٣
نقاط...	ربيع زعيمية	٩١/٣٣
ومضة من الذاكرة	فاضل السباعي	٩٠/٧٨
الدراسات والمقالات		
أبو بلال.. فارس على كل الثغور -الورقة الأخيرة	حسن الأمراني	٨٩/١١٢
أحمد محرم شاعر الوطنية والعروبة والاسلام	غريب جمعة	٩٠/٥٦
أزمة الاغتراب في الأدب المعاصر	مصطفى عطية جمعة	٩١/٣٠
إشكالية المصطلح السردي في النقد الاسلامي الحديث	الطيب الرحماني	٩١/٤
باقة ياسمين للأديب علي نار.. الطفولة حينما تصبح أدباً	حلمي محمد القاعود	٩٠/٢٠
البعد الديني وصورة اليهودي في الرواية الغربية	حلمي محمد القاعود	٩١/٤٠
بنية التكرار في شعر النحوي.. حرقة ألم وإشراقة أمل نموذجاً	مصطفى أبو طاحون	٨٩/٥٦
التأثير القرآني في الشعر الأوربي	عبدالإله القصراوي	٩٠/٨٠
الحداثة فكرا وإبداعا في منظور الدكتور عدنان النحوي	مصطفى عطية جمعة	٨٩/٤
جهود علماء المغرب في التأسيس لمنهج إسلامي في النقد الأدبي: علي الغزيوي نموذجا	محمد بوفلاقة	٩٠/٤٨
حرية الأديب من المنظور الإسلامي	صديق بكر علي عيطة	٩٢/٤
خولة القزويني في رائعتها هيفاء تعترف لكم	صلاح حسن رشيد	٩٢/٥١
دلالة العنونة في قصائد ديوان الأرض المباركة لعدنان النحوي	عبدالرزاق حسين	٨٩/٦٥
رؤية العالم في المثل العربي من بصر العين إلى بصيرة العقل	أحمد يحيى محمد	٩٠/٦٦

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
الرمز في ديوان من وحي الجراح لوليد قصاب	مضر الشيخ عبدو	٩١/١٢
روعة التعبير في ديوان موكب النور لعدنان النحوي	عادل إبراهيم العدل	٨٩/١٦
سعدي الشيرازي صدى العروبة والإسلام	شفيق أحمد خان الندوي	٩١/٦٦
شعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي دراسة لغوية وأسلوبية	عبدالمنعم الوكيلي	٨٩/٤٨
الدكتور عدنان النحوي أديبا إسلاميا	مأمون فريز جرار	٨٩/٩٦
الدكتور عدنان علي رضا النحوي أديباً وشاعراً	حسني أدهم جرار	٨٩/٧٢
عدنان النحوي.. سيرة ذاتية	التحرير	٨٩/١٥
الأستاذ علي نار	محمد المجذوب	٩٠/٣٦
علي نار الراحل الباقي	عبدالقدوس أبو صالح	٩٠/٤
علي نار.. علم في رأسه نار	شمس الدين درمش	٩٠/٤٢
علي نار نجم غاب عنا	عبدالباسط بدر	٩٠/٧
علي نار وتكوينه الفكري - سيرة ذاتية علمية أدبية	يوسف خلف	٩٠/٣١
قراءة في قصيدة الشاعرة نبيلة الخطيب: هل جادك الوجد	أماني حاتم بسيسو	٩١/٥٢
قراءة نقدية في ديوان صهوة خيال للشاعر حسين محمد باجنيد	محمد شلال الحناحنة	٩١/٧١
قراءة في العدد ٩٠ من الأدب الإسلامي	علي خضران القرني	٩٢/٧٣
قراءة في نصوص من العدد ٩٠	علي بن محمد الحمود	٩١/٨٠
القصة في أدب الطفل الصهيوني	محمد محمود العطار	٩٢/١٨
فن المساجلات الشعرية عند الشاعر عدنان النحوي، مساجلته مع الشاعر هارون هاشم رشيد نموذجا	عبدالحكيم الزبيدي	٨٩/٢٨
في الأدب الإسلامي - الورقة الأخيرة	إبراهيم العجلوني	٩٠/١١٢
محمد عاكف شاعر القضية الإسلامية المشتركة - الورقة الأخيرة	عبدالباسط بدر	٩٢/١٠٦
ملحمة البوسنة والهرسك.. أحداث مفجعة على أعمدة ملحمة إسلامية	فرج مجاهد عبدالوهاب	٨٩/٨٤
من الشعر الاسلامي عند علماء الهند في القرن العشرين	عبدالوهاب الدويري	٩٢/٤٤
موقف الدكتور عدنان النحوي من التجديد في الشعر	سعد أبو الرضا	٨٩/٨٠
نفحات الحج في الشعر الأندلسي	حياة شتواني	٩٢/١٢
النقد الاجتماعي في ديوان مهرجان القصيد للشاعر عدنان علي رضا النحوي	يحيى بشير حاج يحيى	٨٩/٩٢
واحات العربية البعيدة - الورقة الأخيرة	عبدالباسط بدر	٩١/١١٢
الواقعية التخييلية في رواية (مملكة النحل) لعلي نار	حسن الأمراني	٩٠/١٠
وقفات مع الجمال	علاء الدين حسن	٩٢/٥٦
الرسائل الجامعية		
الصورة البيانية في شعر سابق البربري	الباحث :عماد صلهبي	٩٠/٩٤
صورة المرأة في الرواية الإسلامية.. أدباء رابطة الأدب الإسلامي نموذجاً	الباحثة: مريم محمد اليامي	٩١/٩٠
الدكتور عدنان النحوي أديبا وناقدا.. للباحثة ابتسام الكحيلي	محمد عباس عرابي	٨٩/١٠٠

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
القصة القصيرة لدى وليد قصاب	الباحثة: تركية العتيبي	٩٢/--
الشعر		
أتحبني	ريح المطر	٩١/٢٩
استفسار	عبدالرحيم الماسخ	٩١/٥٧
ابن أرض الميعاد.. وداعا	سالم رزيق بن عوض	٨٩/٣٧
أنت المهيمن	محمد عباس علي داود	٩٢/٧٨
أهديك للشعر	محبوبة هارون	٩٠/٧٧
الإيمان	محمد ياسر أمين الفتوى	٩١/١١
أيها الظالم للشاعرة سيدة نسرين نقاش	ترجمة: سمير عبدالحميد	٩١/٨٨
بين وداع ولقاء	محمود مفلح	٩٠/٦٣
حازم	عدنان النحوي	٨٩/٧٩
حوار مع الشابي	سعد عبدالله الغريبي	٩٠/٤٦
دعوة ونداء	عدنان النحوي	٨٩/٥٥
ذرات موطننا	مصطفى عكرمة	٩٠/٥٥
زخرف وحقيقة	عدنان النحوي	٨٩/٤٧
صاحب اللواء	شادي أيوب	٩١/٧٨
صريع هواك	عبدالرزاق حسين	٩١/٣٨
صمت الكبرياء	محمد مصطفى البلخي	٩٢/١٧
غرفتي	سالم رزيق بن عوض	٩٢/٣٧
الفرح القادم	عبدالحكيم الزبيدي	٩٢/٥٤
قلوصك الدمع	حسن الأمراني	٩٢/٤٠
قوي العزم مكتسب المعالي	محمد أمين الله الغمبري	٩١/٧٤
كلي ألبي	نبيلة الخطيب	٩٢/٤٢
لا يستظل الراحلون سوى بغيظ قلوبهم	أشرف محمد قاسم	٩٢/٢٩
لغة الخلود	حسين أبو بكر	٩٠/٨٤
لغتي تناجيني	محمد ظافر الشهري	٩٢/١١
لما رأيت الفجر	محمد عباس علي داود	٩١/٩٧
ليس	عدنان النحوي	٨٩/٩٥
لينة	عدنان النحوي	٨٩/٩٩
ما زال شعرك في ضميري	أماني حاتم بسيسو	٨٩/٨٣
مرافعة أمام الطاغوت	عبدالسلام كامل	٩٠/١١٠
مقطوعتان شعريتان	عبدالله سالم زين	٩٠/٨٣
من وليد الأول إلى حفيده وليد الثاني	وليد قصاب	٩٠/٧٣

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
النبي العظيم	أحمد المغربي	٩٠/٩٣
نداء إلى الشهيد جعفر بن أبي طالب	صلاح عدس	٩٠/٩٩
نكبة دمشق	عيسى ألبي أبو بكر	٩٢/٦٦
يا قبلة كل البشرية	رفعت عبدالوهاب المرصفي	٩١/٣٧
القصة		
أحبتي قتلتي	سعيدة بشار	٩٢/٦٢
أشباح الروهنجا	إبراهيم حافظ غريب	٩١/٥٨
الأصم	آمال لواتي	٩٠/٧٠
انحسار - قصة قصيرة جدا	محمد أحمد حمادو	٩٠/٧٢
إهداء	خالد بريه	٩٢/٧٩
تلميذي القبيلي	سماح أحمد سالم بادبيان	٩١/٨٢
الحلم الوردي	عبدالله رمضاني	٩١/٩٣
القرار الصعب	عبدالرحيم شراك	٩٢/٩٨
مذكرات مدرس مضطهد	عماد الدين خليل	٩١/١٨
هدية الغائب	ابتسام شاكوش	٩٢/٩٠
ومن يكتمها..	وليد قصاب	٩٢/٢٦
لقاء العدد		
مع الدكتور أحمد كمال عبدالله (كمالا)	حوار: محمد ذو الكفل	٩١/٣٤
مع الدكتور عبدالله بن صالح العريني	حوار : التحرير	٩٢/٣٠
مع الدكتور عدنان علي رضا النحوي	حوار: التحرير	٨٩/٣٨
مع الأديب علي نار	حوار: محمد خليل	٩٠/٢٦
المسرحية		
رمضان كريم	محمود كحيلة	٩١/٨٦
ملك الملوك (جل جلاله)	إبراهيم عبده شعراوي	٩٠/٨٦
وصية عمر بن عبدالعزيز .. مسرحية شعرية	غازي مختار طليمات	٩٢/٧٤
المكتبة		
الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر- تأليف عدنان صالح الشهري	محمد عباس محمد عرابي	٩٢/٩٢
قراءة في كتاب أدب الأطفال العربي في الهند لسيد محمد طارق الندوي	غياث الإسلام الصديقي الندوي	٩١/٩٦
النثيرة		
الحب والمسعى	عبدالله مسعود	٩٢/٣٨
خلاص واختصاص	رجاء عبيد	٩٠/٩٨
سنبلة	محمد يوسف كرزون	٩٢/٥٢
الطفل الفلسطيني يامن	محمد أمان التيال	٩٠/٦٤
من ينجب الإناث إذن؟!	عائشة سجيد	٩٠/٦٥

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الكتاب - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

اسم الكاتب	الصفحة والعدد	اسم الكاتب	الصفحة والعدد
آمال لواتي	٩٠/٧٠	سعيدة بشار	٩٢/٦٢
ابتسام شاكوش	٩٢/٩٠	سماح أحمد سالم بادبيان	٩١/٨٢
إبراهيم حافظ غريب	٩١/٥٨	سمير عبدالحميد	٩١/٨٨
إبراهيم عبده شعراوي	٩٠/٨٦	شادي أيوب	٩١/٧٨
إبراهيم العجلوني	٩٠/١١٢	شمس الدين درمش	٩٠/٤٢
أحمد كمال عبدالله	٩١/٣٤	شفيق أحمد خان الندوي	٩١/٦٦
أحمد المغربي	٩٠/٩٣	صديق بكر علي عطية	٩٢/٤
أحمد يحيى محمد	٩٠/٦٦	صلاح حسن رشيد	٩٢/٥١
أشرف محمد قاسم	٩٢/٢٩	صلاح عدس	٩٠/٩٩
أماني حاتم بسيسو	٨٩/٨٣، ٩١/٥٢	الطيب الرحماني	٩١/٤
حسن الأمراني	٨٩/١١٢، ٩٠/١٠، ٩٢/٤٠	عائشة سجيد	٩٠/٦٥
حسني أدهم جرار	٨٩/٧٢	عادل إبراهيم العدل	٨٩/١٦
حسين أبو بكر	٩٠/٨٤	عبدالإله القصراوي	٩٠/٨٠
حلمي محمد القاعود	٩٠/٢٠، ٩١/٤٠، ٩٢/٦٨	عبدالباسط بدر	٩٠/٧، ٩١/١١٢، ٩٢/١٠٦
حياة شتواني	٩٢/١٢		
حيدر الغدير	٩١/٦٣	عبدالحكيم الزبيدي	٨٩/٢٨، ٩٢/٥٤
خالد بريه	٩٢/٧٩	عبدالرحيم شراك	٩٢/٩٨
ربيع زعيمية	٩١/٣٣	عبدالرحيم الماسخ	٩١/٥٧
رجاء عبيد	٩٠/٩٨	عبدالرزاق حسين	٨٩/٦٥، ٩١/٣٨
رفعت عبدالوهاب المرصفي	٩١/٣٧	عبدالسلام كامل	٩٠/١١٠
ريح المطر	٩١/٢٩	عبدالله رمضاني	٩١/٩٣
سالم رزيق بن عوض	٨٩/٣٧، ٩٢/٣٧	عبدالله سالم زين	٩٠/٣٨
سعد أبو الرضا	٨٩/٨٠، ٩٢/٤٨	عبدالله بن صالح العريني	٩٢/٣٠
سعد عبدالله الغريبي	٩٠/٤٦	عبدالله مسعود	٩٢/٣٨

تابع فهرس الكتاب - المجلد الثالث والعشرون - الأعداد ٨٩-٩٢

اسم الكاتب	الصفحة والعدد	اسم الكاتب	الصفحة والعدد
عبدالقدوس أبو صالح	٩١/٥٠، ٩٠/٤	محمد بوفلاقة	٩٠/٤٨
عبدالمنعم الوكيلي	٨٩/٤٨	محمد ذو الكفل	٩١/٣٤
عبدالنبي اصطيف	٩١/٧٦	محمد شلال الحناحنة	٩١/٧١
عبدالوهاب الدويري	٩٢/٤٤	محمد ظافر الشهري	٩٢/١١
عدنان النحوي	٣٨، ٤٧، ٥٥، ٧٩، ٩٥، ٨٩/٩٩	محمد عباس علي داود	٩٢/٧٨، ٩٠/٩٧
		محمد عباس محمد عرابي	٩٢/٩٢، ٨٩/١٠٠
عروة بن أذينة	٩٢/٤٧	محمد المجذوب	٩٠/٣٦
علاء الدين حسن	٩٢/٥٦	محمد محمود العطار	٩٢/١٨
علي خضران القرني	٩٢/٧٣	محمد مصطفى البلخي	٩٢/١٧
علي بن محمد الحمود	٩١/٨٠	محمد يوسف كرزون	٩٢/٥٣، ٩١/١٠١
عماد الدين خليل	٩١/١٨	محمود كحيلة	٩١/٨٦
عماد الصلهبي	٩٠/٩٤	محمود مفلح	٩٠/٦٣
عيسى ألبي أبو بكر	٩٢/٦٦	مريم محمد اليامي	٩١/٩٠
غازي مختار طليمات	٩٢/٧٤	مصطفى أبو طاحون	٨٩/٥٦
غريب جمعة	٩٠/٥٦	مصطفى عطية جمعة	٩١/٣٠، ٨٩/٤
غياث الإسلام الصديقي الندوي	٩١/٩٦	مصطفى عكرمة	٩٠/٥٥
فاضل السباعي	٩٠/٧٨	مضر الشيخ عبدو	٩١/١٢
فرج مجاهد عبدالوهاب	٨٩/٨٤	ميادة الدمرداش	٩٠/٧٤
كمال نشأت	٩٠/٧٤	نبيلة الخطيب	٩٢/٤٢
مأمون فريز جرار	٨٩/٩٦	نسرين نقاش	٩١/٨٨
محبوبة هارون	٩٠/٧٧	وليد قصاب	٩٢/٢٦، ٩٠/٧٣
محمد أحمد حمادو	٩٠/٧٢	يحيى بشير حاج يحيى	٨٩/٩٢
محمد أمان التيال	٩٠/٦٤	يوسف خلف	٩٠/٣١
محمد أمين الله الغمبري	٩١/٧٤		